الأنوار المحمدية

في شرح بعض وصايا السادة الصوفية

أحمد قنديل أبو مزيد

الأَنْـــــــــــوَارُ المُحَمَّدِيَّـــــــــــةُ

فِيْ شَـــــــــرْحِ

بَعْضِ وَصَايَا السَّادَةِ الصُّوْفِيَّـــــــــــةِ

شَـــــــــــرْحُ

الْمُـهَنْدِس/أَحْمَد قَنْدِيْل أَبُو مِزْيِـــــــد

مُرَاجَعَةُ وَتَدْقِيْقُ

الأُسْتَاذُ/ محمد سَالِمُ صُـــــــــــــوَّان

بتوجيهِ وإرشادِ

شيخِ الطريقةِ الجريريةِ الأحمديـــــةِ

فلسطين/غـــزة

١٤٣٨-٢٠١٧م

مقدمـــــــــة الكتـــــــــاب

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، الصادق الوعد الأمين، أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله تعالى به الغمة، وجاهد في الله تعالى حتى أتاه اليقين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، الكرام المحجلين، الذي أعزَّ بهم الإسلام ورفع بهم منار الذين، ورضي الله تعالى عن جميع الأولياء والصالحين، والصفوة المقربين، وُرَّاثِ العلم المحمدي، والهدي المصطفوي، والنور الإلهي، معدن الأنوار، ومهبط الأسرار، ورحمة الله الملك العزيز الغفار، فهم عيون الله في أرضه، ورحمته في بلاده، من أحبهم فقد أحب الله، ومن أحبوه فقد أحبه الله، ومن استقى من هديهم فقد استقى من نبع رسول الله ﷺ، ومن ربط حبله بحبلهم فقد اتصل برسول الله ﷺ، وهم الذين قال في حقهم عليه الصلاة والسلام:- {علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل}، وقال في حقهم:- {العلماء ورثة الأنبياء}، فهم والله في مقام تشريف وتكريم، فاللهم شَرِّفْنَا بمحبتهم، وأكرمنا بطاعتهم، واحشرنا في زمرتهم، وأدخلنا في معيتهم، واقبلنا في سفينتهم، كما قال الله تبارك وتعالى:- {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}،(الرحمن:-٢٤)، صدق الله العظيم، وبعد:-

فإنه من كرم الله عز وجلَّ، وَمِنَّتِهِ علينا أن جمعنا برجل من خاصة أحبابه المقربين، وأوليائه المعدودين، وصفوته المخلصين، أن جمعنا برجلٍ محمديٍّ، وعالم ربانيٍّ، عَلَّمَهُ الحق تبارك وتعالى، وأفاض عليه من علومه الربانية، وتجلياته الإحسانية، وفتوحاته الإلهية، وفيوضاته الإيمانية، الخير الكثير والكثير، كما قال تبارك وتعالى:- { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، (البقرة:-٢٨٢)، فكان علماً في زمانه، ومنهلاً للظمآى في قيظ الهاجرة، وغوثًا لأهل الله أجمعين،

فأزال الله به الرَّيْن عن القلوب، والغشاوة عن الأبصار، والوَقْرَ عن الآذان، فَتَفَتَّحَتْ به القلوبُ لاستقبال المدد من عَلَّامِ الغيوب، وارتفعت الهمم، وزكت النفوس، وسمت الأرواح، وصفت الأفئدة، ونشطت الجوارح والأعضاء، وتآلفت القلوب، فكانوا والله كالجسد الواحد، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)، وكما قال فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:-

فصـــاروا واحـــدًا وهـــم كثيـــر وفـــوق الخلـــق سـرُّ اللهِ عالـــــي

وهؤلاء والله هم المتقون الذين قال في حقهم سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:- {هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، لولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أبدانهم طرفة عين شوقًا إلى ربهم، عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، وصبروا أيامًا قليلة أعقبتهم راحة طويلة، وتجارة رابحة سَيَّرَهَا لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلًا، فإذا مَرُّوا بآيةٍ فيها تشويقٌ ركنوا إليها طمعًا وتطلعت أنفسهم إليها شوقًا، وإذا مَرُّوا بآيةٍ فيها تخويفٌ صغوا إليها بمسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم، وأما النهار فحلماء علماء، أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، لا يرضون من أنفسهم بالقليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، إذا زُكِّيَ

أحدهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بنفسي مني، لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، فمن علامة أحدهم:- أنك ترى له قوةً في الدين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعملاً في حلم، وقصدًا في غنىً، وخشوعًا في عبادة، وَتَجَمُّلًا في فاقة، وصبرًا في شدة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وَتَحَرُّجًا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشكرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذكرُ، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريبًا أمله، قليلًا زلله، خاشعًا قلبه، قانعةً نفسه، مكظومًا غيظه، ميتةً شهوته، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيدًا فحشه، لينًا قوله، غائبًا منكره، حاضرًا معروفه، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يُشْهَدَ عليه، ولا يُضَيِّعُ ما اسْتُحْفِظَ، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضر بالجار، ولا يشمت بالمصائب، إنْ بُغِيَ عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، وليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة}.

وقال موسى بن أعين رحمه الله تعالى:- { المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين}.

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى:- {إنما سُمُّوْا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى، فهو سبحانه أهلٌ أن يُتَّقَى، وَيُخْشَى، وَيُهَابَ، وَيُجَلَّ، وَيُعَظَّمَ في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه، لما يستحقه من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس}.

ولقد كان حبيب قلوبنا المصطفى ﷺ يوصي بالتقوى التي أوصى الله سبحانه وتعالى بها كما عرفنا، وكذلك أصحابه الكرام رضوان ربي تبارك وتعالى عليهم أجمعين، فقد روي :- أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان يقول في خطبته:- { أما بعد:- فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة في الرهبة، وتجمعوا الإلحاف في المسألة، فإن الله عزَّ وجلَّ أثنى على زكريا على السلام وعلى آل بيته فقال:- {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}،(الأنبياء:-٩٠).

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضوان ربي تبارك وتعالى عليه، دعاه فَوَصَّاهُ بوصيةٍ قال في أولها:- {اِتَّقِ الله يا عمر}، وكتب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى ابنه عبد الله رضوان ربي تعالى عليه، أما بعد:- { فإني أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلَّ، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك، وجلاء قلبك}، واستعمل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه رجلًا على سرية فقال له:- {أوصيك بقوى الله عزَّ وجلَّ، ولا بد من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة}، لأنهم فهموا حقيقة التقوى عاشوها واقعًا حياتيًّا، وطبقوها حسىً ومعنىً، فالتقوى كما يقول سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- { هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل}، وقيل:- {التقوى هي أَنْ يُطَاعَ اللهُ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ}، وكما قيل في ذلك أيضًا:-

خلَّ الذنوبَ صغيرهـــــــا وكبيرها ، فهوَ التقـــــــــى

واصنع كماشٍ فـــــــوقَ أر ضِ الشوكِ يحذرُ ما يـــــرى

لا تحقرنّ صغيـــــــــــرةً إنّ الجِبالَ مِن الحَصَـــــــى

فها هم والله أسيادنا ومشايخنا وأئمتنا وقدوتنا أهل التقوى والإيمان الصادق، واليقين المطلق، عاشوا التقوى واقعًا، وطبقوها حقيقةً، وعاملوا الناس بمفهومها، ممتثلين قول أحكم الحاكمين تبارك وتعالى:- { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}،(البقرة:-٨٣)، رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم، وها نحن نبدأ بحمد الله وتوفيقه في شرح بعض وصايا فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره، وأمدنا بمدده، وحشرنا في معيته، وفي زمرته تحت لواء الحمد مع خير الرجال عليه الصلاة والسلام، فإن أصبتُ في ذلك فمن توفيق الله تبارك وتعالى وتسديده لخطاي، ومن بركات شيخنا الجليل ومدده الغزير الذي لا ينقطع عن أحبابه أبدًا حتى وبعد مماته، وإن كانت لأخرى فمن نفسي وتقصيري والهوى والشيطان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

فهرس

الرقم	الموضوع	صفحة رقم
١.	مقدمة الكتاب	
٢.	الوصية الأولى	
٣.	طريقتنا دين بلا بدعة	
٤.	طريقتنا عمل بلا رياء	
٥.	طريقتنا نفس بلا شهوة	
٦.	طريقتنا همة بلا كسل	
٧.	طريقتنا حال بلا محال	
٨.	طريقتنا قلب عامر بالمحبة والإيمان	
٩.	طريقتنا كلها مبنية على نية صادقة خالصة لله رب العالمين	
١٠.	الوصية الثانية	
١١.	طريقتنا أدب	
١٢.	طريقتنا سلوك	
١٣.	طريقتنا محبة	
١٤.	طريقتنا أخلاق	
١٥.	طريقتنا معاملة	
١٦.	الوصية الثالثة	
١٧.	أوصيكم بالمحافظة على الصلاة في جماعة	
١٨.	وانتظار الموت ساعة بعد ساعة	
١٩.	وإياك والغيبة والنميمة	
٢٠.	ولا تبقَ في همِّ رزقك حائرًا	
٢١.	ولا تحتقر من خلق الله أحدًا	
٢٢.	الخاتمة	

{الوصيـــــــــــة الأولـــــــى}

{طريقتنا:- دين بلا بدعة.. وعمل بلا رياء.. ونفس بلا شهوة.. وهمة بلا كسل.. وحال بلا محال.. وقلب عامر بالمحبة والإيمان.. وهذا كله مبني علـــــى نِيَّـــــــــةٍ صادقـــــــــةٍ خالصـــــــةٍ لله رب العالميـــــــن}.

فها هم أسيادنا ومشايخنا وأئمتنا وقدوتنا يوضحون لنا منهاج طريقتنا، وأساسيات دعوتنا، فيقولون:- { طريقتنا:- دين بلا بدعة.. وعمل بلا رياء.. ونفس بلا شهوة.. وهمة بلا كسل.. وحال بلا محال.. وقلب عامر بالمحبة والإيمان.. وهذا كله مبني على نِيَّةٍ صادقةٍ خالصةٍ لله رب العالمين}.

فيا له من منهاج دقيق، ودستور نفيس عميق، مقتبس من كتاب الله، ومستمد من سنة رسول الله ﷺ، فطريقتنا والله واضحة في معالمها وضوح الشمس في ضحاها، منيرة في منهاجها كنور القمر إذا تلاها، فمن سار على دستورها ومنهاجها كان على بينة جلية من أمره كضوء النهار إذا جلاها، ومن أعرض عنها تخبط في ظلمة الليل إذا يغشاها، فتعالوا بنا إخوتي في الله وأحبتي في رسول الله ﷺ لنقف على أقوال أسيادنا ومشايخنا وأئمتنا في شرح منهاج طريقتنا، لتنير قلوبنا بنور الحق المبين، وهدي سيد المرسلين ﷺ، وهذا والله هو شرح منهاج الطريق، طريق الحبيب محمد ﷺ دون تحريف، أو تغيير، أو تبديل، فنقول وبالله التوفيق، والسداد، وإليه المرجع والمآب.

*- طريقتنا:- دين بلا بدعة:-

فمنهاجنا والله هو الاتباع، وليس الابتداع، فنحن متبعون، ولسنا مبتدعين، كما يقول سيدنا الجنيد رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- {مَنْ لَمْ يحفظِ الْقُرْآنَ وَلَمْ يكتبِ الْحَدِيثَ لَا يُقْتَدَى بِهِ فِي هَذَا الأمرِ، لِأَنَّ عِلْمَنَا هَذَا مقيدٌ بالكتابِ وَالسَّنَّةِ}، ويقولُ مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن:- سمعت أبا نصر الأَصْبَهَانِي يَقُول:- سمعت أبا عَلِيّ الروذباري يَقُول عَنِ الجنيد:- مذهبنا هَذَا مقيد بأصول الكتاب والسنة، وَقَالَ الجنيد:- علمنا هَذَا مشيدٌ بحَدِيث رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك امتثالًا لقول الله تبارك وتعالى:- {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}،(الأحزاب:-٢١)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:- قال رسول الله

ﷺ:- {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ}، هذا الحديث الشريف يُستنبط منه أشياء كثيرة منها، أولاً:- "من أحدث في أمرنا .. ومعنى كلمة أمرنا أي في ''ديننا'' .. ما ليس منه فهو ردٌ "، أي أنه مردودٌ بإبطال هذه المحدثات، والحقيقة أن البدعة هي:- الشيء المبتدع الذي لم يكن من قبل، والبدعة نوعان:- هناك بدعةٌ في الدنيا، وهناك بدعةٌ في الدين، فبدعة الدنيا قد تكون مرفوضةٌ أو مقبولة، مرفوضةٌ إذا خالفت أحد نصوص الدين، ومقبولة إذا طابقت أحكام الشريعة السمحة الغراء، ولتوضيح ذلك جليًّا نقول:- لو أن نمطاً من الحفلات قام ولم يكن على عهد رسول الله ﷺ وفيه اختلاط، وكشفٌ للعورات، فهذه بدعة في الدنيا، وما دامت أنها تعارضت مع أحكامٍ أساسيةٍ في الدين، ومع نصوصٍ صريحةٍ فهي مرفوضة رفضاً تامًّا، أما البدعةٌ الحسنة في الدنيا:- فلو أن الماء الساخن صار في كل المساجد، يتوضأ به المصلون في أيام الشتاء القارصة، أو وُضِعَتْ أجهزةُ تكييفٍ في المساجد لِتُبَرِّدَ على المصلين في فصل الصيف الحار، فهذا أمرٌ لم يكن على عهد رسول الله، لكنه بدعةٌ في الدنيا حسنة، فهي مقبولة تمامًا، وعليه فبدعة الدنيا قد تكون مقبولةً أو مرفوضةً، ومقياس القبول أو الرفض مدى انسجامها مع أوامر الشرع الحنيف، أو مدى معارضتها لأحكام الشريعة السمحة الغراء، فأي شيءٍ في بيتك؛ لا يتعارض مع أوامر الشرع، فهو بدعةٌ مباحة ومقبولة في الدنيا، وأي بدعة في الدنيا تتعارض مع النصوص الشرعية، وأحكام الدين الحنيف فهي مرفوضة ومردودة على صاحبها تماماً، إذاً البدعة في الدنيا مقبولة أو مرفوضة، مقبولةٌ إذا لم تتعارض مع أوامر الشرع، ومرفوضةٌ إذا تعارضت مع أوامر الشرع الحنيف، لأن الله سبحانه وتعالى قال:- {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً}،(المائدة:-٣)، لأن دين الله عزَّ وجلَّ جاء بالتمام والكمال، أتدرون ما الفرق بين التمام والكمال؟ التمام يعني أن القضايا التي عرضها الدين هي قضايا شاملة، لم يغادر قضيةً تتعلق بعلاقة الإنسان بربه إلا وعرضها، وعددُ القضايا التي تناولها الدين

في القرآن الكريم عددٌ تامٌّ، لم ينسَ أمر الزواج والطلاق، لم ينسَ أمر الميراث، لم ينسَ أمر البيع والشراء، لم ينسَ أمر السِلم والحرب، لم ينسَ أمر الأسرى، أي أنه لم ينسَ أي موضوعٍ مهمٍّ يتعلق بسعادة الناس في الدنيا والآخرة إلا طرقه وناقشه وشرحه الشرع الحنيف وَبَيَّنَهُ وَوَضَّحَهُ، إذاً:- {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}، فتمام النعمة هو:- التمام من حيث العدد، والكمال:- من حيث النوع، فالموضوعات التي عالجها القرآن الكريم عالجها معالجةً كاملة، وعدد الموضوعات التي تطرَّق إليها القرآن الكريم عددٌ تامٌّ، فالعددُ تامٌّ، وطريقةُ المعالجةِ كاملةٌ، هذا دين الله، هذا شرع الله، والذي أنزله خالق الكون، خالق السماوات والأرض، لذلك لا يمكن أن تفكر في أن تُرَمِّمَ هذا الدين، أو أنْ تَسُدَّ ثغرةً فيه، أو أنْ تُحْدِثَ فيه ما ليس منه، هذا كله رَدٌّ، لذلك فإن بدعة الدين مرفوضة، وهذا سيدنا الصديق رضي الله عنه يقول:- "إنما أنا متبع ولست بمبتدع" فكل، (من أحدث في أمرنا .. أي في ''ديننا'' .. ما ليس منه فهو ''رد'')، لذلك فإن حبيب قلوبنا الرحمة المهداة ﷺ ما ترك شيئاً من أمور هذا الدين الحنيف العظيم إلا وَضَّحَهُ وَبَيَّنَهُ لنا، فقال في الصلاة:- (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وقال في الصيام:- {من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}، وقال في الحج:- {خذوا عني مناسككم}، وهكذا في سائر أحكام الشريعة، ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه ورغبنا وحببنا فيه، وما ترك شرًّا إلا وحذرنا منه، فداه نفسي وأبي وأمي عليه الصلاة والسلام، فالدين قد اكتمل، والنعمة قد تمت، والشرائع قد وضحت، والمعالم لهذا الدين قد بانت، والبناء قد كَمُلَ، وصرح الدين الحنيف قد شمخ، ولا مجال للبدعة، فبدعة الدين مرفوضة كليًّا، فكلُّ أمرٍ محدثٍ ليس من الدين، أي ليس أصل وأساس في هذا الدين {فهو مردود على صاحبه}، لهذا يقول الحق تبارك وتعالى:- { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}،(لقمان:-١٥)، وقد قال فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره مُؤَكِّدًا على الامتثال والاتباع:- {انظر إلى من يدعوك إلى سبيل ربك فإن وجدته مخالفًا للشرع في قليل أو كثير فانفر منه حتى

يفسد عليك دينك ويضلك السبيل، فإن كان تاركًا للصلاة فقد قاطع الرب الجليل، وإن كان مانعًا للزكاة فبئس الرجل ذلك البخيل، وإن كان لا يصوم رمضان ذو عذر فما له عند الله من قبول، وإن كان تاركًا للحج وهو قادر عليه فقد خالف هدي الرسول، وإن أحبك وقربك من أجل شيء من حطام الدنيا فاعلم أن دعايته كذب وتضليل، أما إذا وجدته يدعوك لله لا يريد منك جزاءً ولا شكورًا، ووجدته يحبك في الله ويحذرك من يوم كان شره مستطيرًا، ووجدته يؤدي فرائضَ رَبِّهِ وَسُنَّةَ من قد أرسله الله مبشرًا ونذيرًا، فعليك وجب اتباعه وتأييده وإلا كان قلبك بورًا، وكيف لا تفعل ما أمرك الله به حيث قال:- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}،(الكهف:-٢٨)، وقد كثر الكلام عن البدعة، فمن الناس من يقسمها إلى قسمين، ومن الناس من لا يفرق فيجعل كل محدَث بعد الرسول مهما كان... هو من البدع الضلالة، لذلك فقد سئل بعض ساداتنا أهل العلم عن ضرورة توضيح الأمر على حقيقته عند أهل السُنَّةِ والجماعة مع ذكر الأدلة الشرعية عند المذاهب الأربعة، مع بيان معنى البدعة لغة واصطلاحاً فقال:-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ:- الحمد لله رب العالمين، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل، وصلواتُ الله البرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدنا محمد وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين وعلى آل كُلٍّ وصحبِ كُلٍّ وسائر الصالحين، أما بعد فهذا بيان أن:- البدعة بدعتان عند أهل السُنَّةِ والجماعةِ، وحديث:- وكل بدعة ضلالة، عام مخصوص.

*- تعريف البدعة:-

*- البدعة لغةً:- ما أُحْدِثَ على غير مثالٍ سابقٍ، يقال:- جئتُ بأمرٍ بديعٍ أي محدثٍ عجيبٍ لم يعرفْ قبل ذلك.

*- وفي الشرع:- المحدَث الذي لم ينصَّ عليه القرآن ولا جاء في السنة، كما ذكر ذلك اللغوي المشهور الفيومي في كتابه "المصباح المنير" مادة "بَ دَ عَ "، وذكر ذلك أيضًا الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في "تاج العروس" مادة "بَ دَ عَ "، ففي "المصباح المنير" (ص/١٣٨):- أبدع الله تعالى الخلق إبداعًا، أي خلقهم لا على مثال، وأبدعتُ وأبدعتُهُ، أي استخرجتُهُ وأحدثتُهُ ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة، وهى اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع، ثم غلب استعمالها فيما هو نقصٌ في الدين أو زيادةٌ لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة، وهو ما شهد لجنسه أصل في الشرع أو اقتضته مصلحة يندفع بها مفسدة"، وفى المعجم الوجيز (ج١/ص٤٥):- "هي ما استحدث في الدين وَغَيَّرَهُ، فتقول بَدَعَهُ بدعًا، أي أنشأه على غير مثال سابق".

*- أقسام البدعة:- قال ابن العربي:- " ليست البدعة والمحدَث مذمومين للفظ بدعة ومحدث ولا معنييهما، وإنما يُذَمُّ منَ البدعةِ ما يخالفُ السُّنَّةَ، وَيُذَمُّ من المحدثات ما دعا إلى الضلالة".

*- وقال النووي في كتاب تهذيب الأسماء واللغات، مادة (ب د ع) في (ج٣/٢٢) ما نصه:- "البدعة بكسر الباء في الشرع هي:- إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة، قال الإمام الشيخ المجمع على إمامته وجلالته وتمكّنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمّد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب القواعد:- "البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرّمة ومندوبة ومكروهة ومباحة، قال:- والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في

قواعد التحريم فمحرّمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة"، انتهى كلام النووي، فالبدعة تنقسم إلى قسمين:- بدعة ضلالة:- وهي المحدثةُ المخالفةُ للقرآنِ والسُّنَّةِ، وبدعة هدى:- وهي المحدثة الموافقة للكتاب والسنة، وهذا التقسيم مفهوم من حديث البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت:- قال رسول الله ﷺ:- "مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، ورواه مسلم بلفظ آخر وهو:- "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"، فأفهم رسول الله ﷺ بقوله:- "ما ليس منه" أن المحدَث إنما يكون ردًّا أي مردودًا إذا كان على خلاف الشريعة، وأن المحدَث الموافق للشريعة ليس مردودًا، وهو مفهوم أيضًا مما رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- "منْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وَمَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

*- وفي صحيح البخاري في كتاب صلاة التراويح ما نصه:- "قال ابن شهاب:- فتوفي رسول الله ﷺ والناس على ذلك"، قال الحافظ ابن حجر:- "أي على ترك الجماعة في التراويح"، ثم قال ابن شهاب في تتمة كلامه:- " ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنه"، وفي البخاري أيضًا تتميمًا لهذه الحادثة عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ أنه قال:- خرجتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر:- إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئٍ واحدٍ لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أُبيّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر:- "نعم البدعة هذه"، وفي الموطأ بلفظ:- "نِعمت البدعة هذه"، فإن قيل:- أليس قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن العرباض بن

سارية:- "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"، فالجواب:- أن هذا الحديث لفظه عام ومعناه مخصوص بدليل الأحاديث السابق ذكرها فيقال:- إن مراد النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث على خلافِ الكتابِ أو السُّنَّةِ أو الإجماعِ أو الأثرِ، هذا وأما من حيث التفصيل فالبدعة منقسمة إلى الأحكام الخمسة وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام كما نص علماء المذاهب الأربعة:-

***- المذهـــــــــــب الحنفـــــــــي:-**

١- قال الشيخ ابن عابدين الحنفي في حاشيته (٣٧٦/١):- "فقد تكون البدعة واجبة كنصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة، وتعلّم النحو المفهم للكتاب والسُّنَّةِ، ومندوبة كإحداثِ نحوِ رباطٍ ومدرسةٍ، وكل إحسان لم يكن في الصدر الأول، ومكروهة كزخرفة المساجد، ومباحة كالتوسع بلذيذ المآكل والمشارب والثياب" انتهى.

٢- قال بدر الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري (ج١١/١٢٦) عند شرحه لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه:- "نعمت البدعة" وذلك عندما جمع الناس في التراويح خلف قارئٍ وكانوا قبل ذلك يُصَلُّونَ أوزاعًا متفرقين:- "والبدعة في الأصل إحداث أمر لم يكن في زمن رسول الله ﷺ، ثم البدعة على نوعين، إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي بدعة حسنة وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح في الشرع فهي بدعة مستقبحة" انتهى.

***- المذهـــــــــــب المالكـــــــــــي:-**

١- قال محمد الزرقاني المالكي في شرحه للموطأ (ج١/٢٣٨) عند شرحه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:- "نعمت البدعة هذه" فسماها بدعة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يسنّ الاجتماع لها ولا كانت في زمان الصديق، وهي لغة ما أُحدث على غير مثال سبق وتطلق شرعًا على

مقابل السُّنَّةِ وهي ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم، ثم تنقسم إلى الأحكام الخمسة، انتهى.

٢- قال الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي المالكي في كتاب المعيار المعرب (ج١/٣٥٧-٣٥٨) ما نصه:- "وأصحابنا وإن اتفقوا على إنكار البدع في الجملة فالتحقيق الحق عندهم أنها خمسة أقسام"، ثم ذكر الأقسام الخمسة وأمثلة على كل قسم ثم قال:- "فالحق في البدعة إذا عُرضت أن تعرض على قواعد الشرع فأي القواعد اقتضتها ألحقت بها، وبعد وقوفك على هذا التحصيل والتأصيل لا تشك أن قوله ﷺ:- " كل بدعة ضلالة"، من العام المخصوص كما صرح به الأئمة رضوان الله عليهم".

***- المذهـــــــــــــــب الشافعـــــــــــــــي:-**

(١)- قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه:-

أ- قال الشافعي رضي الله عنه:- المحدثات من الأمور ضربان أحدهما:- ما أحدث يخالف كتابًا أو سُنَّةً أو أثرًا أو إجماعًا فهذه البدعة الضلالة، والثاني:- ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة، رواه البيهقي في (مناقب الشافعي) (ج١/٤٦٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): (٢٦٧/١٣).

ب- روى الحافظ أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء (ج ٩ ص٧٦) عن إبراهيم بن الجنيد قال:- حدثنا حرملة بن يحيى قال:- سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه يقول:- البدعة بدعتان، بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السُّنَّةَ فهو محمود، وما خالف السُّنَّةَ فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان:- "نعمت البدعة هي".

٢- قال أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، كتاب آداب الأكل (ج٣/٢) ما نصه:- "وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهيًا بل المنهي بدعة تضاد سُنَّةً ثابتةً وترفع أمرًا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب".

٣- قال العز بن عبد السلام في كتابه "قواعد الأحكام" (ج١٧٢/٢-١٧٤):- البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرّمة ومندوبة ومكروهة ومباحة ثم قال:- والطريق في ذلك أن تُعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، انتهى.

٤- قال النووي في شرحه على صحيح مسلم"(١٥٤/٦-١٥٥):- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:- (وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) هذا عامٌّ مخصوص، والمراد:- غالب البدع، قال أهل اللُّغة:- هي كلّ شيء عُمِلَ عَلَى غير مثال سابق، قال العلماء:- البدعة خمسة أقسام:- واجبة، ومندوبة، ومحرَّمة، ومكروهة، ومباحة، فمن الواجبة:- نظمُ أدلَّةِ المتكلّمين للرَّدّ عَلَى الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة:- تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والرّبط وغير ذلك، ومن المباح:- التّبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران، وقد أوضحت المسألة بأدلَّتها المبسوطة في (تهذيب الأسماء واللُّغات) فإذا عرف ما ذكرته علم أنَّ الحديث من العامّ المخصوص، وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة، ويؤيّد ما قلناه قول عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في التّراويح:- "نعمت البدعة"، ولا يمنع من كون الحديث عامًّا مخصوصًا قوله:- (كُلُّ بِدْعَةٍ) مؤكّدًا بـــ "كُلِّ"، بل يدخله التَّخصيص مع ذلك كقوله تعالى:- {تُدَمّرُ كُلَّ شَيءٍ}،(الأحقاف:-٢٥).

*- وقال النووي أيضا "في شرحه على صحيح مسلم"(٢٢٦/١٦-٢٢٧):- قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- (مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا...) إلى آخره، فيه:- الحث على الابتداء

بالخيرات، وسنِّ السُّنَنِ الحسناتِ، والتحذيرِ من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله:- "فجاءَ رجلٌ بِصُرَّةٍ كادتْ كَفُّهُ تَعْجَزُ عنها فتتابعَ الناسُ"، وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفاتح لباب هذا الإحسان، وفي هذا الحديث:- تخصيص قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة.

٤- قال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في الفتح (ج٤/٢٩٨):- قوله قال عمر:- "نعم البدعة" في بعض الروايات "نعمت البدعة" بزيادة التاء، والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السُّنَّةِ فتكون مذمومة، والتحقيق إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة، انتهى.

*- وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، المجلد الثاني، كِتَاب الْجُمُعَةِ، باب الأَذَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ:- "وكل ما لم يكن في زمنه- ﷺ - يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسنًا ومنها ما يكون بخلاف ذلك ".

*- المذهـــــــــــــب الحنبلـــــــــــــي:-

*- قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في كتابه "المطلع على أبواب المقنع" (ص٣٣٤) من كتاب الطلاق:- "والبدعة مما عُمل على غير مثال سابق، والبدعة بدعتان:- بدعة هدى وبدعة ضلالة، والبدعة منقسمة بانقسام أحكام التكليف الخمسة".

*- فوائـــــــد متعلقـــــــة بالموضـــــــوع:-

(١)- قال ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث"(١/١٠٦- ١٠٧):- وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان:- نِعْمَت البِدْعة هذه، البدعة بِدْعَتَان:- بدعة هُدًى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمَر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حَيّز الذّم والإنكار، وما كان واقعًا تحت عُموم ما نَدب الله إليه وحَضَّ عليه الله أو رسوله ﷺ فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنَوْع من الجُود والسخاء وفعْل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما وَرَدَ الشرع به؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جَعل له في ذلك ثوابًا فقال:- "منْ سَنَّ سُنَّةً حسَنةً كان له أجْرها وأجرُ من عَمِل بها"، وقال في ضِدّه:- "ومنْ سَنَّ سُنَّةً سيّئةً كان عليه وزْرُها وَوِزْرُ من عَمِل بها"، وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هذا النوع قولُ عمر رضي الله عنه:- "نِعْمَت البدعة هذه"، لمـَّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدَحها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَسِنَّها لهم، وإنما صلاّها لَياليَ ثم تَركَها ولم يحافظ عليها، ولا جَمع الناسَ لها، ولا كانت في زمن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وإنما سيدنا عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها ونَدَبهم إليها، فبهذا سمّاها بدعة، وهي على الحقيقة سُنَّة، لقوله صلى الله عليه وسلم:- عليكم بسُنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشِدين من بعْدي، وقوله:- اقتدُوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وعَلَى هذا التأويل يُحمل الحديث الآخر:- كل مُحْدَثة بدعةٌ، إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السُّنَّة.

(٢)- قال في روح البيان في تفسير القرءان (ج ٩ ص ٢):- "ومن تعظيمه- صلى الله عليه وسلم – عمل المولد إذا لم يكن فيه منكر قال الإمام السيوطي قَدَّسَ سِرَّهُ يستحب لنا إظهار الشكر لمولده عليه السلام، انتهى، وقد اجتمع عند الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه عليه السلام:-

قليلٌ لمدحِ المصطفى الخطُّ بالذهَبْ على وَرِقٍ مِن خَطِ أحسنِ مَن كتبْ

وأن تَنْهضَ الأشرافُ عندَ سَماعِـــهِ قيامًا صفوفًا أو جُثِيًّا على الرُكـــبْ

*- فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس عظيم بذلك المجلس ويكفي ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيتمي إن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك ''أي بدعة حسنة''، قال السخاوي لم يفعله أحد من القرون الثلاثة وإنما حدث بعد ذلك، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر من بركاته عليهم كل فضل عظيم.

*- وقال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، وأول من أحدثه من الملوك صاحب أربل وصنف له ابن دحية رحمه الله كتابًا في المولد سماه ''التنوير بمولد البشير النذير'' فأجازه بألف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلاً من السنة وكذا الحافظ السيوطي".

(٣)- قال الحطاب المالكي في مواهب الجليل (ج ٢ص ٩):- وقال السخاوي في القول البديع:- أحدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ عقب الأذان للفرائض الخمس إلا الصبح والجمعة فإنهم يقدمون ذلك قبل الأذان، وإلا المغرب فلا يفعلونه لضيق وقتها، وكان ابتداء حدوثه في أيام الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وبأمره، وذكر بعضهم أن أمر الصلاح ابن أيوب بذلك كان في أذان العشاء ليلة الجمعة، ثم إن بعض الفقراء زعم أنه رأى رسول اللَّه ﷺ وأمره أن يقول للمحتسب أن يأمر المؤذنين أن يصلوا عليه عقب كل أذان فَسُرَّ المحتسب بهذه الرؤيا فأمر بذلك واستمر إلى يومنا هذا، وقد اختلف في ذلك هل هو مستحب أو مكروه أو بدعة أو مشروع؟ واستدل للأول بقوله تعالى:- {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ} ومعلوم أن الصلاة

والسلام من أجلِّ القربِ لا سيما وقد تواترت الأخبار على الحث على ذلك مع ما جاء في فضل الدعاء عقبه، والثلث الأخير وقرب الفجر، والصواب أنه بدعة حسنة وفاعله بحسب نيته، انتهى.

(٤)- قال في حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح (ج١ ص ١٠٣):- "وأول ما زيدت الصلاة على النبي بعد الأذان على المنارة في زمن حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدي، وذلك في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة كذا في الأوائل للسيوطي، والصواب من الأقوال أنها بدعة حسنة".

(٥)- قال في اللباب في شرح الكتاب (ج١ ص ٦٨٤):-" قال في الدر:- وعلى هذا لا بأس بكتابة أسامي السور وعد الآي، وعلامات الوقف ونحوها، فهي بدعة حسنة، درر وقنية".

(٦)- قال الإمام المحدث الفقيه المفسر اللغوي الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي في كتابه صريح البيان (ج١/٢٨٠):- قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:- {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}،(الحديد:-٢٧)، فهذه الآية يستدلّ بها على البدعة الحسنة، لأن معناها مدح الذين كانوا مسلمين مؤمنين من أمّة عيسى متبعين له عليه السلام بالإيمان والتوحيد، فالله تعالى مدحهم لأنهم كانوا أهل رأفة ورحمة ولأنهم ابتدعوا رهبانية، والرهبانية هي الانقطاع عن الشهوات، حتى إنهم انقطعوا عن الزواج رغبة في تجرّدهم للعبادة، فمعنى قوله تعالى:- ''مَا كَتَبْنَاهَا''، أي نحن ما فرضناها عليهم إنما هم أرادوا التقرّب إلى الله، فالله تعالى مدحهم على ما ابتدعوا مما لم ينصَّ لهم عليه في الإنجيل ولا قال لهم المسيح بنصٍّ منه، إنما هم أرادوا المبالغة في طاعة الله تعالى والتجردّ بترك الانشغال بالزواج ونفقة الزوجة والأهل، فكانوا يبنون الصوامع أي بيوتًا خفيفة من

طين أو من غير ذلك على المواضع المنعزلة عن البلد ليتجرّدوا للعبادة، ثم بدأ بذكر أمثلة على البدعة الحسنة:-

*- ومما يدلّ على أنه ليس كل ما أحدث بعد رسول الله أو في حياته مما لم ينصّ عليه بدعة ضلالة إحداث خبيب بن عدي ركعتين عندما قُدّم للقتل، كما جاء ذلك في صحيح البخاري...ومما يدلّ أيضًا على ذلك أن الصحابة الذين كتبوا الوحي الذي أملاه عليهم الرسول، كانوا يكتبون الباء والتاء ونحوهما بلا نقط، ثم إن سيدنا عثمان بن عفّان لما كتب ستة مصاحف وأرسل ببعضها إلى الآفاق إلى البصرة ومكّة وغيرهما واستبقى عنده نسخة كانت غير منقوطة، وإنما أوّل مَن نقط المصاحف رجل من التابعين من أهل العلم والفضل والتقوى، يقال له يحيى بن يعمر، ففي كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني (ص/١٥٨) ما نصّه:- "حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمّد بن عبد الله المخزوميُّ، حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك، حدّثنا الحسين بن الوليد، عن هارون بن موسى قال:- أوّل مَن نقط المصاحف يحيى بن يعمر"، وكان قبل ذلك يكتب بلا نقط، فلما فعل هذا لم ينكر العلماء عليه ذلك، مع أن الرسول ما أمر بنقط المصحف، فمن قال كل شيء لم يُفعل في عهد رسول الله ﷺ بدعة ضلالة، فليبدأ بكشط النقط من المصاحف حتى ابن تيمية زعيمهم ذكر في فتاويه (٤٠٢/٣) ما نصه:- "قيل:- لا يكره ذلك لأنه بدعة، وقيل:- لا يكره للحاجة إليه، وقيل:- يكره النقط دون الشكل لبيان الإعراب، والصحيح أنه لا بأس به".

(٧)- قال أبو الفضل عبد الله الصديق الغماري في كتابه إتقان الصنعة (ص/١٤):- يعلم مما سبق أن العلماء متفقون على انقسام البدعة إلى محمودة ومذمومة وأن عمر رضى الله عنه أول من نطق بذلك ومتفقون على أن قول النبي ﷺ "كل بدعة ضلالة" عام مخصوص ولم يشذ عن هذا الاتفاق إلا " الشاطبي" صاحب الاعتصام فإنه أنكر هذا الانقسام".

*- ملاحظة:- إلى هؤلاء الذين يوافقون ابن تيمية في بدع الضلالة كالتجسيم، نقول لهم:- هل توافقونه في هذا؟

*- يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج١/١٦١-١٦٢) وفي كتابه المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ج٢/٢٨) ما نصه:-

*- وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين، ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي على أنها مستحبة، فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله.

*- وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج٢٠/١٦٣):-

*- قال الشّافعيّ – رحمه الله تعالى:- البدعة بدعتان:- بدعة خالفت كتابًا وسنّةً وإجماعًا وأثرًا عن بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهذه بدعة ضلالةٍ، وبدعة لم تخالف شيئًا من ذلك فهذه قد تكون حسنةً لقول عمر:- نعمت البدعة هذه هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصّحيح في المدخل.

*- وقال في مجموع الفتاوى (ج٢٧/١٥٢):- إذًا البدعة الحسنة – عند من يقسّم البدع إلى حسنةٍ وسيّئةٍ – لا بدّ أن يستحبّها أحد من أهل العلم الّذين يقتدى بهم ويقوم دليل شرعيّ على استحبابها وكذلك من يقول:- البدعة الشّرعيّة كلّها مذمومة لقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصّحيح:- {كلّ بدعةٍ ضلالة} ويقول قول عمر في التّراويح:- " نعمت البدعة هذه " إنّما أسماها بدعةً:- باعتبار وضع اللّغة، فالبدعة في الشّرع عند هؤلاء ما لم يقم دليل شرعيّ على استحبابه.

*- وقال ابن تيمية في كتابه المسمى الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ج١/١٦٢):-

*- قال الشّافعيّ:- " البدعة بدعتان:- محمودة ومذمومة، فما وافق السّنّة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم " أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشّافعيّ، وجاء عن الشّافعيّ أيضًا ما أخرجه البيهقيّ في مناقبه قال:- "المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتابًا أو سنّة أو أثرًا أو إجماعًا فهذه بدعة الضّلال، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئًا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة " انتهى، وقسّم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة وهو واضح.

*- ويقول ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم (ص/٢٩٧):- فتعظيم المولد واتخاذه موسمًا قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسبحان الله والحمد لله رب العالمين، وهذا ما أكد عليه فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره، وَطَيَّبَ الله ثراه، وهي أن تكون جميع أفعالنا وأقوالنا وأحوالنا وحركاتنا وسكناتنا، وذهابنا وإيانا، وغدونا ورواحنا مستمدة من كتاب الله تعالى، ومستوحاة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومقتبسة من سِيَرِ سلفنا الصالحين، وعباد الله المقربين، وصفوته المخلصين، وأن تكون جميع أفعالنا ابتغاء مرضاته جلَّ وعلا، لا طمعًا في جنة أو خوفًا من نار، بل حبًّا وشوقًا له تبارك وتعالى، وذلك امتثالًا لقوله عزَّ وجلَّ:- {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}،(الكهف:-١١٠)، فالجنة أحد، والنار أحد، والعارف بالله تعالى لا يبتغي بعبادته سوى رضا الواحد الأحد، لهذا لا بد من مداومة ذكر الله تبارك وتعالى وابتغاء مرضاته عزَّ وجلَّ حتى يقول الناس إنه مجنون، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:- { أكثروا ذكر الله حتى يقولوا:- مجنون}، وفي هذا المعنى يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:-

جنونك في هواهم فرض عيـــــــن وظلم لوم مجنون الجمـــــــــال

فمن ذاق طعم حلاوة الإيمان ولذة ذكر الله تعالى عرف، كما قيل في ذلك:- ''من ذاق عرف، ومن عرف اعترف، ومن اعترف اغترف، ومن اغترف أدمن ما عرف''، وهذا التعبير مشهور عند أهل الكمال وسادات الرجال، وهو مرتبط في الأساس بالحالة الروحية والقلبية والوجدانية التي يوجد عليها الصوفي حين يستشعر لذة المناجاة مع الله والأنس به والقرب منه تبارك وتعالى، وهو منْ ثَمَّ يحاول الاستزادة والاغتراف من هذه اللذة وتحصيل أكبر قدر منها، ما وسعه إلى ذلك سبيلاً، وهذه حقيقة مجردة، إذ كيف يعرف الإنسان حلاوة شيء دون أن يتذوقه ويعرف كنهه وطبيعته؟! هذا فضلاً عن أن محاولة الإنسان تذوق أي شيء يقابله تمثل فطرة أصيلة فيه، من هنا كان التذوق عند هؤلاء علماً وخلقاً وسلوكاً، سبيلاً إلى المعرفة، أي إلى معرفة الله والتوصل إلى إدراك عظمته وجلاله وكماله سبحانه وتعالى، {كما روي أن مجنونًا مرَّ على عابدٍ يناجي ربه وهو يبكي والدموع منهمرة على خديه وهو يقول:- ربي لا تدخلني النار فارحمني وارفق بي، يا رحيم يا رحمن لا تعذبني بالنار، إني ضعيف فلا قوة لي على تحمل النار فارحمني، وجلدي رقيق لا يستطيع تحمل حرارة النار فارحمني، وعظمي دقيق لا يقوى على شدة النار فارحمني، ضحك المجنون بصوت مرتفع، فالتفت إليه العابد قائلاً:- ماذا يضحكك أيها المجنون؟ قال كلامك أضحكني، فقال العابد:- وماذا يضحكك فيه؟ فقال المجنون:- لأنك تبكي خوفًا من النار، فقال العابد:- وأنت ألا تخاف من النار؟ قال المجنون:- لا، لا أخاف من النار، ضحك العابد وقال:- صحيح أنك مجنون، قال المجنون:- كيف تخاف من النار أيها العابد وعندك رب رحيم رحمته وسعت كل شيء؟ قال العابد:- إن عليَّ ذنوبًا لو يؤاخذني الله بعدله لأدخلني النار وإني أبكي كي يرحمني ويغفر لي، ولا يحاسبني بعدله بل بفضله ولطفه ورحمته حتى لا أدخل النار؟ هنالك ضحك المجنون بصوت أعلى من المرة السابقة، انزعج العابد وقال:- ما يضحكك؟ قال أيها العابد:- عندك رب عادل لا يجور وتخاف عدله؟ عندك رب غفور رحيم تواب وتخاف

ناره؟ قال العابد:- ألا تخاف من الله أيها المجنون؟ قال المجنون:- بلى، إني أخاف الله ولكن خوفي ليس من ناره، تعجب العابد وقال:- إذا لم يكن من ناره فمما خوفك؟ قال المجنون:- إني أخاف من مواجهة ربي وسؤاله لي:- لماذا يا عبدي عصيتني؟ فإن كنت من أهل النار فأتمنى أن يدخلني النار من غير أن يسألني فعذاب النار أهون عندي من سؤاله سبحانه وتعالى، فأنا لا أستطيع أن أنظر إليه بعين خائنة وأجيبه بلسان كاذب، إن كان دخولي النار يرضي حبيبي فلا بأس، تعجب العابد وأخذ يفكر في كلام هذا المجنون، قال المجنون:- أيها العابد سأقول لك سرًّا فلا تذيعه لأحد، فقال العابد:- ما هو هذا السر أيها المجنون العاقل؟ أيها العابد:- إن ربي لن يدخلني النار أتدري لماذا؟ لماذا يا مجنون؟ لأني عبدته حبّاً وشوقاً، وأنت يا عابد عبدته خوفًا وطمعاً، وظني به أفضل من ظنك، ورجائي منه أفضل من رجائك، فكن أيها العابد لما لا ترجو أفضل مما ترجو، فموسى عليه السلام ذهب لإحضار جذوة من النار ليتدفأ بها فرجع بالنبوة، وأنا ذهبت لأرى جمال ربي فرجعت مجنونًا، ذهب المجنون يضحك والعابد يبكي، ويقول لا أصدق أن هذا مجنون فهذا أعقل العقلاء وأنا المجنون الحقيقي فسوف اكتب كلامه بالدموع}.

*- ومما يروى أيضًا:- أن إبراهيم بن أدهم كان من ملوك خراسان، وكان مولعًا بالصيد، فخرج ذات مرة لملاحقة أرنبًا بريًّا، فأوغل في الصحراء، فأنطق الله تعالى قربوس سرجه فقال:- " يا إبراهيم ما لهذا خلقت عبادي، ولا بهذا أمرت أهل ودادي، فاترك مرادك لمرادي، وإلا فأنت من أهل عنادي، قال إبراهيم:- فأصابني السهم في مقتل فؤادي، فتغربت عن أهلي وبلادي، وتركت زوجتي وأولادي، وعدت إلى من إليه مرجعي ومعادي".

*- ولما سئل إبراهيم بن أدهم لِمَ لا تخالطْ الناسَ؟ فقال:- إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن

ليس في صحبته ملل ولا وصلة انقطاع ولا في الأنس به وحشة، ومن أقواله أيضًا:- الفقر مخزون في السماء، يعدل الشهادة عند الله، لا يعطيه إلا لمن أحبه، وقال:- على القلب ثلاثة أغطية:- الفرح، والحزن، والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، ودليل ذلك قول الحق تبارك وتعالى في كتابه المبين:- {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}،(الحديد:-٢٣)، وقلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تكثر الهم والجزع.

*- وكان إبراهيم بن أدهم يمشي في البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا:- ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا، والله تعالى يقول:- {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}،(غافر:-٦٠)، فقال:- يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء:- عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، قرأتم القرآن ولم تعملوا به، ادعيتم حب الرسول ﷺ وتركتم سنته، ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه، ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها، ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم، قلتم الموت حق ولم تستعدوا له، اشتغلتم بعيوب الناس ولم تنشغلوا بعيوبكم، دفنتم الأموات ولم تعتبروا، أكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها، وكان يقول:- {ما لنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا}.

*- وقال رجل لإبراهيم بن أدهم:- إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء!! فقال:- لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف، يقول إبراهيم بن أدهم:- " إذا كنت بالليل نائمًا وبالنهار هائماً وفي المعاصي دائماً فكيف تُرضي من هو بأمورك قائماً؟!، وقال:- إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق في قلبك، والاشتغال عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل،

فكر في ذنبك وتب إلى ربك ينبت الورع في قلبك واقطع الطمع إلا من ربك، لأن الإنسان في هذه الدنيا لم يخلق عبثًا، ولم يترك هملًا، مصداقًا لقوله تعالى:- { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}،(المؤمنون:-١١٥)، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

***- طريقتنا عمـــــل بـــلا ريـــــــاء:-**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:- فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً، والخالص هو:- ما ابتُغِيَ به وجه الله تعالى، والصواب هو:- ما كان موافقاً لهدي رسول الله - ﷺ- قال الله تعالى:- {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}،(البينة:-٥)، وقال:- {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، (الكهف:-١١٠)، أما الرِّياء:- فمشتقٌّ من (الرؤية)، وهو أن يعمل العمل ليراه الناس، وهو من الشِّرك الخفيّ؛ وقد روى الإمام أحمد، عن محمود بن لَبِيد، أن النبي ﷺ قال:- "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، قالوا:- يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال:- "الرِّياء"، والعمل إن لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى - رُدَّ على صاحبه؛ قال ﷺ:- "قال الله تعالى:- أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (رواه مسلم من حديث أبي هريرة)، وروى أيضًا من حديث عائشة أنه ﷺ قال:- "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ"، أما إفساد الرِّياء للعمل وإحباطه للأجر، ففيه تفصيلٌ؛ ذكره الحافظ ابن رجب، فقال:- "واعلم:- أن العمل لغير الله أقسام:- فتارةً يكون الرِّياء محضاً؛ بحيث لا يُراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عزَّ وجلَّ:- {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً}،(النساء:-١٤٢)، وهذا الرِّياء المحض لا يكاد يَصْدُرُ من مؤمنٍ في فرض الصلاة والصيام، وقد يَصْدُرُ في الصَّدقة الواجبة أو

الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يَتعدَّى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيزٌ، وهذا العمل لا يشكُّ مسلمٌ أنه حَابِطٌ، وأن صاحبه يستحقُّ المقت من الله والعقوبة، وتارةً يكون العمل لله، ويشاركه الرِّياء، فإن شاركه في أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدلُّ على بطلانه وحبوطه أيضاً، كالحديث السابق:- "أنا أغنى الشركاء عن الشرك"، وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، من حديث أبي سعيد بن أبي فضالة قال:- قال رسول الله ﷺ:- "إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين ليومٍ لاريب فيه، نادى منادٍ:- مَنْ كان أشرك في عملٍ عمله لله - عزَّ وجلَّ، فليطلب ثوابه من عند غير الله - عزَّ وجلَّ؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك"، وخرَّج النَّسائي بإسناد جيد، عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال:- يا رسول الله، أرأيتَ رجلاً غزا يلتمس الأجرَ والذِّكْرَ؟ فقال رسول الله ﷺ:- "لا شيء له"، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ:- "لا شيء له"، ثم قال:- "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتُغِيَ به وجهه"، ولا نعرف عن السلف في هذا خلافاً، وإن كان فيه خلافٌ عن بعض المتأخِّرين، وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نيَّة الرِّياء، فإن كان خاطراً دفعه؛ فلا يضرُّه بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضرُّه ذلك، ويُجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلافٌ بين العلماء من السَّلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجَّحَا أن عمله لا يبطُلُ بذلك، وأنه يُجازى بنيَّته الأولى، وهو مرويٌّ عن الحسن البصري وغيره، وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عملٍ يرتبط آخره بأوله، كالصلاة، والصيام، والحجِّ، فأما ما لا ارتباط فيه، كالقراءة، والذِّكْر، وإنفاق المال، ونشر العلم؛ فإنه ينقطع بنيَّة الرِّياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نيَّة، فأما إذا عَمِل العملَ لله خالصاً، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك؛ لم يضرَّه ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟

فقال:- "تلك عاجلُ بُشرى المؤمن" (أخرجه مسلم)، ثم قال رحمه الله:- "وبالجملة، فما أحسن قول سهل بن عبدالله التُّسْتَرِيّ:- ليس على النفس شيءٌ أشقُّ من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيبٌ، وقال يوسف بن الحسين الرازي:- أعزُّ شيءٍ في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهدُ في إسقاط الرِّياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر!"، فلا تعمل الخير يا أخي رياء ولا تتركه حياء، لأنه كما قال ﷺ:- {نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكلٌّ يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملًا، ثار في قلبه نور}، وإن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها، والعمل يخالطه الرياء، فإن النية المجردة من العمل يثاب عليها والعمل المجرد عن النية لا يثاب عليه، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأئمة أن من عمل الأعمال الصالحة بغير إخلاص لله لم يقبل منه ذلك، وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال:- "من هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة"، لذلك فإن كل من نوى الخير وعمل منه مقدوره وعجز عن إكماله كان له أجر عامله، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:- "إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم قالوا:- وهم بالمدينة قال:- وهم بالمدينة حبسهم العذر"، وقد صحح الترمذي حديث أبي كبشة الأنماري عن النبي ﷺ "أنه ذكر أربعة رجال:- رجل آتاه الله مالًا وعلمًا فهو يعمل فيه بطاعة الله، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالًا، فقال:- لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان، قال:- فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالًا ولم يؤته علمًا فهو يعمل فيه بمعصية الله، ورجل لم يؤته الله مالًا ولا علمًا فقال:- لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان قال:- فهما في الوزر سواء"، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:- "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" وفي

الصحيحين عنه ﷺ أنه أنه قال:- "إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمله وهو صحيح مقيم"، وعليه فإن المؤمن مجزيٌّ بنيته وعمله، فالمرء يبعث على نيته يوم القيامة، وقد قال الفضيل بن عياض – رحمه الله – كما في شعب الأيمان:- ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما، وهكذا تعلمنا من مشايخنا وساداتنا وأئمتنا أن يكون عملنا كله لله بنية والتزام، لا يخالطه شرك ولا رياء ولا سمعة، قال الفضيل بن عياض:- أدركنا أناسًا يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون، فنحن الآن أعربنا في القول، وأخللنا في العمل، حتى أصبح إخلاصنا يحتاج إلى إخلاص، قال يحيى بن أبي كثير:- تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل، قال نعيم بن حماد:- ضرب السياط أهون علينا من النية الصالحة، سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الصّدق والإخلاص فقال:- بهذا ارتفع القوم، فالإخلاص مِسك القلب، وماء حياته، ومدار الفلاح كلّه عليه، قال أبو عثمان المغربي:- الإخلاص:- نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، قيل في تعريف الإخلاص:- أن تكون حركة العبد في سرّه وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا، ولله در القائل:-

متى صحّ منك الود فالكل هيّـــــن وكل الذي فوق التراب تـــــــــــراب

قال ابن عباس:- إنما يحفظ الرجل على قدر نيته، قيل لأحد السلف:- ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟، قال:- لأنهم تكلموا لعزِّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعزِّ النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق.

*- قالت رقية العابدة:- تفقّهوا في مذاهب الإخلاص، كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة، وكان ابن أبي ليلى إذا دخل أحد

وهو يصلي اضطجع على فراشه، عن محمد بن إسحاق:- كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل، وعن ابن عائشة قال:- سمعت أهل المدينة يقولون:- ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين، قالت سرّية الربيع بن خثيم:- كانت أعمال الربيع سرًّا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف، فيغطيه بثوبه، قال سفيان الثوري:- البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله وواحد لله، فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير، من شدة إخلاصهم رحمهم الله تعالى – قال بعضهم:-

وأخرج من بين البيوت لعلنـــــــي أحدث عنك القلب بالسر خاليـــــــا

كان أحد السلف إذا وعظ وتأثر خاف من الرياء فيمسح وجهه ويقول:- ما أشد الزكام!، قال ابن الجوزي:- كان ابن سيرين يتحدث بالنهار ويضحك، فإذا جاء الليل فكأنما قتل أهل القرية، ولله در القائل:-

نهاري نهار الناس حتى إذا بـــدا الليل هزتني إليك المضاجـــــــــع

قال الحسن البصري:- إن كان الرجل ليجلس بالمجلس فتجيئه عبرته فيردّها، فإذا خشي أن تسبقه قام، عن عاصم قال:- كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً، ولو جُعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله، ويقول محمد بن واسع:- لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته في وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه، وقال أيضًا:- إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم، وقال الشافعي:- وددت أن الخلق تعلموا هذا، "يقصد علمه"، على أن لا ينسب إليّ حرف منه، وقال إبراهيم بن أدهم:- ما صدق

الله أحد أحب الشهرة، وقال عبد الله بن داود:- كانوا يستحبّون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح، لا تعلم به زوجته ولا غيرها، وكان إبراهيم النخعي:- لا يجلس إلى السارية في المسجد توقياً للشهرة، واشتهر إبراهيم بن أدهم ببلد فقيل:- هو في البستان الفلاني فدخل الناس يطوفون ويقولون:- أين إبراهيم بن أدهم، فجعل يطوف معهم ويقول:- أين إبراهيم بن أدهم؟!، وكان ابن محيريز يقول:- اللهم إني أسألك ذكراً خاملاً، ودخل ابن محيريز حانوتاً وهو يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل لصاحب الحانوت:- هذا ابن محيريز فأحسنْ بيعه، فغضب ابن محيريز وخرج وقال:- إنما نشتري بأموالنا لسنا نشتري بديننا، اللهم فقهنا في ديننا، للهم اجعلني خيرا مما يظنون ولا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون، ولله در القائل:-

إلهي لا تعذبني فإنّـــــي مقرٌّ بالذي قد كان منّـــــي

فما لي حيلةٌ إلا رجائـــي لعفوك إن عفوت وحسن ظنّي

فبين يديّ محتسبٌ طويــلٌ كأنّي قد دُعيت له كأنّـــــي

وكم من زلّةٍ لي في الخطايـا وأنت عليّ ذو فضلٍ ومـــنِّ

إذا فكّرتُ في ندمي عليهـــا عضضت أناملي وقرعت سنّي

أُجنّ بزهرة الدّنيا جنونـــــاً وأقطع طول عمري بالتّمنّـــي

ولو أنّي صدقت الزّهد فيهـا قلبت لأهلها ظهر المجـــــنّ

يظنّ النّاس بي خيراً وإنّـــي لشرّ الخلق إن لم تعف عنّـــي

فما أجمل وأحسن الإخلاص في العمل، وأن يكون خالصًا لله لا رياء ولا سمعة فيه.

*- وفي هذا المعنى الجميل يقول فضيلة شيخنا الجليل قَدَّسَ تعالى سره:- ''اللهم ارزقني حين دفني رجالًا أحبهم ويحبونني، ينزلونني في قبري ويتلون عليَّ سورة عظيمة هي سورة ''يس'' عسى أن ترحمني بها يا رحمن، اللهم نَوِّرْ عليَّ قبري بجاه من كلمه البعير والغزلان، اللهم آنسني في وحشة القبر ونجني من عذابه يا رب يا حنان، واجعل أعمالي خالصة لك ثقيلة في كفة الميزان، وأخرجني من الأجداث مع القوم المستبشرين واحشرني في زمرة سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، يا رب سألتك هذا لي ولمن انطوى في محبتي لأجلك يا أكرم من سئل''.

*- ويقول أيضًا قَدَّسَ الله تعالى سره حينما نقل لنا كلام الحق تبارك وتعالى في حديث التجلي على قلبه '' اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، ولكن احذر أن يكون عملك لغيري فإني لا أقبل عملًا فيه مثقال ذرة لغيري''.

*- لذلك يحكى أن ملكًا من الملوك أراد أن يبني مسجدًا في مدينته وأمر أن لا يشارك أحد في بناء هذا المسجد لا بالمال ولا بغيره، حيث يريد أن يكون هذا المسجد هو من ماله فقط دون مساعدة من أحد، وحذر وأنذر من أن يساعد أحد في ذلك، وفعلاً تم البدء في بناء المسجد ووضع اسمه عليه، وفي ليلة من الليالي رأى الملك في المنام كأن ملكًا من الملائكة نزل من السماء فمسح اسم الملك عن المسجد وكتب اسم امرأة، فلما استيقظ الملك من النوم استيقظ مفزوعًا وأرسل جنوده ينظرون هل اسمه مازال على المسجد أم لا؟، فذهبوا ورجعوا وقالوا:- نعم اسمك مازال موجودًا ومكتوبًا على المسجد، وقال له حاشيته:- هذه أضغاث أحلام، وفي الليلة الثانية:- رأى الملك نفس الرؤيا، رأى أن ملكًا من الملائكة ينزل من السماء فيمسح اسم الملك عن المسجد ويكتب اسم امرأة على المسجد، وفي الصباح استيقظ الملك وأرسل جنوده يتأكدون هل مازال اسمه موجودًا على المسجد، ذهبوا ورجعوا وأخبروه أن اسمه مازال هو الموجود على

المسجد، تعجب الملك وغضب، فلما كانت الليلة الثالثة:- تكررت الرؤيا، فلما قام الملك من النوم قام وقد حفظ اسم المرأة التي يكتب اسمها على المسجد، فأمر بإحضار هذه المرأة، فحضرت وكانت مرأةً عجوزًا فقيرةً ترتعشُ فسألها:- هل ساعدت في بناء المسجد الذي يبنى، قالت:- يا أيها الملك:- أنا امرأة عجوز وفقيرة وكبيرة في السن، وقد سمعتك تنهى عن أن يساعد أحد في بنائه، فلا يمكنني أن أعصيك، فقال لها:- أسألك بالله تعالى ماذا صنعت في بناء المسجد؟ قالت:- والله ما عملت شيئًا قط في بناء هذا المسجد إلا.. قال الملك:- نعم إلا ماذا؟ قالت إلا أنني مررت ذات يوم من جانب المسجد، فإذا أحد الدواب التي تحمل الأخشاب وأدوات البناء للمسجد مربوط بحبل إلى وتد في الأرض، وبالقرب منه سطل به ماء، وهذا الحيوان يريد أن يقترب من الماء ليشرب فلا يستطيع بسبب الحبل، والعطش بلغ منه مبلغًا شديدًا، فقمت وقربت سطل الماء منه، فشرب من الماء هذا والله الذي صنعت، فقال الملك:- إنك عملتي هذا لوجه الله تعالى، فقبل الله منك، وأنا عملت عملي ليقال مسجد الملك، فلم يقبل الله مني، فأمر الملك أن يكتب اسم المرأة العجوز على هذا المسجد.

*- وهذه أيضًا قصة رائعة ذات معانٍ رائقةٍ وردت عن أحد الزاهدين " أحمد بن مسكين " وكان من التابعين، قال:- كان في البلدة رجل يُدعى أبا نصر الصياد، يعيش مع زوجته وابنه في فقر شديد، وقد مشى في الطريق ذات يوم مهمومًا مغمومًاً، يسأل الله تعالى الفرج والرزق الحلال فزوجته وابنه يتضوران جوعاً، مر على شيخه أحمد بن مسكين، يقول له أنا متعب يا سيدي، وقرأ التابعي في وجه تلميذه ما يعانيه، فقال له:- اتبعني إلى البحر فانطلقا إليه، وقال له الشيخ راغباً في لجوء مريده إلى الله تعالى:- "صلّ ركعتين على نية التيسير"، واسأل الله تعالى الرزق الحلال الطيب، فصلى، ثم قال له:- "سَمِّ الله "، فكل شيء بأمر الله، فقالها ثم رمى الشبكة، فخرجتْ بسمكةٍ عظيمةٍ، فقال له شيخه:- "بعها وَاشْتَرِ بثمنها طعاماً لأهلك"، فانطلق إلى

السوق يبيعها، واشترى فطيرتين إحداهما باللحم والأخرى بالحلوى، وقرر أن يعود إلى الشيخ فيقدم إحداهما له اعترافاً بصنيعه، رد الشيخ الفطيرة قائلاً:- هي لك ولعيالك، ثم أردف:- " لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة"، وفي الطريق إلى بيته قابل امرأةً تبكي من الجوع ومعها طفلها، فنظرا إلى الفطيرتين في يده وقال في نفسه هذه المرأة وابنها مثل زوجتي وابني يتضوران جوعاً فماذا أفعل؟، ونظر إلى عينيّ المرأةِ فلم يحتملْ رؤيةَ الدموعِ فيهما، فقدمهما لها قائلاً:- الفطيرتان لكما، ظهر الفرح والسرور على محياها، وسعد ابنها سعادة رقصت لها أسارير وجهه، وعاد أبو نصر يفكر بولده وزوجته، وما إن سار حتى سمع رجلاً ينادي من يدلُّ على أبي نصر الصياد؟، فَدَلَّهُ الناس على الرجل، فقال له:- إن أباك كان قد أقرضني مالاً منذ عشرين سنة ثم مات، خذ يا بني هذه الثلاثين ألف درهم فهو مال أبيك، يقول أبو نصر الصياد:- وتحولت غنيّاً بإذن الله تعالى وكثر مالي، وملكت البيوت وفاضت تجارتي، وصرت أتصدق بالألف درهم في المرة الواحدة في شكرِ الله تعالى، ومرت الأيام ، وأنا أكثر من الصدقات حتى أعجبتني نفسي!، وفي ليلة من الليالي رأيت في المنام أن الميزان قد وضع ونادى منادِ:- أبا نصر الصياد هلمَّ لوزن حسناتك وسيئاتك، فوضعت حسناتي ووضعت سيئاتي، فرجحت السيئات، فقلت أين الأموال التي تصدقت بها؟ فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم شهوةُ نفسٍ أو إعجابٌ بصنيعٍ كأنه لفافةٌ من القطنِ لا تساوي شيئاً، ورجحت السيئات، وبكيَت وبكيت حتى كادت نفسي تذهب وأحشائي تتقطع، وقلت ما النجاة؟، وسمعت المنادي يقول:- هل بقى له من شيء؟، فأسمع الملك يقول:- نعم بقيت له رقاقتان، وتوضع الرقاقتان (الفطيرتان) في كفة الحسنات، فتهبط كفة الحسنات حتى تساوت مع كفة السيئات، فبقيت خائفاً، وأسمع المنادي مرة أخرى يقول:- هل بقى له من شيء؟ فأسمع الملك يقول:- بقى له شيء قلت:- ما هو؟، قيل له:- دموع المرأة حين أعطيتها الرقاقتين، فوزنت الدموع، فإذا بها كالحجر الصقيل وزناً، فثقلت كفة الحسنات، ففرحت فرحاً

شديداً، وأسمع المنادي كرةً أخرى يقول:- هل بقى له من شيء؟، فقيل:- نعم ابتسامة الطفل الصغير حين أُعْطِيَتْ أُمُّهُ الرقاقتين، وترجح كفة الحسنات وترجح وترجح، وأسمع المنادي يقول:- لقد نجا، لقد نجا، فاستيقظت من النوم فزعًا أقول ما قاله لي أحمد بن مسكين حين ردَّ إليّ إحدى الفطيرتين:- لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

*- طريقتنا نفـــس بـــلا شهـــــــــوة:-

إنَّ المؤمنَ لا يطيعُ هوى نفسِهِ أبدًا، ولا ينقادُ لشهواته مطلقًا، بل يعامل نفسه بوزن الأمور، فما وجده خفيفًا عليها أو مرغوبًا لديها يجتنبه، وما وجده ثقيلًا عليها أو مكروهًا لديها يفعله، لأن النفس هي أعدى أعدائه التي بين جنبيه، وقد أمرنا الشارع الكريم جلَّ وعلا باجتناب الهوى فقال:- { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}،(ص:-٢٦)، وإن قيل:- فكيفَ يَتَخَلَّصُ مِنَ الهوى مَنْ قَدْ وَقَعَ فِيْهِ؟ قيل:- يُمْكِنُهُ التخلصُ بعون الله وتوفيقه له بأمور منها:- عزيمةُ حُرٍّ يغار لنفسه وعليها، وجرعةُ صبرٍ يُصَبِّرُ نفسه على مرارتها تلك الساعة، وقوةُ نفسٍ تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلها صبر ساعة، وخيرُ عيشٍ أدركَهُ العبدِ بصبره، وملاحظةُ حسنِ موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة، وملاحظةُ الألم الزائد على لذة طاعة هواه، فالواجب على الإنسان أن يخالف هواه وأن يتبع الكتاب والسنة في كل أمر من أمور حياته حتى يصل لقارب النجاة البعيد عن الشبهات والضلال، وهذا الأمر اقتدى به السلف الصالح فكانوا من خير القرون بحقٍ فبرعوا في كل الأمور، قال بعض السلف:- الغالب لهواه أشدُّ من الذي يفتحُ المدينةَ وحده، وقال بشر الحافي:- البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه، قيل للمهلب:- بم نلت ما نلت:- قال:- بطاعة الحزم وعصيان الهوى، وقال الفضيل:- من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق، وقال ابن القيم:- لكل عبد بداية ونهاية، فمن كانتْ بدايتُهُ

اتباعَ هواه كانت نهايتُهُ الذلَّ والصغارَ، وقال معاوية:- المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى، وقال ابن القيم:- مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه، وقال معروف:- كان يقال من يخالف هواه يفرق الشيطان منه، وقيل:- سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه، قال الحافظ ابن حجر في الفتح:- قَالَ الْقُشَيْرِيُّ:- أَصْلُ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ فَطْمُهَا عَنْ الْمَأْلُوفَاتِ وَحَمْلُهَا عَلَى غَيْر هَوَاهَا وَلِلنَّفْسِ صِفَتَانِ:- اِنْهِمَاكٌ فِي الشَّهَوَاتِ، وَامْتِنَاعٌ عَنْ الطَّاعَاتِ، فَالْمُجَاهَدَةُ تَقَعُ بِحَسَبِ ذَلِكَ، فجعلوا مجاهدة النفس شاملة للأمرين:- فعل الطاعة والكف عن المعصية، بينما مجاهدة الهوى أخص حيث يقصد بها مخالفة هوى النفس، أي الشهوات المحرمة، فمجاهدة الهوى جزء من مجاهدة النفس، وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:- في تفسير قوله عزَّ وجلَّ:- {وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقّ جِهَادِهِ }،(الحج:-٧٨)، قال:- هُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى، أي ومخالفة الهوى، وقال شيخ الإسلام:- وَلَا رَيْبَ أَنَّ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ مَأْمُورٌ بِهَا وَكَذَلِكَ قَهْرُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ، وعلى هذا فكلُّ مخالفةٍ للهوى هي منْ جهادِ النفس، وليس كلُّ جهادٍ للنفسِ فيه مخالفةٌ للهوى، ومن هذا ما قال العلماء في معنى قول النبي ﷺ:- الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ، رواه الترمذي:- قالوا:- أَيْ قَهَرَ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ عَلَى مَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَةِ وَتَجَنُّبِ الْمَعْصِيَةِ، وصدق الله إذ يقول:-{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ}، (العنكبوت:-٩٦)، فالنفس عند الصالحين نفس بلا شهوة، فهم قد جاهدوها حق جهادها، وفطموها عن مألوفاتها، حتى أذعنت وانقادت ذليلة لأوامر الله عزَّ وجلَّ، فزكت نفوسهم، وصفت قلوبهم، وسمت أرواحهم، فاطمأنت النفوس، فأصبحت نفوسًا مطمئنة، بل وراضية مرضية، وارتقت بعض نفوس كُمِّلِ الصالحين والصفوة المقربين إلى درجة الكمال، فصارت نفوسهم كاملة، وهي درجة الصديقين، وكبار العارفين، وعباد الله المخلصين، الذين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين، فالنفوس عندهم أسيرة، والقلوب عندهم منيرة، والأمور عندهم يسيرة، وسعادتهم

بمحبوبهم كثيرة، وحياة أعدائهم مريرة، وأمورهم عسيرة، وهومهم كثيرة، ونفوسهم شريرة، فالله عزَّ وجلَّ قد تكفل لأحبابه بكل ما يحبون، وأعطاهم كل ما يريدون، فقال تعالى:- { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) }،(يونس:-٦٢-٦٤)، ولله در شيخنا إذ يقول:- { واحذر النفس وجالدها جلادًا، كم أضلتك نفورًا وعنادًا، كيف ترخيها بسوء تتمادى، واحذر الدخول فيما لا يعنيك، وإلا لقيت ما لا يرضيك}، فالله تعالى نسأل أن ينصرنا على نفوسنا والدنيا والهوى والشيطان، ولله در القائل:-

إني ابتليت بأربع ما سلطـوا إلا لشدة شقوتي وشقائـــــي

إبليس والدنيا ونفسي والهـوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

بمعية الرحمن ونهج حبيبــه أبلغ بإذن الله كل مـــــرادي

فالله تبارك وتعالى أمرنا بالجهاد وجعله فريضة على جميع العباد، بحسب الاستطاعة والاستعداد، يقول تعالى:- {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }،(الحج:-٧٨)، وهذا أمر لعموم المسلمين بالجهاد، كل عليه واجب منه حسب استطاعته، فقد أمرهم أن يجاهدوا فيه حق جهاده كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته، والجهاد أربع مراتب:- أولها: جهاد النفس، ثانيها:- جهاد الشيطان، وثالثها:- جهاد الكفار، ورابعها:- جهاد المنافقين، والأصل والأساس هو جهاد النفس، فإن العبد ما لم يجاهد نفسه أولاً فيبدأ بها ويلزمها بفعل ما أمرت به، وترك ما نهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه الخارجي مع ترك العدو الداخلي، ولهذا قال ﷺ:- " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه "، وكان ﷺ يقول في خطبة الحاجة:- " ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا"، وقال ﷺ للحصين بن عبيد:- " أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بها "،

فأسلم، فقال:- " قل:- اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي "، فمن لم يَسلم من شر نفسه لم يصل إلى الله تعالى؛ لأنها تحول بينه وبين الوصول إليه، والناس قسمان:- قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار مطيعاً لها، وقسم ظفر بنفسه فقهرها حتى صارت مطيعة له، وقد ذكر الله القِسمين في قوله تعالى:- {فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }، (النازعات:-٣٧-٤١)، فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يأمر عبده بخوفه ونهي النفس عن الهوى، والعبد إما أن يجيب داعي النفس فيهلك، أو يجيب داعي الرب فينجو، والنفس تأمر بالشح وعدم الإنفاق في سبيل الله، والرب يدعو إلى الإنفاق في سبيله فيقول سبحانه:- {وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }،(التغابن:-١٦)، فالنفس قد تسمح بالملايين في سبيل البذخ والإسراف، ولا تسمح بالقرش للفقير والمحتاج، تكون تارة أمّارة بالسوء، وتارة لوّامة تلوم صاحبها بعد الوقوع في السوء، وتارة مطمئنة وهي التي تسكن إلى طاعة الله ومحبته وذكره، فكونُهَا مطمئنةٌ وصفُ مدحٍ، وكونُهَا أمّارةٌ بالسوءِ وصفُ ذمٍّ لَهَا، وكونُهَا لَوَّامَةٌ ينقسمُ إلى المدحِ والذمِّ، وجهاد النفس يكون بمحاسبتها ومخالفتها، وفي الحديث:- " الكيّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني " ومعنى:- دان نفسه:- حاسبها، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:- (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ }، (الحاقة:-١٨)، وقال ميمون بن مهران:- (لا يكون العبد تقيّاً حتى يكون لنفسه أشدَّ محاسبةً من الشريك لشريكه)، ولهذا قيل:- (النفس كالشريك الخوَّانِ إن لم تحاسبه ذهب بمالك)، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله:- (حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب

الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته، وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة)، وقال الحسن:- (وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غيرِ محاسبةٍ، ويعينُ الإنسانَ على محاسبةِ نفسِهِ معرفتُهُ أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتدَّ عليه الحساب غداً، وأنه إذا حاسبها اليوم ربح سكنى الفردوس غداً، وإذا أهملها اليوم فخسارته بدخول النار غداً)، فحق العاقل الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه في حركاتها، وسكناتها، وخطواتها، وخطراتها، ويظهر التغابن بين من حاسب نفسه اليوم ومن أهملها يوم القيامة، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا }،(آل عمران:-٣٠)، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:- جهاد النفس أربع مراتب:- أحدها:- أن تجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين، الثانية:- أن تجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها، الثالثة:- أن تجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله، الرابعة:- أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله)، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالِمَ لا يستحق أن يسمى ربانيّاً حتى يعرف الحق، ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وَعَلَّمَ فذلك يدعي عظيماً في ملكوت السموات، وفي وصية لقمان لابنه قال:- (يا بني:- إن الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حزون، فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق، وإن فتر قائدها حزنت، فإذا اجتمعا استقامت)، إن النفس إذا أطمعت

طمعت، وإذا فوضت إليها أساءت، وإذا حملتها على أمر الله صلحت، وإذا تركت الأمر إليها فسدت، فاحذر نفسك، واتهمها على دينك، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها، ولا بد له منها، وإن الحكيم يذلُّ نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق، وإن الأحمق يُخَيِّرُ نفسه في الأخلاق فما أحبت منها أحب، وما كرهت منها كره، ولا شك أن النفس تكره مشقة الطاعة، وإن كانت تعقب لذة دائمة، وتحب لذة الراحة، وإن كانت تعقب حسرة وندامة، فهي تكره قيام الليل وصيام النهار، وتكره التبكير في الذهاب إلى المسجد، فكم من شخص يجلس الساعات في المقاهي والأسواق ويبخل بالدقائق القليلة يجلسها في المسجد، تكره إنفاق المال في طاعة الله، تكره الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى:- {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }،(البقرة:-٢١٦)، تكره الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، تكره القيام بالإصلاح بين الناس، وهكذا ما من طاعة إلا وللنفس منها موقف الممانع المعارض، فإن أنت أطعتها أهلكتك وخسرتها، كما قال الله تبارك وتعالى:- {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }،(الزمر:-١٥)، فإن أنت أطعتها فقد ظلمتها، حيث عرضتها لسخط الله وعقابه، وأهنتها وأنت تظنُّ أنك قد أكرمتها حيث أعطيتها ما تشتهي وأرحتها من عناء العمل ومشقته فحرمتها من الثواب، نسأل الله تعالى أن يقينا شر أنفسنا، وأن يصلحنا ويصلح بنا.

*- ويروي:- أن مالك بن دينار كان يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه الى البقال وقال:- أعطني التين فرأى البقال النعل وقال:- لا يساوي شيئًا، فمضى مالك، فقيل للبقال:- أليس تعرف من هذا؟ قال:- لا! قيل له:- هو مالك بن دينار، فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له:- إن قبل هذا منك فأنت حرٌّ، فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له:- اقبل هذا مني فأبى، فقال:- اقبله فإنه فيه تحريري، فقال مالك بن دينار:- إن كان فيه

تحريرك ففيه تعذيبي، فألحَّ عليه الغلام ... فقال:- حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين إلى يوم الدين، فهم والله أقوام خالفوا أنفسهم وهواها، وقهروها حتى أذعنت طائعةً ملبيةً مستسلمةً لله رب العالمين.

*- ولا أدل على ذلك من قصة أبي الدحداح الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه، والذي قال في حقه الحبيب المصطفى الهادي محمد ﷺ:- { كم من عِذْقٍ رَدَّاحٍ لأبي الدحداح في الجنة}، وهذه القصة كما يلي:- كان الرسول محمد صلي الله عليه وآله وسلم يجلس وسط أصحابه عندما دخل شابٌّ يتيمٌ إلى الرسول يشكو إليه، قال الشاب:- يا رسول الله كنت أقوم بعمل سور حول بستاني فقطع طريقَ البناءِ نخلةٌ هي لجاري فطلبتُ منه أن يتركها لي لكي يستقيم السور فرفض، فطلبت منه أن يبيعني إياها فرفض، فطلب الرسول أن يأتوه بالجار، أتى الجار الي الرسول وقص عليه الرسول شكوى الشاب اليتيم، فصدق الرجل على كلام الرسول، فسأله الرسول أن يترك له النخلة أو يبيعها له فرفض الرجل، فأعاد الرسول قوله:- بع له النخلة ولك نخلة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائه عام، فذهل أصحاب رسول الله من العرض المغري جدًّا جدًّا، فمن يدخل النار وله نخلة كهذه في الجنة، وما الذي تساويه نخلة في الدنيا مقابل نخلة في الجنة، لكن الرجل رفض مرة أخرى طمعًا في متاع الدنيا الزائل، فتدخل أحد أصحاب الرسول ويدعي أبو الدحداح، فقال للرسول الكريم ﷺ:- إن اشتريتُ تلك النخلة وتركتها للشابِّ أَلِيَ نخلة في الجنة يا رسول الله؟ فأجاب الرسول ﷺ:- نعم، فقال أبو الدحداح للرجل، أتعرف بستاني يا هذا؟ فقال الرجل:- نعم، فمن في المدينة لا يعرف بستان أبي الدحداح ذا الستمائة نخلة، والقصر المنيف والبئر العذب والسور الشاهق حوله، فكلُّ تُجَّارِ المدينة يطمعون في تمر أبي الدحداح من شدة جودته، فقال أبو الدحداح:- بعني نخلتك مقابل بستاني وقصري وبئري وحائطي، فنظر الرجل إلي الرسول ﷺ غيرَ مصدقٍ ما يسمعه، أيعقل أن يقايض ستمائة نخلة

من نخيل أبي الدحداح مقابل نخلة واحدة؟ فيا لها من صفقة ناجحة بكل المقاييس، فوافق الرجل وأشهد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة الكرام على البيع، وتمت البيعة، فنظر أبو الدحداح الي رسول الله ﷺ سعيدًا سائلاً:- أَلِيَ نخلة في الجنة يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ:- لا، فبهت أبو الدحداح من رَدِّ رسول الله ﷺ، فاستكمل الرسول ﷺ قائلًا ما معناه:- الله تبارك وتعالى عرض نخلة مقابل نخلة في الجنة، وأنت زايدت على كرم الله ببستانك كله، وَرَدَّ الله على كرمك وهو الكريم ذو الجود بأن جعل لك في الجنة بساتين من نخيلٍ أعجزُ على عَدِّهَا من كثرتها، وقال الرسول الكريم ﷺ:- كم من عذقٍ رَدَّاحٍ لأبي الدحداح ، والرَدَّاحُ هنا – هي النخلة المثقلة من كثرة التمر عليها، وظل الرسول يكرر جملته أكثر من مرة لدرجة أن الصحابة تعجبوا من كثرة النخيل التي يصفها الرسول لأبي الدحداح، وتمنى كل منهم أن لو كان هو أبا الدحداح، وعندما عاد أبو الدحداح الى امرأته دعاها الي خارج المنزل وقال لها:- لقد بعت البستان والقصر والبئر والحائط، فتهللت الزوجة من الخبر فهي تعرف خبرة زوجها في التجارة ومهارته، وسألت عن الثمن، فقال لها:- لقد بعتها بنخلة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائه عام، فردت عليه متهللة:- ربح البيع أبا الدحداح – ربح البيع أبا الدحداح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

*- طريقتنا َهِمَّـــةٌ بِـــلَا كَسَـــــــــــل:-

إن المؤمن ذو هِمَّةٍ عَلِيَّةٍ، وعزيمةٍ قويةٍ، وسريرةٍ نقيةٍ، وطاعاتٍ خفيةٍ، وأعمالٍ تقيةٍ، وحياته بطاعة مولاه هنية، وعيشته مرضية، وذو شكيمةٍ عظيمةٍ، وقدرةٍ بليغةٍ في الصبر والمجاهدة، والمرابطة والمجالدة، ومخالفة النفس وكبح جماحها، والثبات على الطاعات، واجتناب المحرمات وجميع المخالفات، فَلَدَيْهِ هِمَّةٌ بلا كسل، وإقدام على الطاعات بلا خجل، فَهِمَّتُهُ في محبة الله ورسوله ﷺ لا تفتر، وأعمال البر والخير عنده تنمو ولا تصغر، ممتثلاً قول مولاه جلَّ في علاه:- {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، (آل عمران:-١٣٣)، فليست همة المؤمن دنية، وليس همه في كسرة الخبز، وشربة الماء، بل همه والله في يوم اللقاء، في يوم لقاء الحبيب، وأحباب الحبيب، ولله در القائل:-

أنا إن عشت لست أعدم خبزاً وإذا مت لست أعدم قبـراً

همتّي همة الملـوك ونفســـي نفسُ حُرٍّ ترى المذلةَ طفراً

فالسلام على أهل الهمم، فهم صفوة الأمم، وأهل المجد والكرم، طالت بهم أرواحهم إلى مراقي الصعود، ومطالع السعود، ومراتب الخلود، ومن أراد المعالي هان عليه كل همٍّ، لأنه لولا المشقّة ما ساد الناس كلهم، ونصوص الوحي تناديك، سارع ولا تلبث بناديك، وسابق ولا تمكث بواديك، أمية بن خلف لما جلس مع الخلف أدركه التلف، ولما سمع بلال بن رباح حي على الفلاح، أصبح من أهل الصلاح، اطلب الأعلى دائماً وما عليك، فإن موسى لما اختصه الله بالكلام قال:- { قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ }،(الأعراف:-١٤٣)، فالمجد لا يأتي هبة، لكنه يحصل بالمناهبة، فلما حمل الهدهد الرسالة، ذكر في سورة النمل بالبسالة، ونجحت النملة بالمثابرة، وطول المصابرة، تريد المجد ولا تجدّ؟؟ تخطب المعالي وتنام الليالي؟؟ ترجوا الجنّة وتفرّط في

السُنّة؟؟ قام رسولنا ﷺ حتى تفطرت قدماه، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وهو العبد الأوّاه، وأدميت عقباه بالحجارة، وخاض بنفسه كل غارة، يدعى أبو بكر من الأبواب الثمانية، لأن قلبه معلق بربه كل ثانية، صرف للدين أقواله، وأصلح بالهدى أفعاله، وأقام بالحق أحواله، وأنفق في سبيل الله أمواله، وهاجر وترك عياله، لبس عمر المرقّع، وتأوّه من ذكر الموت وتوجّع، وأخذ الحيطة لدينه وتوقّع، وعدل وصدق وتهجّد، وسأل الله أن يستشهد، فرزقه الله الشهادة في المسجد، عليك الجد إن الأمر جَدّ، وليس كما ظننت ولا وهمتَ، وبادر فالليالي مسرعات، وأنت بمقلة الحدثان نمتَ، اخرج من سرداب الأماني، يا أسير الأغاني، وانفض غبار الكسل واهجر من عذل، فكل من سار على الدرب وصل، نسيت الآيات وأخّرت الصلوات، وأذهبت عمرك بالسهرات، وتريد الجنات؟؟ ويلك!! والله ما شبع النمل حتى جد في الطلب، وما ساد الأسد حتى وثب، وما أصاب السهم حتى خرج من القوس، وما قطع السيف حتى صار أحدَّ من الموس، الحمامة تبيني عشّها، والحمرة تنقل عشّها، والعنكبوت تهندس بيتها، والضب يحفر مغارة، والجرادة تبني عمارة، وأنت لك مدة، ورأسك على المخدة، في الحديث:- « احرص على ما ينفعك »، لأن ما ينفعك يرفعك، وفي الحديث:- « المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ »، بالقوة يُبْنَى القصر المنيف، وينال المجد الشريف، ولله در القائل:-

همةٌ تنطحُ الثريا وعـــــــــزمٌ نبويٌّ يزعزعُ الأجبـــــــــــال

صاحب الهمة ما يهمه الحَرُّ، ولا يخيفهُ القرُّ، ولا يزعجه الضُرُّ، ولا يقلقله المرُّ، لأنه تدرع بالصبر، صاحب الهمة يسبق الأمّة إلى القمّة، كما قال تعالى:- { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ }،(الواقعة:-١٢)، لأنهم على الصالحات مدبون، وفي البر مجرّبون، عمي بعض المحدثين من كثرة الرواية، فما كلَّ ولا ملَّ حتى بلغ النهاية، مشى أحمد بن حنبل من بغداد إلى

صنعاء، وأنت تفتر في حفظ دعاء، سافر أحدهم إلى مصر، وغدوه شهر ورواحه شهر، في طلب حديث واحد، ليدرك به المجد الخالد، ولولا المحنة ما دعي أحمد بإمام السنة، ووصل بالجلد إلى المجد، ووضع ابن تيمية في الزنزانة، فبرز بالعلم زمانه، واعلم أن الماء الراكد فاسد، لأنه لم يسافر ولم يجاهد، ولما جرى الماء، صار مطلب الأحياء، بقيت على سطح البحر الجيفة، لأنها خفيفة، وسافر الدرُّ إلى قاع البحر، فوضع من التكريم على النحر، فكن رجلاً رجله في الثرى، وهامة همته في الثريا، يا كثير الرقاد، أما لنومك نفاد؟؟ سوف تدفع الثمن يامن غلبه الوسن، تظن الحياة جلسة، وكبسة ولبسة وخلسة؟؟ بل الحياة شريعة ودمعة، وركعة، ومحاربة بدعة، الله أمرنا بالعمل لينظر عملنا، وقال:- { وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }، (العنكبوت:-٦٩)، فالحياة عقيدة وجهاد، وصبر وجلاد، ونضال وكفاح، وبر وفلاح، لا مكان في الحياة لأكولٍ كسولٍ، ولا مقعد في حافلة الدنيا للمخذول، ابدأ في طلب الأجر من الفجر، بقراءة وذكر، ودعاء وشكر، لأنها انطلاق الطير من وكورها، ولا تنسَ:- « بارك الله لأمتي في بكورها »، العلم في حركة، كأنه شركة، وقلبك خربة كأنه خشبة، والطير يغرد، والقمري ينشد، والماء يتمتم، والهواء يهمهم، والأسود تصول، والبهائم تجول، وأنت جثة على الفراش؟؟ لا في أمر عبادة ولا معاش؟؟ نائمٌ هائمٌ، طروبٌ لعوبٌ كسولٌ أكولٌ، ولا تقل الصِّبَا فيه اتساعٌ، وَفَكِّرْ كم صبي قد دفنتا؟ ولله در القائل:-

تفرّ من الهجير وتتقيـــــــــــــه فهلا من جهنم قد فررتـــــــــــا

أنت تفتر والملائكة لا يفترون، وتسأم العمل والمقربون لا يسأمون، بم تدخل الجنة؟؟ هل طعنت في ذات الله بالأسنة؟؟ هل أوذيت في نصر السنة؟؟ فانفض عنك غبار الخمول يا كسول، فبلال العزيمة.. أذّن في أذنك فهل تسمع؟؟ وداع الخير دعاك فلماذا لا تسرع؟؟ { يأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ }،(الأنفال:-٢٤)، ولابد للهمم الملتهبة أن تنال مطلوبها، ولابد للعزائم المتوثبة أن تدرك مرغوبها، سنة لا تتبدل، وقضية لا تتحوّل، سوف تأتيك المعالي إن أتيت، لا تقل سوف وعسى، أين وليت قل للمتخلفين اقعدوا مع الخالفين، لأن المنازل العالية والأماني الغالية تحتاج إلى همم موارّةٍ، وفتكاتٍ جبارةٍ، لينال المجد بجدارة، وقل للكسول النائم، والثقيل الهائم، امسح النوم من عينيك، واطرد الكرى من جفنيك، فلن تنال من ماء العزة قطرة، ولن ترى من نور العلى خطرة، حتى تثب مع من وثب، وتفعل ما يجب، وتأتي بالسبب، ألا فليهنأ أرباب الهمم، بوصول القمم، وليخسأ العاكفون على غفلاتهم في الحضيض، فلن يشفع لهم عند ملوك الفضل نومهم العريض، وقل لهؤلاء الراقدين:- { إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ }،(التوبة:-٨٣)، فهبوا إلى درجات الكمال، نساءً ورجالاً، ودرّبوا على الفضيلة أطفالاً:- { انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً}،(التوبة:-٤١)، فالمسلم إنسان طموح ذو همة عالية، وأمل عريض فهو يعلم:- {أن الله تعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها}، رواه سهل الساعدي، وإن الكيس العاقل هو صاحب الهمة العالية الذي يدين نفسه ويعمل لما بعد الموت، وأن العاجز هو الذي يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الأماني، والمؤمن لا ترضى همته إلا بالجنة، جلس النبي – ﷺ – إلى صحابته وأخذ يوزع عليهم الصدقات، ويعطى كل واحد مسألته وكان يجلس بجواره ربيعة بن كعب الأسلمي، وكان من أفقر الناس، ولكنه لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له النبي – ﷺ:- {سلني يا ربيعة، فقال:- يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال:- يا ربيعة أعنى على نفسك بكثرة السجود}، فهمة المؤمن في أعلى عليين، وهمته في العلم والعمل سواء، قال عبد الرحمن الأوزاعي:- (إن المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل، وإن المنافق يكثر الكلام ويقل العمل، ولله در القائل:-

إذا هبت رياحك فاغتنمهـــــــا فإن لكل خافقة سكـــــــــــونُ

ولا تغفل عن الإحسان فيهـــــا فما تدرى السكون متى يكـــــونُ

إذا ظفرت يداك فلا تقصـــــــر فإن الدهر عارية يخـــــــــــونُ

فالمؤمن يسيطر على نفسه، فلا يغضب ولا يحقد، فرجلٌ ذو همة يحي الله به أمة، اجتمع ذات يوم بفناء الكعبة أربعة من أبناء سادات قريش هم:- عبد الله بن عمر، وعروةُ بن الزبير، وأخوه مصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، فقال لهم مصعب:- تمنَّوا، فقالوا:- ابدأ أنت، فقال:- ولاية العراق وتزوُّجُ فلانة وفلانة وسماهما، وتمنى عروة الفقه في الدين، وتمنى عبد الملك الخلافة، وتمنى ابن عمر الجنة، فسعى كلٌ منهم لإدراك غايته، واستجمع قواه في تحقيق أمنيته، فنال مصعب ولاية العراق وتزوج بمن سمَّى، ونال عروة الفقه فكان من الأئمة العظام ومن فقهاء المدينة السبعة، ونال عبد الملك الخلافة والملك، واجتهد ابن عمر في طلب الجنة ونرجو أن يكون من أهلها، فانظر يا أخي رعاك الله، أنَّ ما يحمله الإنسان بداخله من همٍّ ورسالة يُحرّك طاقاتِه نحو تحقيقه، فإذا به يتحقق، لا لأنه تمناه، ولكن لأنه جدَّ في تحقيقه وبذل أسباب الوصول إليه فتحقّق بإذن الله، فمن الناس من هَمُّهُ جمع الدراهم وتكثيرها، وربما بخل بها على نفسه أو أهله لأن هَمَّهُ في رؤيتها كثيرة وإن لم ينتفع بها، وهو بمثابة العبد الذي يحرس المال لسيده ولا حظ له فيه، ومنهم من هَمُّهُ نيل المناصبِ والترفع بها، ومن الناس من هَمُّهُ أن يكون مغنيًا يتمايل طرباً فيتمايل معه السفهاء، أو كاتباً يشيع الفاحشة وينشر الرذيلة ويروّج للباطل لينال به عرضاً زائلاً وصيتاً حائلاً، ومنهم من هَمُّهُ في الحياة امرأة يرى أنه إن ظفر بها فقد فاز فوزاً عظيماً، وإلا فقد فاتته الحياة، وهكذا، ولا تزال الهمم تصغر وتصغر حتى يصبح هَمُّ أحدهم في أمر تافه حقير يقضي ساعات طوال في الانشغال به، مع أنه يعود عليه بالضرر عاجلاً أو آجلاً، وكلٌّ يسير إلى غايته، ويجهد في تحقيق رسالته، ومن هنا ينشأ التفاوت بين النبلاء

والدهماء، بين العقلاء والسفهاء؛ لأن منازل الرجال وكذلك النساء تتفاوت بتفاوت ما يحملونه من الهموم والغايات، فالهمم العالية تسمو بصاحبها إلى ذرى المعالي، والهمم الدنيئة تسفُل بصاحبها إلى الحضيض، وكلٌّ يسعى لإدراك غايته وتحقيق أمنيته جليلة كانت أم حقيرة، خيرا كانت أم شرّاً، قال المتنبي:-

إذا غامرت في شرف مـــــــروم فلا تقنع بما دون النجـــــــــوم

فطعم الموت في أمر حقيـــــــر كطعم الموت في أمر عظيـــــــم

يرى الجبناء أن العجز أمـــــــن وتلك خديعة الطبع اللئيـــــــــم

يقول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:-" إن لي نفسًا تواقة، وإنها لم تعطَ من الدنيا شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا يعني الخلافة - تاقت نفسي إلى ما هو أفضل من الدنيا كلها؛ الجنة "، وقال شوقي:-

وما نيل المطالب بالتمنـــــــي ولكن تؤخذ الدنيا غلابـــــــــًا

وما استعصى على قوم منـــــالٌ إذ الإقدام كان لهم ركابـــــــــًا

فالهمّ الذي يحمله المرء بين جنبيه هو الذي يحدِّدُ قيمته في سوق الرجال، فإن كان همُّه في الحياة رضوان الله عزَّ وجلَّ ساعياً في الخيرات آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فهمَّه عظيم ومطلبَه كريم، فأخلص العمل لله جلَّ وعلا، واقتفِ سنة رسول الله ﷺ، وسترى الثمار يانعة بإذن الله، فإن كنت ذا علم فعلِّمه من لا يعلم، وإن كنت ذا مال فلا تبخل بالبذل لإعزاز دينك وغوث إخوانك وإن كنت ذا منصب وجاه فاستعمله في مرضاة ربك وخدمة دينك وأمتك، وهمة عالية وطموح كبير، تطير بصاحبها إلى الجنة، أما من كان همُّه في الحياة ليس إلا منصباً رفيعًا

وقصرًا منيفاً ومالًا وفيراً ولا همَّ له في دينه فلا يغضب لله، ولا ينتصر لأولياء الله من العلماء والدعاة، ولا يأبه بانتهاك حدود الله، فهذا ميت يمشي بين الأحياء، فأحسن الله عزاءه في نفسه، ولا كثر في المسلمين من جنسه، فبطن الأرض خير له من ظهرها، ولله در القائل:-

وما للمرء خيرٌ في حيـــــاةٍ إذا ما عُدَّ من سقط المتـــــــــاعِ

*صفات كبير الهمـة :- يا عالـي الهمَّـة بقَدْر ما تَتَعنَّى، تنالُ ما تتمنَّى، إخوة الإيمان:-

ولهذه الخصوصية العالية صفات تتوافر في بعض الرجال وليس كلهم منها:- أنه جواد كريم:- إن عالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته، لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره، وأن المصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظٍّ من المشقة، ولا يُعبرُ إليها إلا على جسرٍ من التعب، واثق بوعد ربه:- عالي الهمة يُرى منطلقاً بثقةٍ وقوةٍ وإقدامٍ نحو غايته التي حددها على بصيرةٍ وعلمٍ، فيقتحمُ الأهوالَ، ويستهينُ الصعابَ، ولله در القائل:-

ذريني أنل ما لا يُنال من العُـــــــلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصـــــــة ولا بُـدَّ دون الشَّـهْدِ مـن إبر النـحْـــــــــلِ

من أراد الجنة سلعةَ الله الغالية لم يلتفت إلى لوم لائم، ولا عذل عاذل، ومضى يكدح في السعي لها قال تعالى:- {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا}،(الإسراء:-١٩)، " وقال ﷺ :- " من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة "،(الترمذي)، ولله در الشافعي رحمه الله إذ يقول:-

علو القدر بالهمم العوالـــــــــــــي وعز المرء في سهر الليالـــــــــــــــي

تروم العز ثم تنام ليـــــــــــــــلًا يغوص البحر من طلب الآلـــــــــــــــي

بقدر الكد تكتسب المعالـــــــــــــي ومن طلب العلا سهر الليالـــــــــــــي

ومن رام العلا من غير كـــــــــــدٍّ أضاع العمر في طلب المحـــــــــــــال

تركت النوم ربي في الليالـــــــــــي لأجل رضاك يا مولى الموالـــــــــــي

فوفقني إلى تحصيل علـــــــــــم وبلغني إلى أقصى المعالـــــــــــي

وفي همم الصالحين وتواضعهم العظيم لله رب العالمين ما روي عن هشام بن عبد الملك أنه حج في أيام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك بسبب كثرة الزحام، فنصب لنفسه كرسيّاً وجلس عليه ينظر إلى الناس مع جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلمه، فقال رجل من أهل الشام لهشام:- من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام:- لا أعرفه، وكان الفرزدق حاضراً فقال:- أنا أعرفه، ثمّ اندفع فأنشد هذه القصيدة التي أغضبت هشاماً فأمر بحبسه بين مكّة والمدينة، والتي قال فيها:-

هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَـــهُ وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَـــــــــــــــرَمُ

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلّهِـــــــمُ هذا التّقيُّ النّقيُّ الطّاهِرُ العَلَـــــــــــمُ

هذا ابنُ فاطمَةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَـــهُ بِجَدّهِ أنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُـــــــــــــــوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائـــــرِه العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجـــــــــــمُ

كِلْتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفعُهُمَـــــــا يُسْتَوْكَفانِ، وَلا يَعرُوهُما عَـــــــــــدَمُ

سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَـــوَادِرُهُ يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيـــــــــمُ

حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ، إذا افتُدِحُـــوا حُلوُ الشّمائلِ، تَحلُو عندَهُ نَعَـــــــــمُ

ما قال: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّـــدِهِ لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَـــــــــمُ

عَمَّ البَرِيّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَـــتْ عَنْها الغَياهِبُ والإمْلاقُ والعَـــــــدَمُ

إذ رَأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائِلُهـــــــا إلى مَكَارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَـــــــــرَمُ

يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِـــــــــمُ

بِكَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِـــــــقٌ من كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شمَـــــــمُ

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحَتِـــــــهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِـــــــمُ

الله شَرّفَهُ قِدْماً، وَعَظّمَـــــــهُ جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلـــــــمُ

أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقَابِهِـــمُ لأوّلِيّةِ هَذا، أوْ لَهُ نِعـــــــــمُ

مَن يَشكُرِ الله يَشكُرْ أوّلِيّـــــةَ ذا فالدّينُ مِن بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَـــــــمُ

يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ عَنها الأكفُّ، وعن إدراكِها القَـــــدَمُ

مَنْ جَدُّهُ دان فَضْلُ الأنْبِياءِ لَـــهُ وَفَضْلُ أُمّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَـــــــمُ

مُشْتَقّةٌ مِنْ رَسُولِ الله نَبْعَتُـــــهُ طَابَتْ مَغارِسُهُ والخِيمُ وَالشّيَـــــــمُ

يَنْشَقّ ثَوْبُ الدّجَى عن نورِ غرّتِهِ كالشمس تَنجابُ عن إشرَاقِها الظُّلَـــــمُ

من مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وَبُغْضُهُـمُ كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَنجىً وَمُعتَصَـــــــــــمُ

مُقَدَّمٌ بعد ذِكْرِ الله ذِكْرُهُـــــــمُ في كلّ بَدْءٍ، وَمَختومٌ به الكَلِـــــــــــمُ

إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهـــمْ أوْ قيل: «من خيرُ أهل الأرْض؟» قيل: هم

لا يَستَطيعُ جَوَادٌ بَعدَ جُودِهِـــــمُ وَلا يُدانِيهِمُ قَوْمٌ، وَإنْ كَرُمُـــــــــــوا

هُمُ الغُيُوثُ، إذا ما أزْمَةٌ أزَمَـــتْ وَالأُسدُ أُسدُ الشّرَى، وَالبأسُ محتـــــــدمُ

لا يُنقِصُ العُسرُ بَسطاً من أكُفّهِمُ سِيّانِ ذلك: إن أثَرَوْا وَإنْ عَدِمُـــــــوا

يُستدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِـــمُ وَيُسْتَرَبّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَـــــــــمُ

***- طريقتنا حـــال بـــلا محـــــــال:-**

إن حال المؤمن الصادق مع الله تبارك وتعالى حالٌ عجيبٌ، لا تفتر همته، ولا تَكِلُّ عزيمته، ولا يغفل أبدًا عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، فلا يخلد إلى الكسل، ولا يركن إلى السكون، ولا يميل إلى الخمول، فحاله بلا محال، والمحال في اللغة:- هو الشيء المستحيل، فالمؤمن من المستحيل جدًّا أن يدخر من جهده شيئًا، أو تتوانى عزيمته في طاعة الله ورسوله، ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومحال أن يتكاسل في أعمال البرِّ، أو يتخاذل في القربات، أو يتأخر عن الطاعات، أو يفتر عن الخيرات، أو يتقاعس عما يقربه من قيوم الأرض والسماوات، فالمؤمن الصادق سبَّاق في جميع ميادين البرَّ والخيرات، وله باع طويل في الطاعات والقربات، ممتثلًا قول رب الأرضين والسماوات:- {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}،(الأحزاب:-٢١)، فحبيب قلوبنا ﷺ قد غفر الله له كل ما تقدم وما تأخر من ذنبه، ومع ذلك تفطرت قدماه الشريفتان من كثرة السجود، ولما سئل عن ذلك وقيل له ترفق بنفسك يا رسول الله فقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ﷺ:- أفلا أكون عبدًا شكورًا، وهكذا المؤمن الصادق فهو سائر على أثر حبيب قلبه عليه الصلاة والسلام، قائم بالليل، صائم بالنهار، متضرع بالأسحار، كثير التوبة والاستغفار، واقفٌ ببابه، مُمَرِّغُ الخدين على أعتابه، يرجو رحمته ويخشى عذابه، وأكبر عذاب عند المؤمن حجاب البعد والقطيعة، وإعراضُ الحقِّ تبارك وتعالى عنه، فكلُّ هَمِّهِ في مرضاة حبيبه، والفوز باللقاء مع تمام الرضا، لهذا قال عزَّ من قائل يخاطب حبيبه ومصطفاه:- {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}،(العنكبوت:-٤٥)، وقال له العزة والمنة:- {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}،(الرعد:-٢٨)، قال الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله في كتاب الاحسان معلقًا على هذه الآيات:- (في ثلاث

آيات قرآنية مباركات، يفصّل لنا مكانة الذكر ويرفعنا إلى مقام التأسي برسول الله ﷺ، ومكانَتَهُ في عباداتنا، وأثره في قلوبنا، فمن لا يذكر الله كثيرًا لا أُسوَةَ له برسول الله ﷺ، ولا يقدر على التأسي، وهو الاستناد والاتباع، ولم يُؤَهَّلْ له، فكلُّ من لا يذكر الله تعالى في صلاته، إذا تلا القرآن فلا تلاوة له ولا صلاة، له صورة الصلاة وأركانها البدنية، لكن ذكر الله وهو الأمر الأكبر والأعظم الذي من أجله شرعت العبادات فاته، ففاته لب العبادة، فمن صفات المؤمنين الاطمئنان للذكر والاطمئنان بالذكر، فمن لا طمأنينة له بذكر الله لا يستكمل صفات الإيمان)، لهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ وهم أشد الناس تأسيًا به عليه الصلاة والسلام من أعظم الذاكرين وأرقاهم منزلة، ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده:- {إِنَّ أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يُذكرون بذكري وأُذْكَرُ بذكرهم}، كيف لا يكون أصحاب المصطفى ﷺ هم أولياء الله وأحبابه وقد لقنهم عليه الصلاة والسلام كلمة التوحيد مباشرة، قال يعلى بن شداد:- "حدثني أبي شداد بن أوس، وعُبادة بن الصامت حاضر يصدقه، قال:- كنا عند النبي ﷺ فقال:- "هل فيكم غريب؟"، يعني من أهل الكتاب فقلنا:- لا يا رسول الله! فأمر بغلق الباب وقال:- "ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله!" فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال:- "الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد"، ثم قال:- "أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم"، فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:- اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة)، وكانوا رضوان الله عليهم يخشون على أنفسهم النفاق وهم أنقى القوم ويخشون الكذب وهم أصدق القوم، قال حنظلة بن الربيع: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر النار، ثم جئت إلى البيت، فضاحكت الصبيان، ولاعبت المرأة، فخرجت فلقيت أبا بكر، فذكرت ذلك له، فقال:- وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:- يا رسول الله! نافق حنظلة؟ فقال:- "مه!" فحدثته بالحديث فقال أبوبكر:-

وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال:- "يا حنظلة! ساعةً وساعةً! لو كانت قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق"، وعن قيمة الذكر ومكانته الرفيعة بين سائر العبادات يقول ﷺ:- {أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا:- مَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:- ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى}، قال الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله:- إن كلَّ عمل نقرأه في القرآن والحديث قام به رسول الله ﷺ وصحبه الكرام عمل جهادي، لقد كانت حياتهم جهادًا متواصلًا، استغرق الجهاد أموالهم وأنفُسَهم وأهليهم ووقتَهم وليلهم ونهارهم، إلا فترات يعافسون فيها الأموال والأولاد، ويضاحكون فيها الأطفال ويلاعبون فيها النساء، فيحسبون أن قد نافقوا لخروجهم تلك اللحظات عن مألوفهم الجهادي، ويفزعون إلى رسول الله ﷺ كما فَزِع حنظلة وأبو بكر رضي الله عنهما)، هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يكثرون من الاستغفار والتوبة والإنابة؛ يقول سيدنا علي رضي الله عنه:- العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل:- وما هي؟ قال:- الاستغفار) وسيدنا ابن عباس رضي الله عنهما يقول:- التوبة النصوح:- الندم بالقلب، والاستغفار باللسان)، ويصف سيدنا علي رضوان الله عليه أصحاب النبي ﷺ فيقول:- كانوا إذا ذكروا الله تعالى مادوا كما تميد الشجرة في اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على ثيابهم)، ذكر ابن سعد بسند صحيح عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول:- أسبح بقدر ذنبي، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه:- الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك)، روى مسلم والترمذي "عن أبي سعيد الخدري أن معاوية خرج على حلقة في المسجد فقال:- ما أجلسكم؟ قالوا:- جَلسنا نذكر الله! قال:- آللهِ ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا:- آللهِ ما أجلسنا غيره! قال:- أما إني لم أستحلفْكم تُهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من

أصحابه فقال:- "ما أجلسكم؟" قالوا:- جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال:- "آللهِ ما أجلسكم إلا ذلك!" قالوا:- آللهِ ما أجلسنا إلا ذلك! قال:- أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة"، روى الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال:- "كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فمر النبي ﷺ فكفوا، فقال:- "ما كنتم تقولون؟" قلنا:- نذكر الله، قال:- "إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها"، ثم قال:- "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم"، وذلك قوله تعالى لحبيبه:- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}، (الكهف:-٢٨)، ولهذا يقول الأستاذ عبد السلام رحمه الله وأعلى مكانه:- (تبقى حلق الذكر دائرة نورانية عزيزة من دوائر السنة المحمدية على جند الله أن يعطوها حقها)، ولما كبر خالد بن الوليد رضي الله عنه أخذ المصحف وبكى وقال شغلنا عنك الجهاد)، قال معاذ ببن جبل رضي الله عنه:- ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) قالوا:- يا أبا عبد الرحمن ولا الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ؟ قال ولا الجهاد إلى أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه:- {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}،(العنكبوت:-٤٥)، ويقول شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله:- الذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن مُنِعَه عُزِل، وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارةُ ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بُوراً، وهو سلاحهم الذي به يقاتلون قطّاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست فيهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب)، يقول أحد السلف عن حال العباد:- إذا انكشف الغطاء يوم القيامة عن ثواب أعمالهم، لم يروا ثوابًا أفضل من ذكر الله تعالى فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون:- ما كان شيء أيسر علينا من الذكر)، فاللهم ارزقنا ألسنة رطبة بذكرك وشكرك، وحسن عبادتك، وهكذا حال المؤمن

مع سائر العبادات، فهو في الصلاة مُصَلٍّ، وفي الصيام صائمٌ، وفي الزكاة مُزَكٍّ، وفي الحج حَاجٌّ، وفي الصدقة مُتَصَدِّقٌ، وفي النفقة مُنْفِقٌ، وفي الجهاد مجاهدٌ، وعلى الثغور مرابطٌ، فحاله مع الله في سائر العبادات بلا محال، فله في كُلِّ عبادةٍ باعٌ طويلٌ، وفي كُلِّ عملِ بِرٍّ أثرٌ كبيرٌ، وفي كُلِّ خيرٍ عملٌ جليلٌ، سَبَّاقٌ في الخيراتِ، خَوَّاضٌ للغمراتِ، صَوَّامٌ في الهَجَرَاتِ، قَوَّامٌ في الظُّلُمَاتِ، باذلٌ للخيراتِ، سَاكِبٌ لِلْعَبَرَاتِ، كاتمٌ للآهات، إِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِنْ مُنِعَ صَبَرَ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ غَفَرَ، على نفسه شديد، وعلى غيره رحيم، يصل من قطعه، ويعطي من رحمه، ويعفو عمن ظلمه، ممتثلاً قول حبيبه ﷺ:- { أمرني ربي بتسع:- خشية الله في السر والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني، وأن يكون صمتي فكرًا، ونطقي ذكرًا، ونظري عبرة، وآمر بالعرف}، فحاله مع الله بلا محال في سائر الطاعات، يتعب نفسه في رضاء ربه، فالطاعة مفتاح السعادة وسبب كل خير:- يقول الله عزَّ وجلَّ:- {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}،(الرعد:-٢٨)، أي:- تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرًا؛ ولهذا قال:- {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، أي:- هو حقيق بذلك:- {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}،(الرعد:-٢٩)، قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس:- فرح وقُرة عين وقال عِكْرِمة:- نعم مالهم، وقال الضحاك:- غبطة لَهُم، وقال إبراهيم النَّخعي:- خير لهم، وقال قتادة:- هي كلمة عربية يقول الرجل:- "طوبى لك" أي:- أصبت خيرًا، وقال في رواية:-{ طُوبَى لَهُمْ }حسنى لهم،{وَحُسْنُ مَآبٍ }، أي:- مرجع، وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها، تفسير بن كثير، فذكر الله سبب الراحة والطمأنينة والسعادة، وهو الإيمان وعمل الصالحات، فطوبى لهم وفرحٌ لهم وقُرةُ عينٍ لهم، وَنِعْمَ مَالُهُمْ، وغبطةٌ لَهُم، وخيرٌ لهم، وحسنى لهم، ونعمة لهم، وبركة لهم، وسعادة لهم، وطمأنينة لهم، وكل خير لهم، لهم وحدهم، وكأن الخير

والسعاة واقفة عندهم، فلا يَسْعَدُ ولا يُفْلِح ولا يهنأ غيرهم، غير أهل الله وأهل طاعته سبحانه وتعالي، قال أحمد ابن حنبل في الزهد سمعت وهبًا يقول:- « إن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل:- إني إذا أُطِعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإني إذا عُصِيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الولد »، الزهد لابن حنبل ومحاسن التأويل:- محمد جمال الدين القاسمي والدر المنثور في التأويل بالمأثور:- السيوطي في تفسير قوله تعالي:- {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}،(الكهف:-٨٢)، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره:- "إِنَّ فِي الأَلْوَاحِ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِموسى الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:- {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ}،(الأعراف:-١٤٥)، قَالَ لَهُ:- يَا موسى، اعْبُدْنِي وَلا تُشْرِكْ مَعِيَ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَلا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَإِنَّهُمْ خَلْقِي كُلُّهُمْ، فَإِذَا أَشْرَكَ بِي غَضِبْتُ، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَإِنَّ لَعْنَتِي تُدْرِكُ الرَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ، وَإِنِّي إِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ، فَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَالْبَرَكَةُ مِنِّي تُدْرِكُ الأُمَّةَ بَعْدَ الأُمَّةِ، يَا موسى، لا تَحْلِفْ بِاسْمِي كَاذِبًا، فَإِنِّي لا أُزَكِّي مَنْ حَلَفَ بِاسْمِي كَاذِبًا، يَا موسى، وَقِّرْ وَالِدَيْكَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَقَّرَ وَالِدَيْهِ مَدَدْتُ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَوَهَبْتُ لَهُ وَلَدًا يُبِرُّهُ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ قَصَّرْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ، وَوَهَبْتُ لَهُ وَلَدًا يَعُقُّهُ، يَا موسى، احْفَظِ السَّبْتَ، فَإِنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ فَرَغْتُ فِيهِ مِنْ خَلْقِي، يَا موسى، لا تَزْنِ وَلا تَسْرِقْ، يَا موسى، لا تُوَلِّ وَجْهَكَ عَنْ عَدُوِّي، يَا موسى، وَلا تَزْنِ بِامْرَأَةِ جَارِكَ الَّذِي يَأْمَنُكَ، يَا موسى، لا تَغْلِبْ جَارِكَ عَلَى مَالِهِ، وَلا تُخْلِفْهُ عَلَى امْرَأَتِهِ"، تفسير القرآن العظيم مسندٌ عن الرسول ﷺ و الصحابة و التابعين، (لابن أبي حاتم)، فالطاعة سبب في الرضا والرضا أصل كل سعادة ومع هذه السعادة بركة، بركة في كل شيء، في الرزق وفي العمر وفي الأولاد وفي الزوجة وفي كل شيء وليس لها نهاية أو أنها يأتي عليها يوم فتنفد وتنتهي، فهو سبحانه يملك مفاتيح كل شيء ومنها السعادة والبركة، ويصدّق ذلك القرآنُ الكريم إذ يقول ربنا تبارك اسمه:- {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ*مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ*مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(النحل:٩٦-٩٧)، لا تشتروا الثمن القليل الذي إذا ما قورن بما عند الله فهو قليل، بل لا يُذكر من قلته، لا تشتروه بعهد الله، بمخالفتكم لما عاهدتم عليه الله من طاعة وامتثال، لا تركنوا إلي المال والثروات والمناصب والدنيا فهي لعاعة لأن ما عند الله في الدنيا وفي الآخرة خير مما عندكم، فالسعادة التي يشعر بها القلب المتصل بالله خير من كل كنوز الدنيا فالمحروم من حرم لذة المناجاة من حرم طعم الإيمان وفي الحديث عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:- « ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً »، رواه مسلم، فللإيمان طعم ولذة، وللصلاة طعم ولذة، وللمناجاة طعم ولذة، وللصيام طعم ولذة، وللبكاء من خشية الله طعم ولذة، ومن لم يذق هذا الطعم فهو المحروم الخاسر، وفي الآخرة ما من لذة يتلذذ بها أهل الجنة خير من لذة النظر إلي وجهه الكريم فعَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ:- {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}،(يونس:-٢٦)، قَالَ:- « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ:- يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِداً يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ:- وَمَا هُوَ:- أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا (وفي رواية وَيُعْطِنَا كُتُبَنَا بِأَيْمَانِنَا) وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُخْرِجْنَا (وَيُنَجِّنَا)مِنَ النَّارِ، قَالَ:- فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَ اللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ »، رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد وصححه الألباني.

*- روى أنه لما دخل هارون الرشيد حرم مكة ابتدأ بالطواف ومنع الناس من الطواف فسبقه أعرابي وجعل يطوف معه، فشقَّ ذلك على أمير المؤمنين والتفت إلى حاجبه كالمنكر عليه، فقال الحاجب:- يا أعرابي خلِّ الطواف ليطوف أمير المؤمنين، فقال الأعرابي:- إن الله تعالى قد

ساوى بين الأنام في هذا المقام والبيت والحرام، فقال تعالى:- {سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ، ومَنْ يُرِدْ فِيهِ بإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَاب أَلِيمٍ}،(الحج:-٢٥)، فلما سمع الرشيد ذلك من الأعرابي أمر حاجبه بالكفِّ عنه، ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه، ثم أتى إلى المقام ليصلي فيه فسبقه الأعرابي فصلى فيه، فلما فرغ الرشيد من صلاته وطوافه قال للحاجب:- ائتني بالأعرابي فأتى الحاجب الأعرابي وقال له:- أجبْ أميرَ المؤمنين، فقال مالي إليه حاجة وإن كانت له حاجة فهو أحق بالقيام إليها، فانصرف الحاجب مغضباً ثم قصَّ على أمير المؤمنين حديثه، فقال:- صدق نحن أحق بالقيام والسعي إليه، ثم نهض أمير المؤمنين والحاجب بين يديه حتى وقف بإزاء الأعرابي وسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال له الرشيد:- يا أخا العرب أأجلس ههنا بأمرك؟ فقال له الأعرابي:- ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي، البيت بيت الله والحرم حرم الله، وكلنا فيه سواء إن شئت تجلس، وإن شئت تنصرف، قال:- فعظم ذلك على الرشيد حيث سمع ما لم يخطر في آذانه، وما ظن أحداً يواجهه بمثل ذلك، فجلس إلى جانبه وقال له:- يا أعرابي أريد أن أسألك عن فرضك الذي فرضه الله تعالى عليك فإن قمت به فأنت بغيره أقوم، وإن عجزت عنه فأنت بغيره أعجز، فقال له الأعرابي:- سؤالك هذا سؤال متعلم أو سؤال متعنت؟ قال فعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال:- بل سؤال متعلم، فقال الأعرابي:- قم واجلس مقام السائل من المسئول، قال:- فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدى الأعرابي، فقال له:- قد جلست! سل عما بدا لك، قال:- أخبرني بما فرضه الله تعالى عليك؟ فقال:- تسألني عن أي فرض، أَعَنْ فرضٍ واحدٍ أم عن خمسة فروض، أم عن سبعة عشر فرضاً، أم عن أربعةٍ وثلاثين فرضاً، أم عن أربعة وتسعين فرضاً، أم عن واحدةٍ من أربعين أم عن واحدةٍ طول العمر، أم عن خمسة من مائتين، قال فضحك الرشيد مستهزئاً ثم قال:- سألتك عن فرض فأتيتني بحساب الدهر، قال:- يا هارون لولا أن الدين حساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم

القيامة قال تعالى:- {فَلاَ تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وإِنْ كانَ مِثْقَال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدلٍ أَتَيْنا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}،(الأنبياء:-٤٧)، قال:- فظهر الغضب في وجه أمير المؤمنين وتغير من حالٍ إلى حال، لأنه قال له:- يا هارون ولم يقل له يا أمير المؤمنين، وبلغ منه ذلك مبلغاً شديداً غير أن الله عصمه من ذلك الغضب، ورجع إلى عقله لما علم أن الله هو الذى أنطقه بذلك، ثم قال له الرشيد:- وتربة آبائي وأجدادي إن لم تفسر لي ما قلت وإلا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة، فقال الحاجب:- يا أمير المؤمنين اعفُ عنه وهبه لله تعالى، لأجل هذا المقام الشريف، قال:- فضحك الأعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه، فقال له الرشيد:- مِمَّ تضحك؟ قال:- عجباً منكما فإن أحدكما يستوهب أجلًا قد حضر، والآخر يستعجل آجلاً لم يحضر، فلما سمع الرشيد ما سمع منه هانت عليه الدنيا، ثم قال:- سألتك بالله إلا ما فسرت لي ما قلت فقد تشوقت نفسي إلى شرحه فقال الأعرابي:- أما سؤالك عن فرض الله عليَّ فقد فرض الله عليَّ فروضاً كثيرةً فقولي لك عن فرض واحد فهو دين الإسلام، وأما قولي لك عن خمسة فروض فهي الصلوات الخمس، وأما قولي لك عن سبعة عشر فهي سبع عشر ركعة في اليوم والليلة، وأما قولي لك عن أربعة وثلاثين فهي السجدات، وأما قولي لك عن أربع وتسعين فهي التكبيرات وأما قولي لك عن واحدةٍ من أربعين فهي الزكاة شاة من أربعين شاة وأما قولي لك عن واحدةٍ في طول العمر فهي حجة في طول العمر على الإنسان، وأما قولي لك عن خمسة من مائتين فهي زكاة الورق، فامتلأ الرشيد فرحاً وسروراً من تفسير هذه المسائل، ومن حسن كلام الأعرابي وعظم فطنته، واستعظمه في عينه ثم إن الأعرابي قال للرشيد:- سألتني فأجبتك، فإذا سألتك أنا أتجيبني؟ فقال الرشيد:- سل، فقال الأعرابي:- ما يقول أمير المؤمنين في رجل نظر إلى امرأة وقت الصباح، فكانت عليه حراماً، فلما كان الظهر حلت له، فلما كان العصر حرمت عليه، فإذا كان المغرب حلت له فإذا كان العشاء حرمت عليه، فإذا كان الفجر حلت له، فإذا كان الظهر

حرمت عليه، فلما كان العصر حلت له، فقال له الرشيد:- فقد أوقعتني في بحر لا يخلصني منه غيرك، فقال الأعرابي:- أنت أمير المؤمنين وليس أحد فوقك، ولا ينبغي أن تعجز عن شيء فكيف تعجز عن مسألتي؟ فقال له الرشيد:- لقد عَظَّمَ قدرَكَ العلمُ وَرَفَعَ ذِكْرَكَ، فأريد أن تفسر لي ما ذكرت إكراماً لي، ولهذا البيت الشريف، فقال الأعرابي:- حباً وكرامة أما قولي لك في رجل نظر إلى امرأةٍ وقت الصبح فكانت عليه حراماً، فهذا رجل نظر إلى أَمَةِ غيره في الصباح فكانت حرامًا، ففلما كان الظهر اشتراها فحلت له، فلما كان العصر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان المغرب تزوجها فحلت له، فلما كان العشاء ارتدت عن الإسلام فحرمت عليه، فلما كان الفجر استتيبت فتابت فحلت له، فلما كان الظهر ارتد هو عن الإسلام فحرمت عليه، فلما كان العصر استتيب فتاب وعاد إلى الإسلام فحلت له، قال:- فتعجب الرشيد وفرح به، واشتد عجبه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فلما حضرت قال:- لا حاجة لي بها ردها إلى أصحابها، قال:- فهل تريد أن أُجْرِيَ لك جرايةً تكفيك مدة حياتك؟ قال:- الذى أجرى عليك يجري عليَّ، قال:- فإن كان عليك دين قضيناه فلم يقبل منه، ثم أنشد يقول:-

هب الدنيا تواتينا سنينـــــا فتكدر تارة وتلذّ حينـــــا

فما أرضى بشيء ليس يبقى وأتركه غداً للوارثينـــــــا

كأني بالتراب على يحثـــى وبالإخوان حولي نائحينـــا

ويوم تزفر النيران فيـــــه وتقسم جهرةً للسامعينـــا

وعزة خالقي وجلال ربـــي لأنتقمن منكم أجمعينـــا

فلما فرغ من إنشاده تأوه الرشيد وسأل عنه وعن أهله وبلاده، فأخبروه أنه ''علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن شهيد كربلاء بن الإمام علي رضى الله عنهم أجمعين'' وكان قد تزيَّا بزي الأعراب زهداً في الدنيا وتورعاً عنها فقام وقبله بين عينيه ثم قرأ:- {اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}،(الأنعام:-١٢٤)، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

*- طريقتنا قلب عامر بالمحبة والإيمان:-

إن الإيمان راسخ في قلوب المؤمنين الصادقين رسوخ الجبال الشوامخ، وعامر بالمحبة، لأنه لا يستكمل العبد الإيمان حتى يحب الله ورسوله أكثر مما سواهما، ولا يجد حلاوة الإيمان ولذته إلا أن يكون الله ورسوله أحب إليه نفسه وماله وولده والناس أجمعين، ولا يستمتع بهذا الدين ويجد ثماره إلا أن يكون حب الله ورسوله راسخ في القلب، مقيم في الفؤاد، متغلغل في جميع حناياه لا ترتحل أبدًا، ولا يزول البتة، وهذه المحبة هي جنة الدنيا التي من حرمها حرم الخير في الدنيا بل وربما حرم جنة الآخرة، قال الحسن:- "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة"، نعم، في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة، هي جنة الحب وأوله حب الله ورسوله، وفي الدنيا نعيم من لم يذقه فلن يذوق نعيم الآخرة، وهو نعيم القرب من الله تعالى، وفي الدنيا حلاوة من لم يجدها فلن يجد حلاوة الآخرة، هي حلاوة طاعة الله ورسوله، ولا يستقيم ذلك كله للعبد إلا بعد أن تستقيم له المحبة، فالمحبة أصل كل عمل إن صحت المحبة، هان العمل يسيره وعسيره، فتعالوا بنا – أيها الإخوة – نعيش هذه اللحظات في هذه الحديقة الغناء والبستان الرائع الماتع "بستان المحبة والألفة "، أولًا:- ما هي المحبة؟ بداية نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلنا ممن أوتي بصيرة، فصارت له سراجًا يضيء له

الظلمات، حتى نصل إلى الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، محفوظين بعين الله التي لا تنام، مكلوئين بكلئه الذي لا يرام ولا يضام، سأل سفيان الثوري رجلًا يومًا كيف حبك لأبي بكر – رضي الله عنه –؟ فقال:– شديد، قال سفيان:– فكيف حبك لعمر؟ قال:– شديد، قال:– فكيف حبك لعثمان؟ قال:– شديد، قال:– فكيف حبك لعلي؟ فقال الرجل:– شديد – وأطال فيها – فقال سفيان:– هذه الشديدة الأخيرة تحتاج إلى ضربة على رأسك لتعتدل، قال العلماء:– إن المحاب ترتيبها توقيفي لا ينبغي أن يعطى أحد منها فوق من هو أفضل منه، فينبغي أن يحب المرء الصحابة أكثر مما يحب غيرهم، ويحب الخلفاء الراشدين منهم أكثر مما يحبهم، ويحب أبا بكر أكثر من عمر، وعمر أكثر من عثمان، وعثمان أكثر من علي، وهكذا على حسب درجاتهم ومراتبهم، ينبغي أن يترتب في القلب حبهم، فينبغي أن يترأس حبهم في القلب على حب كل بشر سواهم أيًّا كان هذا البشر، خلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأعلى من هذا وأغلى حب الرسول ﷺ، وأعلى وأغلى منه وأفضل وأكبر وأكثر حب الله تعالى، فهو الحب الأول، وكل شيء يُحَبُّ لله، إلا حب الله؛ فهو يحب لذاته، ولذلك كانت محبة الله هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عَلمَها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حَلَّتْ بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائمًا إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من

قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قَدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة، تالله لقد سبق القوم السعاة وهم على ظهور الفرش نائمون، وقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون، ولله در القائل:-

من لي بمثل سيرك المـــــــدلل تمشي رويدًا وتجيء فـــــــي الأول

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح، وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح، تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم وشكروا مولاهم على ما أعطاهم، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح، ولله در القائل:-

فَحَيَّهَلَا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَـــــدْ حَدَا بِكَ حَادِي الشَّوْقِ فَاطْوِ المَرَاحِـلَا

وَقُلْ لِمُنَادِي حُبِّهُمْ وَرِضَاهُـــــــمُ إِذَا مَا دَعَا لَبَّيْكَ أَلفًا كَوَامِـــــــــــلَا

وَلَا تَنْظِرِ الأَطْلَالَ مِنْ دُوْنِهِمْ فِـــإِنْ نَظَرْتَ إِلَى الأَطْلَالِ عُدْنَ حَوَائِـــــــلَا

وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسَّيْرِ رُفْقَةَ قَاعِـــــــدٍ وَدَعْهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ يَكْفِيْكَ حَامِـــــــلَا

وَخُذْ مِنْهُمُ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَـــــى طَرِيْقِ الهُدَى وَالفَقْرِ تُصْبِحُ وَاصِـــــلَا

وَأَحْيِ بذكراهم سُرَاكَ إِذَا وَنَـــــــتْ رِكَابُكَ فالذكرى تُعِيْدُكَ عَامِـــــــــلَا

وَإِمَّا تَخَافَنَّ الكلالَ فقلْ لَهَـــــــــا أَمَامَكَ وِرْدُ الوصلِ فَابْغِ المَنَاهِـــــلَا

وخذْ قبسًا منْ نورهم ثمَّ سِرْ بـــــهِ فنورهم يهديك ليسَ المَشَاعِـــــــــلَا

وحيَّ على جناتِ عدنٍ بقربهـــــم منازلُكَ الأولى بها كُنْتَ نَـــــــــازِلَا

ولكنْ سَبَاكَ الكاشحونَ لِأَجْـــلِ ذَا وقفتَ على الأطلالِ تبكي المَنَـــــازِلَا

فَدَعْهَا رسومًا دارساتٍ فما بهـــــا مقيلٌ فجاوزها فليستَ مَنَـــــــــازِلَا

رُسُومٌ عفتْ يفنى بها الخلقُ كمْ بهـا قتيلٌ وكمْ فيها لذا الخلقِ قَاتِـــــــــلَا

وَخُذْ يمنةً عنها على المنهجِ الــذي عليهِ سَرَى وفدُ المحبةِ آهِـــــــــــلَا

وقلْ سَاعِدِي يا نفسُ بالصبرِ ساعةً فعندَ اللقا ذا الكدِّ يُصْبِحُ زَائِـــــــــلَا

فَمَا هِيَ إِلَّا ساعةٌ ثُمَّ تَنْقَضِـــــــي وَيُصْبِحُ ذو الأحزانِ فرحانَ جَـــــــاذِلَا

أيها الكرام! إذًا فما هو الحب؟ وما هي المحبة؟ الحب هو الحب، والمحبة هي المحبة، وقد قيل:- من المعاني:- ما هو كالورد يشم ولا يلمس، ويتنسم ولا يتحسس؛ لأنه يستروح به ولا يجدي أن "يُفْعَصَ"، يقول العلامة ابن القيم:- لا تُحَدُّ المحبةُ بِحَدٍّ أوضح منها:- فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإن كان ولا بد فالمحبة هي وصف قائم بالقلب يؤدي إلى السرور وغيره من المقتضيات؛ كالطاعة واللذة ونحوها"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:- "وأصل المحبة قوة في القلب تحرك إرادة الإنسان لتحصيل المحبوبات أصلًا، ودفع المكروهات تبعًا، فتميل النفس إلى الشيء إذا كان محبوبًا، وتنفر عنه إن كان مكروهًا، ولله در القائل:-

وقف الهوى بي حيث أنـــت فليس لي متأخر عنه ولا متقـــدم

أجد الملامة في هواك لذيـــذة حبًّا لذكرك فليلمني اللـــــــوم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهـــم

وأهنتني فأهنت نفسي صاغـرًا ما من يهون عليك ممن يكـــــرم

وكما قال بعضهم:-

ولئن ساءني أن نلتني بمضرة فلقد سرني أني خطرت ببالـــــك

هذا كلام يقوله أهل الدنيا في محبة بعضهم بعضًا، فما البال إن كان المحبوب الذي هو بكل جميل كفيل، وهو الحسب ونعم الوكيل، فما من نعمة إلا هو منعمها، وما من مِنَّةٍ إلا هو صاحبها، وما تعرف يد لها جميل إلا هو سائقها وموجهها، عزَّ شأنه وعظم سلطانه وتعظمت آلاؤه وتقدست أسماؤه، فهو سبحانه أولى بالحب من كل أحد، ولذلك أيها الإخوة الكرام كان لا بد وأن نجعل محبة الله في القلب في أعلى وأوسع وأرسخ مكان، وأن تأتي المحابُّ كلها في القلب بعد ذلك، هذا من أصل التوحيد ولبه، وإلا كانت شركًا، وبهذا نعلم أن المحبة نوعان؛ أي:- بالنسبة إلى الله تعالى، محبة واجبة، ومحبة محرمة، فالمحبة الواجبة هي محبة الله تعالى أكبر من محبة غيره، والمحبة المحرمة هي محبة غير الله أعظم من محبته أو مثل محبته فمن المحبة المحرمة أن تدفعك محبة شخص إلى طاعته في الكفر، فهذا حرام؛ لقوله تعالى:- {وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}،(البقرة:- ١٦٥)، أو تدفعك محبته إلى عبادته كذات الإله والسجود له والاستغاثة به، ولا شك أن هذا شرك أكبر، ومن المحبة المحرمة محبة الكفار لدينهم أو محبة دينهم، وهذا كفر، والأدلة على هذا في القرآن والسنة كثيرة جدًّا كما قال تعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}،(المائدة:-٥١)، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:- "المرء مع من أحب"، فلا شك أن من أحب الكفار لدينهم وكفرهم كفر، فهذه أمثلة

للمحابِّ المحرمة، وكل محبة جائزة دفعتك إلى فعل محرم أو ترك واجب، فهي محرمة أيضًا، إذًا محبة الله واجبة، وهذه المحابُّ التي ذكرناها محرمة، وهناك نوع ثالث وهي المحابُّ الجائزة، فمنها:- محبة المال والزوجة، وقد قال ﷺ:- "حُبِّب إلي من دنياكم النساء والطيب"، ومنها محبة الولد لوالده، ومحبة الطالب لأستاذه وشيخه، ومنها محبة الوالد لولده ومحبة المسكين والمريض، ومنها المحبة التي تكون للألف والأنس؛ أي:- للمؤالفة والمؤانسة كمحبة المشركين في صنعة، ومحبة الذين من بلد واحد في الغربة، وهذه المحابُّ جائزة في الأصل؛ لقوله تعالى:- { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}،(التوبة:-٢٤)، فالشرط ألا تكون مثل محبة الله ولا أكثر، والأصل في هذا كله أن نفهم هذه الآيات:- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}،(البقرة:- ١٦٥ – ١٦٧)، قال ابن القيم:- أخبر أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبتْ هذا الندَّ في الربوبية بخلاف ندِّ المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم، فينبغي أيها الإخوة أن نضبط مقاييس هذه المحابِّ في القلوب، وأن يكون مرجع ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله، فما وجدناه حلالًا فعلناه، وما كان حرامًا اجتنبناه، فإن الله – عزَّ وجلَّ – ذم من آثر على محبته محبة غيره مع أنه مجبول عليها، فقال عزَّ وجلَّ:- {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}،(التوبة:- ٢٤)، ودعا عليهم النبي ﷺ ودعاؤه مقبول بالتعاسة وخيبة الرجاء، وانقلاب المقصد إلى ضد ما يقصد، فقال ﷺ كما في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:- «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ ".

ثانيًا:- فهيا نؤصل المحبة في القلوب لتؤتي ثمارها الشهية:-

أولًا:- ما هي المحبة؟.. أيها الإخوة الكرام!، فحاذر أيها الكريم أن يكون أحد في قلبك أعظم محبة من الله تعالى، والسؤال الآن:- كيف يصل إلى قلب المسلم هذا التصور ويرسخ فيه كاعتقاد؟، إن ذلك يكون ذلك بأمور منها:- منها:- أن يتفكر في خلق الله عزَّ وجلَّ فيصل بذلك إلى تعظيمه ومحبته، فإن من عظَّم شيئًا، خضَع له، ومنها:- أن يستشعر نعم الله عليه، وأنها لا تعد ولا تحصى، فيؤسر قلبه لذلك، فالإنسان أسير الإحسان، والإحسان يدك العنق، وكما قيل:-

أَحْسِنْ إلى الناسِ تستعبدْ قلوبَهُمُ فلطالما استعبدَ الإنسانَ إحســـــانُ

ومنها:- التعرف إلى الله عزَّ وجلَّ بأسمائه الحسنى، ومنها الودود القريب المجيب، الرحمن الرحيم الرؤوف، المنان الحنان، وكذلك التعرف إلى صفاته العليا، فعن طريق معرفة الأسماء الحسنى والصفات العلا، يحب المرء الله تعالى، فيرسخ في قلبه حبه عزَّ وجلَّ، ومنها:- الاقتراب منه تعالى، وإدمان طَرْق بابه، والوقوف على نِعَمه الخفية التي لا يشعر بها إلا من اغترف من

معين العبودية، وكما قيل:- من ذاق عرف ومن عرف اغترف، فبهذه الأسباب وأشباهها - أيها الإخوة - يجد القلب محبة الله، ومن وجد محبة الله ذاق طعم الإيمان، ووجد حلاوته، واستشعر نعيمه ولذته، واستمتع بهذا الدين فعاش في جنة في الدنيا قبل الآخرة، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - قال:- قال رسول الله ﷺ:- "ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"، إنه فرح ولذة وسرور ونشوة لا يعدلها شيء في الدنيا على الإطلاق، حتى قال من وجدها يومًا:- إنا لفي نعيم لو يعلم به الملوك وأبناء الملوك، لجالدونا عليه بالسيوف، وقال آخر:- "إنه لتمر على القلب لحظات أقول عنها:- لو أن أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من النعيم، إنهم لفي نعيم مقيم"، وقال آخر:- "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا أحلى ما فيها، قيل:- وما أحلى ما فيها؟ قال:- ذكر الله عزَّ وجلَّ"، وقال آخر:- "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة، وفي الدنيا نعيم من لم يذقه، فلن يذوق نعيم الآخرة"، يقصد:- جنة محبة الله، ونعيم القرب من الله، لله در شيخ الإسلام ابن تيمية وقد حبسوه في سجن القلعة، فقال:- {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}،(الحديد:- ١٣)، ثم قال:- ماذا يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أينما ذهبت فهي معي، إن نفوني فنفيي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، وإن سجنوني فسجني خَلوة"، ثم قال:- "المحبوس منْ حُبِسَ قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، والله لو بذلت ملء القلعة ذهبًا ما عدل ذلك عندي شكر نعمة الحبس، وما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، سبحان الله ينطق حاله قائلاً:-

أنا لست إلا مؤمنًا بالله في سري وجهري أنا نبضة في صدر هذا الكون فهل يضيق صدري

يقول تلميذه ابن القيم رحمه الله:- وعلمِ اللهِ ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والتنعم، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، ومع ذلك فهو من أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرُّهُمْ نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً وطمأنينةً، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها، ولله در القائل:-

رَجَحُوا حِلْمًا وَخَفُّوا هِمَمـــــًا وَنَشُوا سِيَدًا وَشَبُّوا عُلَمـــــــــا

علموا من أين ينزاح الشقاء، فأزاحوه وعاشوا سعداء، إنه بلسم الحياة، وإذا بآخر يحكم عليه بالقتل ويُعلن عليه، ويحكم عليه، فما يزيد على أن يفتر ثغره عن ابتسامةٍ نابعةٍ من صدرٍ مطمئنٍ هادئٍ، واثقٍ بموعودِ اللهِ، فيقال له:- ما تنتظر؟ قال:- أنتظر القدوم على ربي، لقد عملت لهذا المصرع خمسة عشر عامًا، وإني لأرجو الله أن تكون شهادة في سبيله:-

فو الله إني أرى مصرعـــــي ولكن أمدُّ إليه الخطـــــــــى

وتالله هذا ممات الرجـــــال فمن رام موتًا شريفًا فـــــــذا

وهكذا أيها الإخوة سرورٌ وفرحةٌ ورغدٌ ونشوةٌ خيرٌ منْ كلِّ متاعٍ، إنها على حد تعبير بعضهم لحظات من الجنة، فلا ريب أن يكون التعبير عنها بهذا اللفظ:- "وجد حلاوة الإيمان"، فأثبت النبي ﷺ للإيمان حلاوة، أقول بل أثبت النبي ﷺ أن للإيمان مذاقًا وطعمًا، كذلك ففي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:- "ذاق

طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا"، أيها الإخوة! كيف السبيل إلى وجدان هذه الحلاوة؟ والجواب – كما أوضحه الحديث – بثلاثة:-

الأول:- تقديم محبة الله والرسول ﷺ على ما سواهما؛ يعني:- أن يقدم العبد أمر الله وأمر رسوله ونواهي الله ورسوله ﷺ على كل شيء.

الثاني:- أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، لا من أجل دنيا يصيبها ولا مصلحة يحصلها، بل لله وحده محبة خالصة يكتب الله لها الدوام والاتصال، ويتصل نعيمها بنعيم الآخرة؛ كما قال عزَّ وجلَّ:- {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}،(الحجرات:- ١٠).

الثالث:- أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، فأثبت لهم عقد الإيمان والأخوة، فلا يحب محبة خالصة إلا المؤمن ولا يكون مؤمنًا حقًّا إلا إذا أحب محبة خالصة، فإذا رأيت إيمانًا بلا أخوة، فاعلم بأنه إيمان ناقص، وإن رأيت أخوة بلا إيمان، فاعلم أنها التقاء مصالح وتبادل منافع، وإذا رأيت أخوة الإيمان، فتلك التي سمى الله عزَّ وجلَّ في كتابه، بثلاثة أمور يجد العبد طعم الإيمان أيها الإخوة:- أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، و أن يكره الكفر كراهية شديدة كما يكره أن يلقى في النار، فمن حرص على هذه الأمور الثلاثة فقد حصَّل محبة الله تعالى وعلى قدر الطاعة لله وعلى قدر العبادة لله يذوق العبد حلاوة الإيمان، وعلى قدر المعصية يفقد هذه الحلاوة حسب زيادة الإيمان ونقصانه، فعقيدتنا عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة الطاعات والصالحات، وينقص بالمعاصي والزلات والسيئات، وعلى قدر الإيمان يكون مذاقه وطعمه وحلاوته.

أيها الإخوة! ناجى نبي الله داود ربه فقال:- "يا رب، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ فقال الله عزَّ وجلَّ:- أحب عبادي إلي تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني،

وأحب من أحبني وحببني إلى خلقي، فقال داود:- يا رب إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك، قال:- يا داود ذكِّرهم بآلائي، ونعمائي وبلائي"، ومن جعل السعي إلى مرضاة الله تعالى وجهه ومقصده، كان من أكمل الناس إيمانًا، فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، ولا يصل إلا لله، ولا يقطع إلا لله؛ روى أبو داود وحسنه الألباني من حديث أبي أمامة مرفوعًا:- "من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله - فقد استكمل الإيمان"، وروى أحمد وابن جرير عن ابن عباس أنه قال:- "من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا"، هذه هي حقيقة الموالاة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ كما قال تعالى:- {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}،(المائدة:- ٥٥)، فالموالاة بنص هذه الآية لا تكون إلا لله تعالى لذاته، وتكون لرسوله ﷺ وللمؤمنين لأمر الله تعالى بموالاتهم، فمن كان عنده موالاة لغير الله ورسوله والمؤمنين، فقد أشرك مع الله غيره في الحب، ولا شك أن شرك الولاية داخل في شرك المحبة، لكون موالاة أهل الشرك والكفر من نواقض التوحيد، بل لا تتحقق شهادة أن ''لا إله إلا الله'' إلا بإخلاص المحبة والولاية لله وحده لا شريك له، وموالاة من أمر الله تعالى بموالاتهم، فمن فعل ذلك ضمن مع الله تعالى النجاح والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، فما كان لله دام واتصل، وهذا هو الذي والى الله ورسوله والمؤمنين، وما كان لغيره سبحانه انقطع وانفصل، وهذا هو الولاء للشرك والمشركين والمنافقين، وصدق الله تعالى إذ يقول:- {إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}،(آل عمران:-٢٨)، وقال تعالى:- {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ}، (البقرة:-١٦٦)، قال حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما:- "المودة"، وهذا

يدلنا على أن المحبة التي تكون لغير الله لا تنفع، وعلى أن المحبة من أجل الدنيا مذمومة، وصدق ربي إذ يقول:- {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}،(الزخرف:-٦٧)، وهكذا أيها الكرام فأصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، بل هي حقيقة العبادة ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحابِّ وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محابِّ العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه، نعم أيها الإخوة:- لا يكمل للعبد إيمان ولا يتم له توحيد إلا إذا أخلص المحبة لله وحده، فأحب ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال، وأبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأحوال، ووالى أولياءه وعادى أعداءه.

ثالثًا وأخيرًا:- جولة في بستان المحبين ونزهة المشتاقين.

فتعالوا بنا يا أيها الإخوة! نتجول في بستان المحبين نستمتع بأخبارهم، ونستنشق عبيرهم، عسى أن تفوح علينا نفحة من نفحاتهم، تبعث فينا الهمة للقيام بمثل قيامهم، فكيف كان حبهم لله ورسوله؟ وكيف كان سعيهم لمرضاته؟ وكيف كان حبهم لإخوانهم؟ وكيف كان حرصهم على موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين؟

*- فمن هذه المواقف التي لا زال التاريخ يحكيها ولا يحاكيها، ويمثل بها ولا يمثلها ما سطره البطل ربعي بن عامر بأحرف من نور، فقبل معركة القادسية أرسل رستم قائد الفرس إلى المسلمين يطلب رسولاً يكلمه، فأرسل إليه سعد بن أبي وقاص ربعيَّ بن عامر، فدخل على رستم وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة النفيسة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل الشاب البطل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس

بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له:- ضع سلاحك، فقال:- إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت، فقال رستم:- ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامته، فقالوا له:- ما جاء بكم، فقال:- إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله، قالوا:- وما موعود الله؟، قال:- الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي، قال رستم:- قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا فيه؟ قال:- نعم، كم أحب إليكم؟، يومًا أو يومين؟ قال:- لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، فقال:- ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال:- أسيدهم أنت؟، قال:- لا، ولكنِ المسلمون كالجسدِ الواحدِ، يجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه، فقال:- هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا:- معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال:- ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة"، سبحان من خلق هذا الإنسان وَعَظَّمَ الدين الذي رباه وصدق الله حين قال:- {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}،(المنافقون:- ٨).

*- ومن أروع صور المحبة لله ورسوله ما أخرجه ابن جرير الطبري وغيره بسند صحيح أن النبي ﷺ قال:- ادعوا لي عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول، فلما جاء قال له رسول الله ﷺ:- (ألا ترى ما يقول أبوك يا عبدالله)؟ فقال عبدالله:- وماذا يقول أبي، بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ:- يقول:- (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، فقال عبدالله:-

لقد صدق والله يا رسول الله، فأنت واللهِ الأعز، وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وإن أهل يثرب لا يعلمون أحدًا أبرَّ بأبيه مني، أما وقد قال، فلتسمعن ما تَقَرُّ به عينُك، فلما قدموا المدينة قام عبدالله على بابها بالسيف لأبيه، ثم قال:- أنت القائل:- لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟! أما والله لتعرفن هل العزة لك أم لرسول الله، والله لا يؤيك ظلها، ولا تبيتن الليلة فيها إلا بإذن من الله ورسوله ﷺ، فصرخ عبدالله بن أُبيّ:- يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، فقال:- والله لا يدخل بيته إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي فأخبروه، فقال:- اذهبوا إليه، فقولوا له:- يقول لك رسول الله:- خَلِّه مسكنه، فأتوه، فقالوا له ذلك، فقال:- أما وقد جاء الأمر من رسول الله ﷺ، فنعم، ليعلم من الأعز ومن الأذل، إنه الولاء لله ولرسوله:- {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}،(المجادلة:-٢٢)، الله أكبر هؤلاء هم الذين حققوا الآية وحولوها على أرض الواقع إلى منهج حياة.

*- ومن هذه المواقف الطيبة ما حكى تعالى في قوله عزَّ شأنه:- {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، (المجادلة:- ٢٢)، قال ابن عباس:- نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح، فقد قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم أُحد، وعمر بن الخطاب، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وأبو بكر دعا ابنه يوم بدر إلى المبارزة، فقال النبي ﷺ:- (متعنا بنفسك)، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير، وعلي بن أبي طالب وعبيدة وحمزة قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر، أخبر أن هؤلاء لم يُوادُّوا أقاربهم وعشائرهم غضبًا لله ولدينه.

*- وهذا سيدنا عبدالله بن حذافة!! إنه مثل في السماء:- وَأَخْتِمُ بهذا المشهد الذي يتألق سموًا وروعة وجلالًا، إنه مشهد الصحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الذي وقع أسيرًا في بلاد الروم، فقالوا لملكهم:- ها هو رجل من أصحاب محمد، قال أدخلوه عليّ، فدخل عبدالله بن حذافة على ملك الروم، فعرض عليه صفقةً لو عُرِضَت على كثير من الساقطين المجرمين المتآمرين في هذه الأيام، لباع الأرض والعرض، كما باعوا العقيدة، فماذا عرض ملك الروم؟! عرض على عبدالله بن حذافة نصف ملكه ويتنصَّر!! فقال عبدالله:- والله لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أتخلى عن ديني طرفة عين ما فعلت!! قال ملك الروم:- إذًا أقتلك، قال أنت وذاك!! فأمر ملك الروم بأسيرين من أسرى المسلمين فَقُتِلا أمام عبدالله بن حذافة لتختل قوته، ويختل يقينه، ولكن أنىَّ للقلوب التي امتلأت بالخوف من علام الغيوب وحده أن تخشى طواغيت الأرض ولو اجتمعوا؟! ثم قال له الملك:- تتنصر؟ قال عبدالله:- لا، قال الملك:- اقتلوه، فأخذوه ليقتلوه فبكى!! قال الملك:- ردوه عليّ لعله بكى خوفًا من الموت، ويريد أن يقبل ما عرضته عليه، ثم سأله:- لماذا بكيت؟! قال عبدالله:- والله ما بكيت خوفًا من الموت، ولكنني علمت يقينًا أنني سأقتل الآن وكنت أتمنى أن تكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تقتل في سبيل الله، قِمَمٌ شمَّاء، مُثُلٌ عُليا وقدواتٌ طيبةٌ، والله لو رأى الأعداء من أهل العقيدة الاستعلاء والعزة، لأتوا إليهم في غاية الذلة والصغار، ولكنهم رأوا أهل الإسلام في غاية المهانة والذلة والصغار، فأذلوهم وساموهم سوء العذاب، قال ملك الروم:- هل تُقَبِّل رأسي وأعفو عنك؟! قال عبدالله:- أُقبل رأسك بشرط أن تعفو عني وعن جميع أسرى المسلمين، فقال ملك الروم أفعل:- فقام عبدالله بن حذافة فقبَّل رأس ملك الروم، فعفى عنه وعن جميع أسرى المسلمين، وانطلق عبدالله بالأسرى إلى المدينة، فقابلهم فاروق الأمة عمر، فلما علم عمر بالأمر، قال رضي الله عنه:- حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة وأنا

أولكم، فقام عمر فقبَّل رأس عبدالله، وقام أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم جميعًا"، ولا أملك أمام هذه الْمُثُل التي تتألقُ روعةً وسموًا وجلالًا وعظمةً، إلا أن أتلوَ هذه الآية من كتاب ربنا:- {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}،(الممتحنة:- ٦)، أيها الإخوة، إن المحبة هي أصل الأصول وهي قاعدة القواعد، فالمحبة هي حقيقة العبودية، وإنما تمكن الأعمال الأخرى من الحمد والشكر والخوف والرجاء والصبر، والزهد والحياء والفقر والشوق والإنابة - باستمرار المحبة في القلوب، وهي حقيقة الإخلاص، بل هي حقيقة شهادة ''لا إله إلا الله''، ورحم الله ابن القيم إذ يقول:- "إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار، وآتت أُكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى"، وقال شيخ الإسلام وتلميذه رحمهما الله:- إن القلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يُسر ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، ومحبته والإنابة إليه، فلو حصل على كل ما يتلذذ به المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي، واضطرار وحاجة إلى ربه معبوده محبوبه مطلوبه بالفطرة، لا يسعد ولا يطمئن ولا يَقِرُّ إلا بالإيمان بالله رب العالمين، فمن قرَّت عينه بالله قرَّت به كل عين، ومن لم تَقِر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، وإنما يُصدِّق هذا من في قلبه حياة، فوا أسفاه، وا حسرتاه، كيف ينقضي الزمان وينفد العمر، والقلب محجوب، ما شمَّ لهذا البلسم رائحة؟ وخرج من الدنيا كما دخل فيها وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزًا، وموته كمدًا، ومعاده حسرة وأسفًا، اللهم فلك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك، فيا أيها الذين آمَنوا آمِنوا، ويا من أعرضوا أقبلوا تَسعدوا:- {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا من ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}،(النحل:- ٩٧)،

اللهم ارزقنا إيمانًا نجد حلاوته، وقلوبًا خاشعة، وألسنة ذاكرة، وأعينًا من خشيتك مِدرارة، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، وختامًا أحبتي:- ما هي الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها؟ كيف يصل المحب إلى هذه الدرجة، فإن المحبة أيها الإخوة لا توصف ولا تعرف إنما يعرفها من وجدها وذاقها، وإنما البحث في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها، ومن أخذ بالأسباب ذاق وعرَف، فما هي الأسباب والموجبات التي بها يذوق المريد المحبة؟ والجواب من العلامة ابن القيم طيب الله ثراه:- الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها عشرة:-

أحدها:- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به؛ كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني:- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث:- دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع:- إيثار محابِّهِ على محابك عند غلباتِ الهوى والتسنم إلى محابِّهِ وإن صعب المرتقى.

الخامس:- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبه لا محالة ولهذا كانت المعطلة والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس:- مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع:- وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن:- الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع:- مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر:- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عزَّ وجلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب.

وهكذا أيها الإخوة فإن حب الله تعالى:- هو حياة القلوب ونعيم الأرواح وبهجة النفوس وقرة العيون وأغلى نعيم الدنيا والآخرة، أذاقنا الله وإياكم محبته وقربنا جميعًا من حضرته، ولا حرمنا من رؤيته، والتمتع بأنسه في الدنيا والآخرة، فاللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك، واملأ قلوبنا من معرفتك ومحبتك والإنابة إليك، إنك يا ربنا جواد كريم، اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا، واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم، فأقرر أعيننا من رضوانك ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

***- طريقتنا كلها مبنية على نِيَّةٍ صادقةٍ خالصةٍ لله رب العالمين:-**

إنَّ نيةَ المؤمنِ الصادقِ خيرٌ من عمله، لأن الأعمال كلها مبنية على النية، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:- {إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه}، فالصدق في النية مع الله " أجل أنواع الصدق، ويكون المسلم صادقاً مع ربِّه تعالى إذا حقَّق الصدق في جوانب ثلاثة:- الإيمان والاعتقاد الحسَن، والطاعات، والأخلاق، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، والصادق فيه هو من حققه على الوجه الذي أراده منه ربه تعالى، ومنه الصدق في اليقين، والصدق في النية، والصدق في الخوف منه تعالى والصدق في الإخلاص وليس كل من عمل طاعة يكون صادقًا حتى يكون ظاهره وباطنه على الوجه الذي يحبه الله تعالى، وقد بَينَّ الله تعالى الصادقين في آية واحدة، وهي قوله عز وجل:- {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ}، ثم قال سبحانه بعد هذه الأوصاف كلها:- {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، (البقرة:- ١٧٧)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله:- اشتملت هذه الآية الكريمة على جُمَل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة، وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:- {أُولَئِكَ} أي:- المتصفون بما ذُكر من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية:- فأولئك هم {الَّذِينَ صَدَقُوا} في إيمانهم؛ لأن أعمالهم صدَّقت إيمانهم، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور؛ لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمناً، ولزوماً؛ لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله،

ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية:- أكبر العبادات، ومن قام بها:- كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار، الصادقون، المتقون، تفسير الشيخ السعدي، وإن الله جلَّ وعلا خلق عباده وأمرهم أن يتقوه في السر والعلانية، وأن يصدقوا معه في أقوالهم وأفعالهم، وفي أمورهم كلها، فقال سبحانه:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}،(التوبة:-١١٩)، قال الشيخ السعدي-رحمه الله:- أي:- "في أقوالهم، وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقًا خاليةً من الكسل والفتور، سالمةً من المقاصد السيئة، مشتملةً على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة "، تفسير السعدي (ص ٣٥٥)، فمن أراد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة بإذن الله، فعليه بالصدق مع الله جَلَّ جلاله بقلبه وعمله، قال تعالى:- {فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}،(محمد :-٢١)، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله:- "ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره، ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره"، الفوائد (ص١٨٦)، وعن سهل بن حنيف- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال:- "من سأل الله الشهادة بصدق، بَلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"، رواه مسلم(١٩٠٩)، قال المناوي- رحمه الله:- "قيد السؤال بالصدق، لأنه معيار الأعمال، ومفتاح بركاتها وبه ترجى ثمراتها (بلَّغه الله منازل الشهداء):- مجازاة له على صدق الطلب"، فيض القدير(١٤٤/٦)، وبعد:- فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة ''فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم''، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء، والإخلاصُ من غيرِ صدقٍ وتحقيقٍ هباء، وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً:- { وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}،(الفرقان:-٢٣)، وليت

شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية، أو كيف يُخْلِصُ من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص، أوْ كيفَ تطالبُ المخلصَ نفسَهُ بالصدقِ إذا لمْ يتحققْ معناهُ، فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصل المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص، فالإخلاصَ أمرٌ يتعلق بحياتنا، ويشملها من كل جوانبها، فيكونُ الإخلاص مع الله، ويكونُ الإخلاص مع الناس، فكما أنه يكون مع الله في تطهيرِ القلبِ من الرياء، فيكونُ مع الناس في تركِ نفاقِهم، وعدم التلونِ في التعامل معهم، وكما قال الشاعر:-

لا تمش ذا وجهين من بين الـــــورى شرُّ البرية من له وجهـــــــــــان

أما الإخلاص مع الله، فهو أهمُّ المُهِمَّاتِ، وأوجبُ الواجباتِ، وأساسُ الأعمال، ولا يكون العمل إلا به، كما قال النبي -ﷺ:- (إنما الأعمال بالنيات)، فلا يكون العمل مقبولاً إلا بنيةٍ خالصةٍ لله -سبحانه وتعالى-، فأي عبادةٍ لله إذا لم تكن خالصةً لوجهِ اللهِ تعالى، فلا يقبلها الله، ومن هنا تأتي أهمية الإخلاص لله -جلّ وعلا-، والإخلاص أساسُ دعوة الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى:- {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}،(البينة:-٥)، وهذه الآية كأنما تحصِرُ أوامر الله لعباده في الإخلاصِ له؛ لأنه الأساس والركن والركيزة، ولله در القائل:-

فأساسُ أعمالِ الورى نياتُهـــــم وعلى الأساسِ قواعِدُ البُنيـــــــانِ

والإخلاصُ هو تصفية القلب من الشوائب التي تكدر النية، وتعكر صفاء القلب، والإخلاص تطهيرٌ للقلب من التعلقِ بغير الله -عز وجل-، وبه تسمو النفوس، وترتفع عن نظرات الناس وإعجابهم، فالمخلص لله -سبحانه وتعالى- لا ينتظر من الناس حمداً ولا شكوراً، ولا ينتظر مدحاً ولا ثناءً؛ لأن نفسه لا تتوق إلا لمرضاة الله -جل وعلا-، والوصول إلى مغفرته وعفوه،

الإخلاصُ في القلب لا يمكن لأي شخصٍ أن يعلم حقيقة النيةِ لدى شخصٍ آخر، فمهما ظهر على المرءِ من علامات الخشوعِ والتعبُّدِ لله –عز وجل–، فلا يُمكِنُنا الجزمُ بحُسنِ نيته؛ لأن النية مكانها القلب، والإخلاص هو من أعمال القلوب التي لا تظهر أمام الناس؛ ولذلك فإن إخلاصَ النيةِ أمر متعلقٌ بين العبدِ وربه، فلا يستطيع أحدٌ أن يشقَّ قلبَ أحد فيطلِّعَ عليهِ، فالله وحده الذي يعلم بحقيقة نية الإنسان، ولا يستطيع أحدٌ أن يُزكي نفسه فيزعُمُ إخلاصَ نيتهِ، بل يسعى إلى تصفية نيتهِ لله –جل وعلا، دون أن يشهدَ لنفسهِ بذلك، وكم من أُناسٍ تَظهرُ فيهم علامات الإيمان والتقوى، لكنهُ لا يكونُ مخلصاً، وإنما همه أن يصِلَ إلى ثناءِ الناس ومدحهم، فإن سمع مدح الناس شعر بالراحة والطمأنينةِ له، وإن سمع ذماً حزِنَ واكتئب، ولربما ترك أبواباً من الخير لا يفتَحُها، لمجردِ أنها لا تُفضِي لمدح الناس، وقد تظهر علامات الإخلاصِ على الإنسانِ من خلال آثار أعماله الخيِّرةِ على الناس، ودون انتظارٍ للشكرِ أو الثناء، فيدل عليه سعيُه وعمله وجِده واجتِهاده في الخير، بما لا يعود بالمصلحة عليه شخصياً، لا مصلحةً ماديةً ولا معنوية، فهذا مما يدل على إخلاصه، مع ملاحظة عدمِ الجزمِ له بذلك، ولكن، وبشكلٍ أساسي، فإن الإخلاص أمرٌ قلبيٌ محضٌ، مع كونهِ الأصلَ الذي تنبني عليه جميعُ الأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ، فلا يكونُ العملُ الظاهرُ مقبولاً إلا بنيةٍ صادقةٍ تدعمهُ وتُكَوِّنُ أساسه.

*– كيفية تحقيق الإخلاص:– ينبغي الاقتناع بعدة أمورٍ ستُساعدُ الإنسان على تحقيق الإخلاصِ لله –سبحانه وتعالى:– أن يقصد بعبادته وجهَ الله دون سِواه، ويُطَهِّرَ قلبَهُ من الرياءِ والسمعة والشهرة والسعيِ لمدح الناس، ويحاول أن يُبعِد نفسه عن مَواطِنِ المديح والإعجاب بالنفس، وأن يستوي عنده المدح والذم، فيكون سواء عنده ذمَّه الناس أم مدحوه، فلا يُعجبُ بمدحٍ ولا يضيق لذم، ولكن يتساوى عنده الأمران، فلو لم يكن لعملهِ قيمة لدى الناسِ فلا يبالي؛ لأنه يبحث عن القيمة الحقيقية عند الله –سبحانه وتعالى، فيُحقق بذلك الإخلاص بمعناه الحقيقي،

ويُخَلِّصَ النفس من التدني لانتظارِ مدح الناس وثنائهم، فهذا من أهم ما يساعدُ على الإخلاصِ في القولِ والعمل، لا بدّ أن يعلم الإنسان أن كل أعمالهِ هي بتوفيق الله له، فلو قدَّر الله له ألا يفعلها فلن يستطيع أن يفعل منها شيئاً، فليس للإنسان فضل في أعمالهِ، بل عليه أن يدرك أن الفضل كل الفضل لله –سبحانه وتعالى–، كما كان يقول عبدالله بن رواحة – رضي الله عنه:– (اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا)، فقد كان الصحابةُ يعرفون هذا المعنى على الحقيقة، ويُدركون فضل الله عليهم بأن وفقهم لهذه الأعمال، فالأولى بنا أن نكون في ذلك مِثْلَهُم، نقتدي بهم، ونقتفي أثرهم، ولا بدّ للإنسان أن يدرك أنه عبدٌ لله –سبحانه وتعالى، ولا ينتظر العبد من سيده ومولاه مقابلاً ولا عِوَضاً لطاعته، وإنما يتكرم ويتشرف لمجرد أنه عبدٌ لله –جَلَّ جلاله–، فحقيقةُ تحقيق العبودية لله، هو العمل لله خالصاً دون أن يرجو الإنسان مقابلاً لعمله، وأن يعلم الإنسان أنه مقصرٌ بحقِّ الله مهما فعل، فمهما عَمِلَ الإنسان من الطاعات لله، فهو مقصرٌ لم يوَفِ الله حقه، وهذا الشعور يدفعه للإخلاص لله –عزَّ وجلَّ، ومراجعة نفسهِ مراراً، والسعي أكثر إلى العمل في سبيل الله مُخلِصاً النية لله تعالى، وأن يسيء الإنسان الظنَّ بنفسه، فيعتقد أن عملهُ شابه الخلل والنقص، رغم بذله الجهد وسعيه الدؤوب، إلا أنه يرى أنه لم يُحسِنِ العملَ كما يجبُ عليه، فهذا يساعد على تحقيق الإخلاصِ لله جلَّ وعلا، وأن يخشى الإنسانُ من عذابِ الله ومقته وغضبه، ويتذكر دائماً البعث والحساب، فهذا مما يدفعه إلى تصفيةِ نيته، وتنقيةِ سريرته، فمعرفةُ الإنسان ويقينه بالآخرة، تجعله متعلقاً بمن بيده مصيره إما إلى جنةٍ وإما إلى نار، وأن يتذكر الإنسانُ الموت؛ لأنه أكبر واعظٍ وأهمُّ مُذَكِّرٍ باللهِ جلَّ وعلا، فلو وضع الإنسان نصب عينيه الموت مصيراً محتوماً لابد منه، تحقق لديه الإخلاص من قلبه، وترك التعلق بمكاسب دنيويةٍ زائلةٍ، بل يكون التعلق لديه بحياةٍ ما بعد الممات، وهي الحياة الحقيقية، وأن يُكثِرَ من الأعمال الخفيةِ التي لا تظهرُ للناس، فذلك أدعى لإخلاصهِ؛ لأن الناس لا يروه ولا يعلموا به، فلن يلقى

منهم مدحًا أو ثناءً يشوبُ إخلاصه بشائبة، ولكن على ألا يحدِّثُ الناسَ بعمله مهما كان عظيماً، فلا فائدة من إخفاءِ العمل في الليل والتحديثِ بهِ في النَّهار؛ لأن الحديث عن العمل يعني البحث عن مدح الناس، وهذا مخالف بلا شك لمعنى الإخلاص، وأن يدعو الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقه الإخلاص في القول والعمل، فهو السبيلُ إلى كل خيرٍ وإلى كل صلاح، فالدعاءُ سِلاح المؤمن، والدعاءُ يجلِبُ الخيرَ ويُبعِدُ الشَّر، فينبغي للإنسان أن يدعو الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقه الإخلاص في كل أقوالهِ وأعمالهِ، وأن يُجَنِّبهُ الرياءَ والسمعة، وأن يَنزِعَ مهابة الناسِ من قلبه، فمهابةُ الناس هي التي تجعله يبحثُ عن مدحهم، فلو لم يكن للمخلوقات مهابةٌ عنده، وكانت المهابة للخالقِ وحده، سيكتفي بتحقيق رِضوانِ اللهِ دون سواه، أن يتعوَّدَ على الطاعة، بحيث تُصبِحُ الطاعاتُ جزءاً من حياة الإنسان، فلا تكون الطاعة لديه أمراً موسمياً، يتغيرُ ويتبدل باختلافِ الحال، خاتمة وفي الختام لابد أن نُدرِك بأن الإخلاص لله سيغير حياتنا إلى الأفضل، وسيظهرُ أثره إيجابياً علينا في كل أمور الدنيا، وهذه قصة بليغة جدًّا في صدق النية والإخلاص لله تعالى في العمل:–

حكى أن عليا "كرم الله وجهه " مكث هو وزوجته السيدة فاطمة "رضي الله عنها" وأولادها:- الحسن والحسين والحارث ثلاثة أيام لم يتذوقوا فيها طعامًا، وكان للسيدة فاطمة إزار (شال) فأعطته عليًّا ليبيعه، ويشتري بثمنه طعامًا، فأخذه سيدنا علي، وباعه بستة دراهم، وحينما كان عليٌّ ذاهبًا ليشتري طعامًا قابله بعض الفقراء، فتألم لحالهم، وتصدق عليهم بالدراهم الستة التي معه، وهى ثمن الإزار(الشال) الذي باعه، وفي أثناء ذهابه إلي بيته، لقيه رجل ومعه ناقة، فقال له:– يا أبا الحسن اشترِ مني هذه الناقة، فقال له علي:– ليس معي ثمنها، ولا يمكنني شراؤها، قال البائع:– يمكنك أن تشتريها، وتدفع ثمنها فيما بعد، فسأله علي:– بكم تبيعها؟ قال البائع:– بمائة درهم، فرضي علي، وقبل شراءها منه بذلك الثمن المؤجل، وأخذها، وذهب، فقابله رجل

أعرابي وسأله:- هل تبيع هده الناقة يا أبا الحسين؟ قال علي:- نعم، أبيعها، قال:- بكم اشتريتها؟ أجاب علي:- اشتريتها بمائة درهم، قال الرجل:- أنا أقبل شراءها منك بمائة وستين درهمًا، فيكون ربحك ستين درهمًا، فباعها علي له بذلك الثمن، ودفع له المشتري مائةً وستينَ درهمًا، فأخذها علي ومشي إلى بيته، فلقيه في الطريق البائع الأول، فسأله هل بعت الناقة يا أبا الحسن؟ أجاب علي:- نعم، بعتها، قال له:- اعطني حقي، فدفع له المائة درهم، وبقي معه ستون درهمًا، فذهب بها إلى بيته، ووضعها بين يدي السيدة فاطمة "رضي الله عنها"، فسألته من أين لك هذا المال! أجاب علي تصدقت بستة دراهم على قومٍ فقراء، فأعطاني الله ستين درهمًا، فكان ربح كل درهم عشرة دراهم"، ثم قابل علي الرسول صلى الله عليه و سلم، وأخبره القصة، فقال له الرسول الكريم:- يا علي، البائع كان جبريل، والمشتري كان ميكائيل، والناقة هي مركب فاطمة يوم القيامة، ثم قال له أعطيت ثلاث لم يعطها غيرك، لك زوجة سيدة نساء أهل الجنة، ولك والدان هما سيدا شباب أهل الجنة، ولك صهر هو سيد المرسلين، فاشكر الله على ما أعطاك، واحمده فيما أولاك، وقد لخص فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره منهاج الطريق بكل تفصيل ودقة فقال:- { أَخِلَّائِيْ وَعُدَّتِيْ وَرَجَائِيْ * اِعْلَمُوا أَنَّ طَرِيْقَكُمْ هِيَ طَرِيْقُ مَنْ جَعَلَهُ اللهُ سَيِّدَ الأَنْبِيَاءِ * رُوحُهَا وَأَسَاسُهَا حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهُ وَمَنْ دَانَ لِرَبِّهِ بِالْوَلَاءِ * وَنَهْجُهَا طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهُ فِيْ الأَمْرِ بِالتَّنْفِيْذِ وَفِيْ النَّهْيِ بِالِانْتِهَاءِ * وَبِدَايَتُهَا التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَتَضَرُّعٌ بِالْبُكَاءِ * وَسَبِيْلُهَا الجِهَادُ فِيْ النَّفْسِ وَبِالنَّفْسِ عَلَى أَثَرِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ * وَغَايَتُهَا مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى وَكَسْبُ الرِّضَاءِ * وَنِهَايَتُهَا حُبٌّ جَامِعٌ مُورِدٌ لِلْفَنَاءِ وَالبَقَاءِ * وَسِمَتُهَا قَوْلُهِ تَعَالَى :- ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ *، ولله در القائل:-

هَذِيْ دَعَائِم دَعْوَة قُدْسِيَّـــــةٍ كُتِبَ الخُلُودُ لَهَا مَدَى الأَزْمَـــــانِ

هَذِيْ مَبَادِؤُنَا الَّتِيْ نَسْعَى لَهَـــا فِيْ حَـالَةِ الإِسْـــــــــرَارِ وَالإِعْلَانِ

اللهُ غَايَتُنَـــا وَهَلْ مِنْ غَايَـــــةٍ أَسْمَى وَأَغْلَى مِنْ رِضَى الرَّحْمَـــــنِ

وَزَعِيْمُ دَعْوَتِنَا الرَّسُـوْلُ وَمَا لَنَـــا غَيْرُ الرَّسُولِ مُحَمَّـــــــدٍ مِنْ ثَانِيْ

دُسْتُورُنَا القُـرْآنُ وَهُوُ مُنَـــزَّلٌ وَالعَدْلُ كُلُّ العَـــــــــدْلِ فِيْ القُرْآن

وَسَبِيْلُ دَعْوَتِنَا الْـجِهَادُ وَإِنَّـــهُ إِنْ ضَـــاعَ ضَاعَتْ حُرْمَةُ الأَوْطَانِ

وَالْمَوْتُ أُمْنِيَةُ الدُّعَاةِ فَهَلْ تَـــرَى رُكْناً يُعَابُ بِهِـــــذِهِ الأَرْكَـــــــانِ

فنسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

الوصيـــــــــــة الثانيـــــــــــــة

طريقتنـــــــــــــــــــــا

{أدب..... سلـــــــــــوك....محبـــــــــــــــــة...
معاملـــــــــــــــــة..... أخـــــــــــــــلاق}

***- طريقتنـــــــــــا أدب:-**

الحقيقة أن ديننا كله محبة وأدب، والأدب كله حياء، والحياء كما قال ﷺ:- {استحيوا من الله حق الحياء، قال:- قلنا:- يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله، قال:- ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء}، فلا دين بلا أدب، قال السادة الصوفية:- من لا أدب له، لا سير له، ومن لا سير له، لا وصول له، فبالأدب تُطوى المسافات، لذلك قامت التربية الصوفية على الأدب، وقال مشايخ الطريق:- {التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف}، وقال أبو حفص النيسابورى:- { التصوف كله آداب، لكل وقت آداب، ولكل حال آداب، ولكل مقام آداب، فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حُرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يظن القبول}، لذلك يقول بعض الحكماء في هذا المعنى :-

ليكن أدبك كالطحيـــــــــــن وعلمك كالملح في العجيـــــــــــن

وليس معنى هذا أن العلم ليس ضروريًّا، وَيُكْتَفَى بالقليل منه، ولكن المعنى أبلغ من ذلك بكثير، فكما نلاحظُ أنَّ العجينَ إنْ لمْ يَتَخَلَّلْهُ المِلْحُ في كل ذرةٍ من ذراته، وفي كل ثنيةٍ من ثناياه، فإنه لا يصلح لأكل الآدميين، بل يطرح للدواجن والبهائم صونًا للنعمة وحفظًا لها، وذلك لأن الأدب لا بد وأن يبنى على العلم الشرعي، الذي يرضي الله ورسوله المصطفى محمداً ﷺ، لأن حياة الإنسان هي العلم، والعلم هو الشريعة المحمدية، كما يقول شيخنا في باب "كوكب العناية"، وكما أن الإنسان لا وجود له بلا حياة، فكذلك لا وجود له بلا علم، لأن حياة الإنسان هي العلم، وكما يقول شيخنا أيضًا في "باب بيت الحق"،" بالعلم أحياهم" فالإنسان بلا علم ميت وجثة هامدة لا

حياة لها ولا حراك فيها، حتى وإن كان صاحبها يدب على الأرض، ويمشي على ظهرها، إلا أنه في تِعْدَادِ الأموات، كما قال بعض الصالحين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين:-**حياة القلب علمٌ فاغتنمه، وموت القلب جهلٌ فاجتنبه** وذلك مصداقًا لقوله تعالى:- {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }،(الأنعام:-١٢٢) لأن هذا الصنف من البشر لهم أعين لا يبصرون بها، وله آذان لا يسمعون بها، ولهم قلوب لا يعقلون بها، فهم كالأنعام بل هم أضل، وأقل منزلة، وأدنى درجة، وأخس مرتبة، وأسوأ حالًا، مصداقًا لقوله تعالى:- { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}،(الأعراف:-١٧٩) والعلم هو الشريعة المحمدية، والشريعة مبناها على تقوى الله وطاعته فيما أمر وفيما نهى، لذلك كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وهو الدستور السماوي المنزل على محمد لكل البشر، إذن كان خلقه مبنيًا على الكتاب السماوي المُقَدَّسِ، على كتاب الله عزَّ وجلَّ، على الدستور السماوي، وهكذا فكل أدب لا يقوم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو أدب مردود على صاحبه، لذلك قال ﷺ:- { طلب العلم فريضة على كل مسلم}، لذلك فإن الله عزَّ وجلَّ لم يأمر حبيبه المصطفى ﷺ بالاستزادة من أي شيء إلا من العلم، فقال تعالى:- { وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}،(طه:-١١٤) ولم يَمْتَنَّ الله عزَّ وجلَّ على رسوله الكريم، وحبيبه العظيم ﷺ بنعمة أعظم وأجل من نعمة العلم فقال:- { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}،(النساء:-١١٣) لأن الأدب لا يتأتى إلا بالعلم، فالعلم هو الأصل، والأدب تابع، لذا فإن الأدب ثمرة من ثمار العلم، والعلم الحقيقي هو العلم بالله ورسوله، العلم بحدود الله عزَّ وجلَّ، وما أحلَّ، وما حرم، وما رضي وما كره، وهذا هو العلم النافع الذي سأل رسولنا ﷺ ربه فقال:- { اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا}،

وقال ﷺ:- {سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نافِعاً، وَتَعوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ}، وزيادة في توضيح هذا الأمر الجليل يقول صلى الله عليه وسلم:- ''كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًّا ولا تكن الخامسة فتهلك''.

*- ويقول فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره في موضوع تجلِّي الحق تبارك على قلبه ناقلًا لنا كلام الله عزَّ وجلَّ:- ''اشرب من كأس محبتي ومحبة رسولي، واجعل ثروتك العلم والأدب، واجعل فرارك إليَّ، أنا الوليُّ أنا الحميد أنا الوارث أنا الباقي فاطلبني تجدني''، ويقول فضيلة شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سره في باب "مغزل الهوى":- ''واجعل ثروتك العلم والأدب مع شيخك فعنده الدواء''، ووالله ما نرى تقديم العلم على الأدب في جميع هذه المحافل والدروس البليغة إلا لعظمة العلم، وعظيم شأنه، ورفعة مكانته، وعلو درجته، فالعلم متبوع، والأدب تابع له، قال الحسن البصري رحمه الله:- {العلم علمان، علم باللسان، وعلم بالقلب، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على ابن آدم}، فالعلم النافع هو ما باشر القلب، فأوجب له السكينة والخشوع، والإخبات لله تعالى، وإذا لم يباشر القلوب كان ذلك العلم على اللسان فهو حجة الله على بني آدم، فالمهم هنا هو أدب مبني على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لأن المؤمن يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كما قال رسول الله ﷺ:- { إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم}، ولله در القائل:-

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهـــــمُ على الهُدَى لِمنِ استهـــــدى أَدِلَّاءُ

وقيمةُ المرءِ ما قَد كانَ يُحسنُـــــهُ والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعـــــــــداءُ

فَفُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ بهِ بـــــــــدلًا فالناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحيـــــــاءُ

وعليه فإن ديننا كله أدب مبني على العلم الشرعي، وكل أدب مخالف للشرع فهو والله قلة حياء، ولا خير فيه، لأن الله تعالى لا يستحيي من الحق، والحق أحق أن يتبع، فاللهم ارزقنا الأدب معك ومع رسولك المصطفى ومع رجالك الصالحين، وعلمنا اللهم الأدب برجالك الصالحين، فهم والله الأدلاء عليك، والمقربون إليك، والمشيرون بأفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم إليك، رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم، ومن الآداب الشرعية مع العلماء:- أَنَّ الله تعالى قد أولى العلم منزلة تفوق كلّ المنازل، ومرتبة تعلو على كلّ المراتب، وخصّ أهله بالانتقاء والاصطفاء، ورفع ذكرهم في الأرض والسّماء، فهم أئمّة الهدى، ومصابيح الدّجى، لذلك كان الأدب معهم من أعظم القُرُبات، وتعظيمهم من تعظيم الحرمات، قال الله تعالى:- {وَمَن يُعَظِّم حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ}،(الحج:-٣٠)، ومن مظاهر الأدب مع العلماء:-

١- **حبّهـــــــــــــــــــم:-**

فهم ورثة الأنبياء، وسادة الأتقياء، قال ابن المبارك رحمه الله:- (كن عالمًا أو متعلّمًا، أو محبّا لهما، ولا تكن الرّابع فتهلك)، وصدق رحمه الله تعالى، وكأنّه استنبط ذلك من الحديث الّذي رواه التّرمذي بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:- (الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ ما فِيهَا، إلاَّ ذِكرَ الله تَعَالى، وَمَا والاهُ، وَعَالِماً، أوْ مُتَعَلماً).

وقد قرّر أهل الحكمة والحلم، أنّه لا يُنال السّؤدد ولا العزّ إلاّ بالعلم، لذلك رفع الله قدر الأنبياء والعلماء، فكانوا في درجاتٍ ما بينها كما بين الأرض والسّماء، فمن أخذوا علمهم ورثوا ما عندهم، ومن أحبّوهم رُضِخَ لهم، إلاّ من آذاهم وجعل عرضهم فيئًا، فـ:- (لَا يَرِثُ الْقَاتِلُ شَيْئًا)..

فمحبّ أهل العلم مرحوم محبوب، ومبغضهم محروم محجوب، وكيف لا يحبُّ المسلم من أحبّه الحوت في البحر، والنّملة في الجحر حتّى استغفروا له ؟! قال صلّى الله عليه وسلّم:- (وَإِنَّ

الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ) [رواه أبو داود والتّرمذي].

٢- توقيرهـــــــــم واحترامهـــــم:-

فما فضّل الله تعالى آدم عليه السّلام على ملائكته الكرام، إلاّ بالعلم، قال عزّ وجلّ:- {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ}، (البقرة:-٣١)، فلمّا عجزت الملائكة، نادى الله تعالى آدم نداء تعظيم وتشريف:- {قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئهُم بِأَسمَائِهِم}، فكان جزاء العلم أن قال الله عزّ وجلّ:- {وَإِذ قُلنَا لِلمَلاَئِكَةِ اسجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا}،(البقرة:-٣٤)، فو الله ما كانت خيبة إبليس إلاّ من تركه لهذا الأدب، فكان من الملعونين إلى أبد الآبدين، وقد روى الإمام أحمد والحاكم عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:- (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)، ولقد صحّ أنّ زيد بن ثابت رضي الله عنه صلّى على جنازة – وكان حاملًا للقرآن فرآه ابن عبّاس رضي الله عنهما يريد بغلته، فسارع إليها، وأمسك بالرّكاب ليُعين زيدًا على الرّكوب! فاستحى زيدٌ من تواضع ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – وهو أعلم الصّحابة بكتاب الله –، فقال زيد:- " خلّ عنك يا ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"، فقال ابن عبّاس:-" هكذا يُفعل بالفقهاء والعلماء "، فقال زيد:-" أخرج يدك!"، فأخرجها فقبّلها زيد، وقال:- " هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا "، وكان الشّافعي رحمه الله يقول:- لقد كنت أصفح الورق صفحًا رقيقًا لطيفًا ومالكٌ بين يديّ؛ خشية أن يسمع وَقْعَه! وكان رحمه الله لكثرة تواضعه للعلماء يُلام، فيقول:-

أهين لهم نفسي فيُكرمونهـــــا فلن تُكرم النّفس التي لا تهينهـــــــا

ولصدقه في ذلك رحمه الله، سخّر الله له أمّة بأكملها تُجلّه وتُعظّمه، وتعرف له قدره، حتّى قال الرّبيع بن سليمان المرادي:- والله ما اجترأت أن أشرب الماء، والشّافعي ينظر، هيبة له، ["الآداب الشّرعيّة " لابن مفلح (٢٢٦/١)]، وهذا إمام الدّنيا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:- كان أدبه مع شيوخه فوق الوصف، يذكر الذّهبي رحمه الله عن أحمد بن سعيد الرّباطي قال:- سمعت أحمد بن حنبل يقول:-" أخذنا هذا العلم بالذلّ، فلا ندفعه إلاّ بالذّلّ " [" السّير " (٢٣١/١١)]. وقال رحمه الله:- " لزمت هشيما أربع سنين أو خمسًا، ما سألته عن شيء إلاّ مرّتين، هيبةً له " [" السّير " (٢٩٠/٨)]، وقال قتيبة بن سعيد:- " قدمت بغداد وما كانت لي همّة إلاّ أن ألقى أحمد بن حنبل، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين فتذاكرنا، فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يديّ وقال:- أَمْلِ عليّ، فقلت:- اجلس مكانك، فقال:- لا تشتغل بي، إنّما أريد أن آخذ العلم على وجهه " [" مناقب الإمام أحمد " (ص٨٢-٨٣)]، وقال خلف بن الوليد:- جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه فأبى، وقال:- لا أجلس إلاّ بين يديك، أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلّم منه " [" الجامع لأخلاق الراوي وآداب السّامع " ص (٤٧٤)]، وهذا الإمام مسلم رحمه الله:- يقول محمد بن حمدون بن رستم:- دخل مسلم على البخاري، فقال:- دعني أقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، ويا سيّد المحدّثين، ويا طبيب الحديث في علله "، ودخل شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم الحربيّ، فبادر محمّد بن يوسف القاضي إلى نعله، فأخذهما فمسحهما من الغبار، فدعا له وقال:- أعزّك الله في الدّنيا والآخرة، فلمّا توفّي محمّد بن يوسف، رُئِيَ في المنام، فقيل له:- ما فعل الله بك ؟ فقال:- أعزّني الله في الدّنيا والآخرة بدعوة الرّجل الصّالح، هذه صور مشرقة، وصفحات رائقة من صفحات سلف هذه الأمّة، وكيف كانوا يعظّمون ويوقّرون العلماء، وذلك ما زادهم إلاّ عزًّا وتوفيقًا، قال عبد الله بن المعتز رحمه الله:-" المتواضع في طلاّب العلم أكثرهم علماً، كما أنّ المكان المنخفض أكثر البقاع ماء"، ذلك، لأنّهم امتثلوا قول الله

تعالى:- {وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}،(البقرة:-١٨٩)، وأوّل باب تحصيل العلم هو توقير العلماء كما يوقّر الآباء، روى الحافظ ابن عبد البرّ عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال:-" ذللت طالبًا، فعززت مطلوبًا " [" جامع بيان العلم " (٢٣١)]،

٣- ذكرهـــــــــم بالجميـــــــــــل:-

سواء مع الأموات منهم رحمهم الله، ومع الأحياء، وسواء طلب على أيديهم العلم أم لم يطلبه عليهم، قال الإمام الطّحاوي رحمه الله تعالى وهو يبيّن عقيدة السّلف الصّالح رحمة الله عليهم أجمعين:-" وعلماء السّلف من السّابقين، ومن بعدهم من التّابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنّظر، لا يُذكرون إلاّ بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل "، أي ضلّ عن سبيل المؤمنين الذي أوعد الله تعالى الحائد عنه قائلًا:- {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}،(النساء:-١١٥)، فينبغي للمسلمين عامّة، وطلاّب العلم خاصّة، أن يحفظوا هذا الحقّ لهم، وإذا ذكروهم في مجالسهم أن يذكروهم بالجميل، لأنّه إذا كان حفظُ عرض المسلم الّذي هو من عامّة المسلمين فريضةً ينبغي حفظها، فكيف بالعلماء؟! وبمجرّد ما تحسّ من جليسك أنّه يريد أن ينتقص عالمًا، ففِرّ بدينك قبل أن يسلبك شيئًا من حسناتك، وانجُ بنفسك لأنّه قد أعلن الحرب على نفسه:- (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)، وإذا لم يَغَرْ المسلم لله على العلماء، فعلى من يغار ؟! فهم صفوة الله وأحبّاؤه، وخيرة خلقه وأولياؤه.

٤- ذكـــــرهــم بالإجـــــــلال والتّعظيـــــم:-

فتذكره بالعلم، والإمامة، وتشرّفه وتكرّمه، تقول:- " قال الإمام رحمه الله، وقال الشّيخ، وتميّزه عند ذكره عن عامّة النّاس بهذه الألقاب، فإنّ الله أدّب أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال:-

{لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً}،(النور:-٦٣)، والعلماء ورثة الأنبياء، فلا يقال:- قال فلان وفلان، يذكره باسمه مجرّدًا!

٥- الاعتنـــاء بـــرِدِّ الجميـــل لهـــــــم:-

فمن نحن لولا الله عزّ وجلّ، ثمّ عِلْمُ هؤلاء العلماء؟! من نحن لولا الله تعالى، ثمّ هؤلاء الأئمّة الّذين فسّروا لنا كتاب الله، وبيّنوا لنا أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ ووقفوا عند كلّ كلمة من كتاب الله، وسنّة نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم، فبيّنوا حلالها وحرامها، وأوضحوا ناسخها ومنسوخها، وفصّلوا حدودها ومحارمها، فرحمة الله عليهم أحياءً وأمواتًا، ونسأل الله ربّ العرش الكريم أن يُسبغ عليهم شآبيب الرّحمات، وأن يوجب لهم علوّ الدّرجات، وأن يجمعنا بهم في رياض الجنّات، فينبغي للمسلم إذا قرأ كتابًا، أو استمع إلى كلام عالم أن يترحّم عليه ويدعو له، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول:- (مَنْ صَنَعَ لَكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ)،[رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما]، تمرّ عليك المسألة في الأحكام، ويمرّ عليك حديث من أحاديث المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، لا تدري أهو صحيح أم ضعيف ؟! ثمّ لا تدري ما المراد منه ؟! أهو عامّ أم خاصّ !؟ أهو مطلق أم مقيّد ؟! فإذا وقفت أمام كلام العالم، أدركت حقيقة المراد، فما تملك إذا اطّلعت على هذا الخير إلاّ أن تقول:- رحمة الله على فلان !

٦- نشـــــرُ فضلِهِـــمْ بَيْـــــنَ الأحيـــــــــــــاءِ:-

وهذا من أوكد حقوق لعلماء، لأنّ فيه ربطًا للنّاس بعلمائهم، وتعريفًا لهم بأمجادهم، وهذا له صور متعدّدة:-

أ)- مطالعة سيرهم، ونشأتهم، ومعرفة مؤلّفاتهم، ورحلاتهم في طلب العلم، حتّى إنّ بعض المشايخ كان يذكر لنا دائمًا أنّ من الأمور الّتي ينبغي لطالب العلم معرفتها والاعتناء بها:- تاريخ ولادتهم ووفاتهم، وهذا الأدب أصبح اليوم آكد من أيّ وقت آخر، في زمن عُظّم فيه السّفهاء والماجنون، والبلهاء واللاّعبون.

ب)- نسبة العلم إليهم:- فإذا قرأت فائدة، أو نقلت علمًا نبّه عليه إمام من أئمة الدّين، كان من الحقّ له عليك أن تُنوّه بفضله في ذلك، فتقول:- كما قرّره شيخ الإسلام فلان، وكما بيّنه الحافظ فلان، ولا توهم النّاس أنّ الفضل - بعد الله - لك وحدك ! وإنّما عليك أن تُنصفهم، وتذكر مآثرهم، وتبيّن فضلهم، هذا ما يعرّف النّاس قدر العلماء، ويجعلهم يدركون فضلهم، ويغارون عليهم من أن يُنتقص قدرهم، وأن تهان مكانتهم.

*- ومن حقوقهم:- الاعتذار لهم في الأخطاء، اللهم آمين يا رب العالمين، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

***- طريقتنـــــــا سلـــــــــوك:-**

إن المؤمن الصادق ذو سلوكٍ سَوِيّ، وعملٍ تقيّ، وقلبٍ نقيّ، وعهدٍ وفيّ، وفؤادٍ رضيّ، وعزمٍ قويّ، وَبِرّ خفيّ، وخلقٍ سماويّ، وهو رجلٌ محمديٌّ، يؤثر غيره على نفسه، فالناس منه في راحة، وهو منهم في تعب، لا همَّ له إلا سعادة الآخرين، يتمنى لهم الخير ويحرص عليه، ويدفع عنهم الضرر بقدر الاستطاعة، يصبر على أذى الآخرين، ولا يؤذي أحدًا، ممتثلًا قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه إذ يقول:-

إنَّ اَخاكَ الحَقّ مَن كانَ مَعَك وَمَن يَضِرُّ نَفسَهُ لِيَنفَعَـــك

وَمَن إذا ريبَ الزَمانُ صَدَعَك شَتَّتَ فيكَ شَملَهُ لِيَجمَعَـــك

وَإن غَدَوتَ ظالِماً غَدا مَعَـــك

***- فمـــن أوصـــــاف المؤمـــــن الصـــــادق:-**

*- لا يكون المسلم المؤمن الصادق صادقًا حتى يجد في القرآن كل ما يريد، { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}،(النحل:-٨٩)، ويعرف النقصان من المزيد، ويستغنى بالمولى عن العبيد، ويستوى عنده الذهب والصعيد.

*- المسلم المؤمن الصادق من حَفِظَ الحدودَ، وَوَفَّى بالعهودِ، وَرَضِيَ بالموجودِ، وَصَبَرَ عنِ المفقودِ.

*- المسلم المؤمن الصادق من شكرَ على النعماءِ، وصبرَ على البلاءِ، ورضيَ بمرِّ القضاءِ، وحمدَ ربَّهُ في السراءِ والضراءِ، وأخلصَ له في السرِّ والنجوى، كما قال المولى تبارك وتعالى:- {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}،(البقرة:-١٧٧).

*- المسلم المؤمن الصادق من لا تَسْتَرِقُّهُ الأغيار، ولا تستعبده الآثار، ولا تغلبه الشهوات، ولا تحكم عليه العادات.

*- المسلم المؤمن الصادق كلامه ذكرٌ وحكمة، وصمته فكرٌ وعبرة، يسبق فعلُهُ قولَهُ، ويصدِّقُ علمُهُ عملَهُ.

*- المسلم المؤمن الصادق شعاره الخشوع والوقار، ودثاره التواضع والانكسار، يَتَّبِعُ الحقَّ ويؤثِرُهُ، ويرفضُ الباطلَ وينكرُهُ، يحبُّ الأخيارَ ويواليهم، ويبغضُ الأشرارَ ويعاديهم.

*- المسلم المؤمن الصادق كثيرُ المعونةِ، خفيفُ المؤونةِ، بعيدٌ عنِ الرُّعُونَةِ ''أي الحمق''، أمينٌ مأمون، لا يكذبُ ولا يخون، لا بخيلًا ولا جبانًا ولا سبَّابًا ولا لعَّانًا، ولا يشتغل عن العبادة، ولا يشح بما في يده .

*- المسلم المؤمن الصادق طَيِّبُ الطويةِ ''أي الباطن''، حسنُ النِّيَّةِ، ساحته من كل شرٍّ نَقِيَّةٌ ''أي نفسه''، وَهِمَّتُهُ فيما يقربه من ربه عَلِيَّةٌ، ونفسه على الدنيا أَبِيَّةٌ.

*- المسلم المؤمن الصادق لا يصرُّ على الهفوةِ، ولا يَقْدِمُ ولا يَحْجِمُ بمقتضى الشهوةِ، قرينُ الوفاءِ والفُتُوَّةِ، حليفُ الحياءِ والمُرَوَّةِ، ينصفُ كلَّ أحدٍ منْ نفسِهِ ولا ينتصفُ لها منْ أحدٍ.

*- المسلم المؤمن الصادق إنْ أُعْطِيَ شكرَ، وَإِنْ مُنِعَ صبرَ، وَإِنْ ظَلَمَ تابَ واستغفرَ، وَإِنْ ظُلِمَ عفا وغفرَ، لا يحبُّ الخمولَ والكسلَ، ويكرهُ الظهورَ والاشتهارَ.

*- المسلم المؤمن الصادق لسانُهُ عنْ كلِّ مالا يُعْنِيْهِ مخزونٌ، وقلبُهُ على تقصيره في طاعة ربه محزونٌ، لا يداهنُ في الدينِ ولا يُرْضِي المخلوقينَ بسخطِ ربِّ العالمين.

*- المسلم المؤمن الصادق يأنس بالوحدة والانفراد، ولكنه لا يستوحش من مخالطة العباد، ولا تلقاه إلا على خير يعمله، أو علم يعلمه.

*- المسلم المؤمن الصادق يُرْجَى خيرُهُ، ولا يُخْشَى شَرُّهُ، ولا يُؤْذِي من آذَاهُ، ولا يَجْفُوا من جفاه، كالنخلة ترمى بالحجر فترمي بالرطب أي التمر، وكالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح.

*- المسلم المؤمن الصادق تلوح أنوار صدقه على ظاهره، ويكاد يفصح ما يرى على وجهه عما يضمر في سرائره.

*- المسلم المؤمن الصادق سعيه وهمته في رضا مولاه، وحرصه ونهمته في متابعة رسوله وحبيبه ومصطفاه، يتناسى في جميع أحواله، ويقتدى به في أخلاقه وأفعاله وأقواله ممتثلًا لأمر ربه العظيم في كتابه الكريم حيث يقول:- {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}،(الحشر:-٧) صدق الله العلي العظيم

أخي الحبيب هذه بعض مقتطفات من أخلاق المسلم المؤمن الصادق إجمالًا، إنها منهاج العابدين، وطريق سلوك السالكين، وكل من يريد القرب من خالقه عليه أن يتخلق بها ويذكر نفسه كل يوم عندما يريد أن ينام، ويحاسب نفسه بها ويبكى من تقصيره في حق الله كما قال تبارك وتعالى:- { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}،(النحل:-٨٩).

اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

***- طريقتنـــــــــــا محبـــــــــــة:-**

إن ديننا الإسلامي الحنيف الطاهر الشريف مبني كله على المحبة، اسمع قول حبيب قلوبنا ﷺ وهو يقول:- {لَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِي، وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ}، فمحبة الله عزَّ وجلَّ، ومحبة حبيبه المصطفى ﷺ، ومحبة الصالحين هي شرط للإيمان، ودخول الجنان، اسمع قول حبيبنا ﷺ:- { مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ}، ولهذا يقول فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره:- {وزنت الدنيا فما وجدت فيها خيرًا سوى حب الله ونبيه ورجاله}، وحب الصالحين مقرون بحب الله تعالى وحب سيد المرسلين ﷺ، اسمع قول الحق تبارك وتعالى:- {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)}،(المائدة:-٥٥-٥٦)، ومن هنا كان واجبًا علينا، وحريًّا بنا أن نتفانى في محبة بعضنا البعض لأن فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره أشار إلى ذلك جليًّا فقال:- {بكم عرفت واهتديت}، فهم والله سبب الهداية والمعرفة بعد الله رب العالمين، وقال:- {بكم بلغت نجاتي}، وقال:- { يسأله بكم الرضا}، وقال:- {هم أتوك وأنا بحبهم ألحقتني بهم وهذا الجزا لحب خير الرجال}، وقال:- {وفي الصبابة قلبي... وفي الحقيقة ذاتي}، فهم والله في عين الحقيقة {أنا، وأنا هم}، كما قال قدس الله تعالى سره:-

فصاروا واحدًا وهم كثيـــــــر وفوق الخلق سر الله عالـــــــي

وأن نتفانى كذلك في محبة الصالحين، وأحبابه المقربين، والصفوة الصادقين، وأن نطيعهم ونخدمهم كما قال الله عزَّ وجلَّ:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ}،(النساء:-٣١)، كما قال أيضا سبحانه وتعالى:- { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}،(فاطر:-٢٨)، ويقول المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم:- {ما اتخذ الله وليًّا جاهلًا ولو اتخذه لعلمه}، وقال أحد الصالحين:-

هم ولاة الأمر والحكم لهـــــم فإذا جاروا فمن ذا يعـــــــدل

فكان لزامًا طاعتهم وضرورة الاقتداء بهم، لأنهم خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدام دينه من بعده، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف:- (علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)، وقال أيضًا صلوات ربى وسلامه عليه:- (العلماء ورثة الأنبياء).

فلما كان عدد الأنبياء {١٢٤ ألفًا} كذلك كان عدد الأولياء {١٢٤ ألفًا} في كل زمن لا ينقصون، فإذا مات منهم أحد حل محله غيره وهم العلماء العاملون بعلمهم، ولقد تعددت الأقوال في تعريف الصالحين منها:- قال سيدنا أنس رضى الله عنه:- (بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء)، وقال سيدى أبو القاسم القشيري:- (لو قرعوا الصخر بسوط تحذيرهم لذاب ولو ربط إبليس في مجلسهم لتاب)، وله أيضًا:- (اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة)، وقال سيدى كمال الدين الدميري الشافعي:- (لا يكون العارف عارفًا حتى يكون كالأرض يطؤه البرُّ والفاجر) وله أيضًا:- (لكل أمة صفوة وصفوة هذه الأمة الصوفية)، وقال عطاء بن أبى رباح:- (النظر إلى العابد عبادة)، ومن أقوال سيدى أبو يزيد البسطامي:- {إن لله تعالى عبادًا لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار)، (صفة العارف صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيى)، (إذا رأيت مؤمنًا صادقًا بكلام أهل هذه الطريقة فاسأله الدعاء فإنه مجاب الدعاء)، ولله در القائل:-

والعبد هذا هو الحر الذى حصلت له الخلافة جل الله معطيـــــــه

أوصافه ظهرت من وصف مبدعه وكل مظهر يبدى تجليـــــــــــه

كذلك مما قيل عن تعريف الصالحين:-

*- (الشيخ من هداك بأخلاقه وأيدك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه) أبو مدين، (إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحًا) الفضل بن عياض، (العارف كل يوم أخشع لأنه كل يوم أقرب) ذو النون المصري، (إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي) سليمان الداراني، ولله در القائل:-

عبد عليه سمات القوم لائحـــــة وخلعة العز والتحكيم عاليـــــــه

فإذا كانت هذه بعض من صفات عباد الله الصالحين فكان لزامًا علينا محبتهم لصدقهم في محبتهم وقربهم من خالقهم، وفى وجوب محبة الصالحين قالوا:- {اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم} أبو الدرداء، (ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله لأنه إذا أحبهم أحب الله وإذا أحبوه أحبه الله) أبو الفوارس، (أحب أولياء الله تعالى ليحبوك فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك) أبو يزيد البسطامي، (من أحب من يحب الله تعالى فإنما يحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله) سفيان الهلالي الكوفي، ولله در القائل:-

اخلص ودادك صدقًا في محبته والزم ثرى بابه واعكف بناديـــــه

كما أن من أعظم الأمور التي ترتقى بالعبد وتجلب له النفع في دينه وسلوكه إلى الله تعالى صحبة هؤلاء العباد الصالحين والاقتداء بهم والتودد إليهم والانتفاع بعلمهم، وفى هذا قالوا:- {من أكثر من مجالسة العلماء أُطْلِقَ عقالُ لسانه وَفُتِقَ مراتقُ ذهنِهِ وَسَرَّهُ ما وجد من الزيادة في نفسه

وكانت له ولاية لما يعلم وإفادة لما تعلم) سيدنا الحسن، (إن الله خلق خلقًا من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون حوائج الناس فمن استطاع منكم أن يكن منهم فليكن) الإمام جعفر الصادق، (والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح) سيدى أبو الحسن الشاذلي، (من صحب أولياء الله تعالى وفق الوصول إلى الطريق إلى الله تعالى) سعيد بن منصور الشابوري، (كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من العلم) أبو بكر القرشي، (جالسوا أهل الدين فإن لم تجدوهم فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم) أبو عبيدة البصري، (طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته من الطاعات وإن لم يستدرك شفعوا عند الله فيه لأنهم أهل الفتوة) سهل السدي، ومن أقوال سيدى ذي النون المصري:- (بصحبتك الصالحين تطيب الحياة)، (الخير مجموع في القرين الصالح، إذا نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانك)، (عليك بصحبة من تذكرك بالله عزَّ وجلَّ رؤيته، وتقع هيبته على باطنك، ويزيد في عملك منطقه، ويزهدك في الدنيا عمله، ولا تعصى الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله)، ولله در القائل في هذا المعنى الجميل:-

إِذَا رُؤِيَ ذُكِرَ المولى لرؤيتـــــــهِ وفازَ بالسعدِ والتقريبِ رائيـــــــــــهِ

وفى ملازمة الصالحين قيل أن سيدنا موسى قال:- يا رب أين أبغيك؟ قال عزَّ وجلَّ:- (إنني عند المنكسرة قلوبهم)، ولله در القائل:-

قوم كرام السجايا أينما حلـــــــوا يرى المكان على أثارهم عطـــــــرا

*- (ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفريضة وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء الصادقين) حماد التيناتي، كما قالوا:-

إنْ كنتَ تقصدُ أنْ تحظى بصحبتهِ فاسلكْ على سننٍ طابتْ مساعيهِ

والزمْ العمرَ في آدابِ صحبتـــــــهِ وَحَصِّلِ الدرَّ والياقوتَ منْ فيـــهِ

كذلك من أعظم النعم التي يختص بها الله الناس أن يوفقهم لخدمة أحبابه وأصفيائه وفى هذا يقولون:- (من خدم الصالحين ارتفع ومن حرمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بالمقت بين خلقه حسبك من الدنيا شيئين:- خدمة ولى وصحبة فقير) إبراهيم بن داوود، (لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى ولن يصفو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى) حماد التيناتي، ولله در القائل في هذا المعنى السامي الجليل:-

ألا إننا من معشرٍ سبقت لهـــم أيادٍ من الحسنى فعوضوا من الجهل

ولم ينظروا يومًا إلى شيءٍ محرمٍ ولم يعلموا غير التقى في الفعـــــل

وفينا من التوحيد والعقل شاهــد عرفناه والتوحيد يشهد بالعقـــــــل

فإذا كانت هذه محبة الصالحين وصحبتهم من علو شأنها، فكان من أبغض الأفعال عند الله مجافاة الصالحين ومعادتهم فقد قال الله عز وجل في حديثه القدسي:- (من عاد لي وليًّا فقد آذنته بالحرب) وفى حديث آخر:- (من عاد لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة) وحدث أن سيدنا عمر بن الخطاب جاء يومًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه لصلاة جنازة على رجل مات فأبى رسول الله قائلًا:- (إنه كان يبغض عثمان بن عفان)، وفى مجافاة الصالحين قالوا:- (من اعترض على أحوال الصالحين فلابد أن يموت قبل أجله ثلاث موتاتٍ أخرى، موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجد من يرحمه منهم) سيدى أبو الحسن الشاذلي، (قبول قلب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته، ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غُبَّ

ذلك ولو بعد حين) أبو القاسم القشيري، نفعنا الله بمحبة الصالحين وأيدنا بهم دنيا ودين ورفعنا معهم في عليين، ولله در القائل:-

يا نعم ما نزل الكرام بساحـة إذ كل قفر بالكرام مطيــر

عجبًا إذا نزل الكرام بجدبــة تؤتى ثمارًا ما لهن نظيــر

فالإخلاص في المحبة شيء عظيم، وما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى، ومن حلم إلى علم، ومن صدق إلى عمل، فهي زينة الأخلاق ومنبت الفضائل، حب بلا إخلاص بناء بلا أساس، إن في القلب شعث:- لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة:- لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن:- لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق:- لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات:- لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد:- لا يقف دون أن يكون هو وحده المطلوب، وفيه فاقة:- لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً، لا يجتمع الإخلاص في القلب، ومحبة المدح والثناء.

*- ولله در سيدنا حاتم الأصم إذ يقول:- ''إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء:- وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي:- ثم أقوم إلى صلاتي:- وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، أظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأُكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، أفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأُتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أُقبلت مني أم لا''، فاللهم ارزقنا القدرة على الإخلاص في العمل وخدمة الآخرين وهي صفات في متناول كل نفس وهي الأسس

الحقيقية لحياتنا الروحية، وأفضل ما تهبه في حياتك، العفو عن عدوك، والصبر علي خصمك والإخلاص لصديقك والقدوة الحسنة لطفلك والإحسان لوالديك والاحترام لنفسك والمحبة لجميع الناس، إن فترات القوة والمنعة في التاريخ الاسلامي إنما ولدت حين تزاوج عنصران الإخلاص في الإرادة، والصواب في التفكير والعمل، فإن غاب أحدهما عن الآخر فلا فائدة من الجهود التي تبذل والتضحيات التي تقدم، إن خدمة الاسلام تحتاج الى رجل يجمع بين عنصرين لا يغني أحدهما عن الآخر، الأول:- الإخلاص العميق لله، والثاني:- الذكاء العميق والفهم الناضج في رؤية الاشياء على طبيعتها، إن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحاً للفساد، كما قال تعالى:- { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}،(الشورى:-١٤)، فانظر إلى ضراوة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد، كيف يثير التفرقة، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، الإخلاص سبعة أعشار النجاح في العمل، ولله در القائل:-

كل الذنوب فإن الله يغفرهـــا عن شبع المرء إخلاص وإيمان

وكل كسر فإن الله يجـــــبره وما لكسر قناة الدين جبـــــران

ثلاثة لا يغفل عنها قلب المؤمن:- إخلاص العمل، والنصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائه، أوصاني ربي بسبع:- الإخلاص في السر والعلانية، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرة، عليك بالإخلاص، أخلص تنل، ولله در القائل:-

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

كيف يستطيع الإخلاص من يغلبه هواه.. لو نفع العلم بلا عمل:- لما ذم الله أحبار أهل الكتاب ولو نفع العمل بلا إخلاص:- لما ذم المنافقين، وهل الإخلاص هو إخلاص الجسد وحده، أم هو إخلاص الفكر والقلب والروح، في إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكن الإخلاص عزيز، إن لله عبادًا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهما الإخلاص إلى أبواب البرِّ أجمع، لأن النصح الذي لا إخلاص فيه هو بذر عقيم لا ينبت، وإن نبت كان رياءً كأصله، الإخلاص لا يمر أبداً من بوابة الملوك، بالشكر تدوم النعم، وبالإخلاص تبقى الأمم، وبالمعاصي تبيد وتهلك، إن الصلاة مع الرياء أمست جريمة، وبعد ما فقدت روح الاخلاص باتت صورة ميتة لا خير فيها، الرعد الذي لا ماء معه لا ينبت العشب، كذلك العمل الذي لا إخلاص فيه لا يُثمر الخير، إنك تجعل الإخلاص مستحيلًا ثم تبكي لأنك لا تجد الإخلاص ألستَ رجلاً مغفلاً، وما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى، ومن حلم إلى علم، ومن صدق إلى عمل، فهي زينة الأخلاق ومنبت الفضائل، من أطال الأمل أساء العمل، أسرع بثلاثة- العمل الصالح، ودفن الميت وتزويج الكفء، أول العلم الصمت والثاني حسن الاستماع والثالث حفظه والرابع العمل به والخامس نشره، ليس الحزن إلا صدأ يغشى النفس، والعمل بنشاط هو الذي ينقي النفس ويصقلها ويخلصها من أحزانها، وإني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة، فإذا كان الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة، تعلم المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته، مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس، بركة العمر حسن العمل، من قصر بالعمل ابتلي بالهمِّ، كل شيء بالعلم إلا الرزق بالعمل، تعرف الشجرة من ثمارها، اعرق تنجح، إن الله خلق الأيدي لتعمل فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية، خير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتبع، ولله در القائل:-

واصبرْ وثابرْ فالنجاحُ محقــقُ ليس الموفقُ من تُوَاتيه المنـــــى

لكنَّ مَنْ رُزِقَ الثباتَ موفـــقٌ ما أحسنَ الشغلَ في تدبيرِ منفعـــةٍ

أهلُ الفراغِ ذوو خوضٍ وإرجافِ وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تجـــدْ

ولله در القائل:-

ذخراً يكونُ كصالحِ الأعمـــالِ كل ما في البلادِ من أمـــــــوال

ليس إلا نتيجةَ الأعمـــــالِ

إن يطبْ في حياتِنا الاجتماعِ يَّةِ عيشٌ فالفضلُ للعمـــــــــالِ

وإذا كانَ في البلادِ ثـــــراءٌ فبفضلِ الإنتاجِ والإبـــــــــذالِ

نحنُ خلقُ المقدرات وفيهـــا لا حياة للعاطلِ المكســـــــــالِ

ليس قدرُ الفتى من العيش إلا قدرَ إنتاجِ سَعْيِه المتوالـــــــــي

تذوقتُ أنواعَ الشرابِ فلم يسغْ بحلقي أشهى من حَلالِ المكاسبِ، ونمتُ على ريشِ النعامِ فلم أجدْ فراشاً وثيراً مثلَ إتمامِ واجبي، إنما خلق الانسان ليعمل كما خلق العصفور ليطير، يهب الله كل طائر رزقه ولكن لا يلقيه في العش، رأس البطال دكان الشيطان، لا خير في قول بلا عمل، والرجل الرجل من إذا قال فعل، عجلة الحظ لا يدفعها إلا العمل، يراقب الجوع بيت العامل لكن لا يجسر على الدخول، العمل يبعد عن الإنسان ثلاثة شرور:- السأم والرذيلة والحاجة، عالج آفة الملل بكثرة العمل، الحركة بركة والتواني هلكة، من يعشق عمله يجده أمتع من اللعب، هناك أربع طرق لإضاعة الوقت:- الفراغ والاهمال وإساءة العمل والعمل في غير وقته، البطالة أم الرذائل، أَجِّلْ طعامك إلى الغد ولكن لا تؤجل عملك، العمل أبو اللذة ومصدر السعادة، أتقن

عملك تحقق أملك، العمل النبيل هو في حد ذاته مكافأة، حياة بلا عمل عبء لا يحتمل، العمل يزودنا بمناعة ضد الألم، غبار العمل ولا زعفران البطالة، قليل من العلم مع العمل به أنفع من كثير من العلم مع قلة العمل به، فيا عباد الله:- إذا عرفنا ثمرة المحبة لبعضنا البعض ولسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجعل حياتنا سعادة لا شقاوة معها، ونذوقُ حلاوة الإيمان ونكونُ بمعية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فإنه يجب علينا أن نعلم بأن الحب للصالحين ولسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم الذي يعطي هذه الثمار هو الحب الذي يظهر أثره على مدعيه، فيدفع صاحبه إلى الطاعة والامتثال، لأنه لا يتصور وجود محب غير مطيع، اللهم اجعلنا والحاضرين والمسلمين ممن صدق في محبتك وحبة رسولك صلى الله عليه وسلم، ومحبة الصالحين، ولا تجعلنا من الأدعياء يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

***- طريقتنـــــــــــا أخـــــــــــلاق:-**

إن المؤمن يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم، والمؤمن في خلقه وصفاته يقتدي بخير الخلق وحبيب الحق محمد بن عبد الله ﷺ حيث أمرنا الشارع الحكيم بذلك فقال:- {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}،(الأحزاب:-٢١)، وهو الذي وصفه الله تعالى بالخلق العظيم فقال تعالى:- { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}،(القلم:-٤)، هذا وقد أمرنا حبيبنا ﷺ بالتخلق بأخلاق الله عزَّ وجلَّ فقال:- {تخلقوا بأخلاق الله تعالى}، وَبَيَّنَ رسول الله ﷺ أنه بُعِثَ لإتمام مكارم الأخلاق فقال:- {إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}، {وعَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ:- يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ:- اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ، قَالَ:- زِدْنِي، قَالَ:- أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، قَالَ:- زِدْنِي، قَالَ:- خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ }، وهذه بعض صفات المؤمنين الصادقين، فهم والله أولياء ـ أحباء ـ لا يتحاسدون ولا يتناجشون ولا يتباغضون ولا يتدابرون، ولا يخذل بعضهم بعضًا ولا يكذب بعضهم على بعض ولا يغشُّ بعضهم بعضًا ولا يظلم بعضهم بعضًا هذه هي صفاتهم، فهم أولياءُ، أتقياءُ، أصفياءُ، أنقياءُ، أَحِبَّاءُ، أخوةٌ، متعاونون.....إلى آخره، ومعلومٌ أن الصديق الصحيح والحبيب المخلص لا يغشُّ أخاه وصديقه ولا يظلمه ولا يؤذيه لا بقول ولا بفعل، ولا يخونه في المعاملة ولا يكذبه في الحديث ولا إلى غير ذلك، فأنت يا عبد الله حاسب نفسك هل أنت قائم بهذا الوصف؟!! لا تظلمه ولا تؤذيه، وهل أنت مستقيم عليه؟ هل تحب لأخيك كل الخير وتكره له كل الشر لا تظلمه ولا تغشه لا بقول ولا بفعل..؟ هذه صفة عظيمة فالمطلوب من كل مؤمن ومؤمنة حساب النفس على هذا، كلٌّ منا يحاسب نفسه هل هو من أهل هذه الصفات أم لا؟؟ فالله تبارك وتعالى يقول عن المؤمنين:- { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۩ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۩ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، (التوبة:-٧١)، فقوله تعالى:- {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، أي عليه أن يجاهد نفسه إذا كان يعلم منها خلاف ذلك، فعليه أن يجاهدها حتى تستقيم على المحبة والأخوة الإيمانية وعدم الإيذاء للمؤمنين والمؤمنات بأي وسيلة، ويحب له ولأخيه في الله كل الخير ويكره له كل الشر، هكذا المؤمن وهكذا المؤمنة ... ثم قال بعد ذلك:- {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}، هذه من أخلاق المؤمنين ومن صفات المؤمنين ذكوراً وإناثاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه وتعالى:- {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}،(آل عمران:-١١٠)، فالواجب على أهل الإيمان من الرجال والنساء التخلق بهذا الخلق العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الكلٌ منهم يتحلى بذلك الخلق العظيم في بيته ومع زملائه ومع جلسائه ومع غيرهم، إذا رأى منكراً أنكره وإذا رأى أن المعروف قد أضاعه أخوه أنكر عليه إضاعته، وهكذا المؤمنة مع أخواتها في الله كلٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في بيته ومع أهله، الزوج مع زوجته والزوجة مع زوجها والرجل مع أولاده ومع إخوانه ومع خدمه ومع أيتامه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا يُغْفِلُ هذا أبدًا، فهذه خصلة عظيمة لا بد منها، ومن أهم واجباته وهي من أهم خصال المؤمن الصادق أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مع أهل بيته كما قال سبحانه:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}،(التحريم:-٦)، وقال عزَّ وجلَّ:- {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}،(آل عمران:-١٠٤)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:- {من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع بقلبه وذلك أضعف الإيمان}، لا يسكت بل ينكر بيده إذا كان له سلطه كالهيئة في حدود تعليماتها، والأمير والسلطان والرجل في أهل بيته كلٌ ينكر قدر طاقته لإزالة المنكر، وهكذا

فالكلُّ ينكر في حدود صلاحيته بيده وبلسانه وبقلبه، فالرجل والمرأة يأمران وينهيان في بيتهما بقدر الاستطاعة، فبدايةً باللسان فإن حصل به المطلوب وأزيل المنكر فالحمد لله، فإن لم يُزَلِ المنكرُ أزالاه باليد إن قدرا على ذلك، والأمير والهيئة الرسمية وصاحب العمل مع عماله ونحو ذلك ممن له سلطة كلٌّ ينكر بقدر الاستطاعة وفي حدود صلاحياته، أما غيرهم فيكفي الكلام بالدعوة والتوجيه والإرشاد والنصيحة، كما قال جلَّ وعلا:- {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}،(فصلت:-٣٣)، وقال سبحانه وتعالى:- {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}،(النحل:-١٢٥)، وقال عزَّ وجلَّ:- {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖوَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}،(العنكبوت:-٤٦)، فالجدال بالتي هي أحسن من أعظم الأسباب في فهم الحق وقبوله والرضا به، أما العنف والشدة من أسباب التكبر والإعراض والنزاع وعدم قبول الحق، وبهذا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم:- {إن الرفق لم يكن في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه}، وقال صلى عليه وسلم:- {منْ يُحْرَمِ الرفقَ، يحرمِ الخيرَ كُلَّهُ}، ويقول صلى الله عليه وسلم:- {اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فشُقَّ عليه}، فالمؤمن يتحرى أسباب إزالة المنكر ويتحرى أسباب قبول الحق بالعبارة الحسنة والأسلوب الحسن والتوجيه الطيب مع إقامة الأدلة، مثلاً قال الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يُجْدِ ذلك فالقوة حينئذٍ في إزالة المنكر لازمةٌ إن كان من أهل ذلك، كإراقة الخمر، وكسر الصورة، إلى غير هذا مما يزال باليد ممن له سلطة من أمير وقاضٍ وهيئة وغير هذا ممن له سلطة، ولهذا قال جلَّ وعلا في الآية في سورة العنكبوت:- {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}،(العنكبوت:-٤٦)، والظالم يُعَامَلُ بما يناسبه من إلزامه بالحق وقمعه

بالباطل وإقامة الحد عليه والتعزيم عليه بمن له السلطة في ذلك، وَبَيَّنَ سبحانه في سورة المائدة أن الناس إذا أضاعوا هذا الواجب نزلت بهم عقوبة اللعن، فإذا ترك الناس الأمر والنهي خشي عليهم عقوبة اللعن، فيقول سبحانه:- { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ}،(المائدة:-٧٨)، لذلك فإن الناس إن أعرضوا عن إنكار المنكر وتساهلوا فيه اسمع ما قاله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:- {إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب}، وقال:- {ويلٌ للعرب من شرٍّ قد أقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بإصبعيه}، يخاطب أصحابه عليه الصلاة والسلام فقالت له زينب أم المؤمنين بنت جحش رضي الله عنها:- " يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ "- أ نهلك وفينا الصالحون يعني وفينا الأخيار- قال النبي صلى الله عليه وسلم:- {نعم إذا كثر الخبث}، إذا كثر الخبث يعني إذا كثر الخبث جاءت العقوبات ويهلك الصالحون، أي تعم العقوبة، والخبث والشرك والمعاصي كلها خبث، الشرك خبث والمعاصي خبث، نعم إذا وجد المنكر ولم يُنْكَرْ، لهذا وجب على المسلمين التواصي بالحق والتناصح والتعاون بالبر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال عزَّ وجلَّ:- {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)}،(العصر:-١-٣)، هؤلاء هم الرابحون وهم الناجون وهم السعداء وبقية الناس في خسارة، وأهل هذه الصفات الأربع الإيمان الصادق بالله تعالى ورسوله ﷺ، والعمل الصالح والذي هو توحيد الله وطاعته، وترك المعصية والتواصي بالحق والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيمانًا وعملاً وتواصياً وصبراً لابد منها، فهذه صفة الرابحين المؤمنين فمن فقد شيئاً من هذه الصفات الأربع أصابته الخسارة بقدر ما فقد من هذه الصفة، فإن فاتتك كلها تمت الخسارة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد يقتصر سبحانه وتعالى على الإيمان والعمل الصالح في غالب

الآيات لأن التواصي بالحق والصبر داخلان في الإيمان والعمل الصالح، ولهذا قال في الآيات الأخرى:- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ}،(لقمان:-٨)، والتواصي داخل في ذلك في الصبر، والحق داخل في الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى:- { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)}،(الكهف:- ١٠٧-١٠٨)، لأن الإيمان والعمل الصالح يشملان التواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر عليه، نعم إن هذا كله داخل في الإيمان والعمل الصالح، كما قال الله تعالى:- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)}،(البينة:-٧-٨)، فهم خير البرية خير الخليقة بسبب إيمانهم والعمل الصالح وعملهم الصالح فكان:- { جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}، هذا الخير كله لمن خشي الله، وعمل عن إخلاص وصدق وخشية الله عزَّ وجلَّ لا عن رياء وسمعة ولا عن تقليد ونحو ذلك، أي عمل عن إيمان بالله ورسوله، عن خشية لله، عن رغبة فيما عنده جلَّ وعلا، فلا بد من الإيمان بالله ورسوله، ولا بد من العمل الذي هو داخل في الإيمان، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم العمل ومن أعظم شعب الإيمان، ولا بد من ذلك، لهذا يجب على المؤمنين والمؤمنات القيام بهذا الواجب، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كانوا في البيت في الطريق في الطائرة في الباخرة في القطار في أي مكان حسب الطاقة، كما قال تعالى:- {فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}،(التغابن:-١٦)، ثم قال سبحانه:- { يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}،(المائدة:-٥٥)، وهذه من أهم أنواع الفرائض لكن قدّم:- {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات العامة والمهمة التي يترتب عليها كل خير من الصلاة وغيرها، فمتى وجد

التحابُّ في الله ومتى وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق، فضل بعد ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله، وإنما يأتي التحلل من الإعراض والغفلة وعدم الأمر والنهي وعدم التواصي بالحق، فعند هذا تكثر الشرور ويختل الإيمان وتضاع الصلاة وتضاع الزكاة وتضاع طاعة الله ورسوله، فالواجب على المكلفين من الرجال ومن النساء العناية بهذا الأمر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون وليّاً لأخته وأخيه، وأن يحذر جميع ما حرم الله وأن يقيم الصلاة كما أمر الله فالرجل يؤديها في الجماعة والمرأة تؤديها في وقتها وفي بيتها كما أمر الله بالخشوع والطمأنينة، قال الله تعالى:- {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *١* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *٢*}،(المؤمنون:-١-٢)، ثم ذكر صفاتهم:- {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)}،(المؤمنون:-٩-١١)، هذه الصفات العظيمة في سورة المؤمنون ومن جملة صفاتهم:- {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨)}،(المؤمنون:-٣-٨)، هذه من صفاتهم التي تدخل في قوله ويقيمون الصلاة ويطيعون الله ورسوله، فإن كلمة ويطيعون الله ورسوله كلمة جامعة تجمع جميع الصفات، يدخل فيها الصيام والحج وبر الوالدين وصلة الرحم والجهاد وترك المنكرات التواصي والتواصي بالصبر، كما شرع الله تبارك وتعالى جميع ذلك عن إيمان وعن صدق وعن رغبة وعن رهبة ويؤدون الزكاة، الرجال والنساء في متساوون في ذلك بل وفي كل شيء في الجهاد وفي صيام رمضان وفي الحج مع الاستطاعة، ثم قال بعد ذلك:- {أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ}،(التوبة:-٧١)، أي من حمل هذه الصفات يرحمه الله بالتوفيق في الدنيا والنجاح في الآخرة، لما قام بأمر الله واتقى الله وتخلق بالأخلاق التي مدحها الله وأمر بها وهو الصادق

في وعده لا يخلف الميعاد سبحانه وتعالى، ومن الرحمة التوفيق في الدنيا كحسن الخاتمة، ومن الرحمة دخول الجنة ومنجاة من النار يوم القيامة بسبب أعماله الطيبة وإيمانه وتقواه وصدقه، فالوصية الواجبة أيها الأخوة الأحباب هي:- أنَّ كلًا منا يجب عليه أن يحاسب نفسه ويجاهدها في الله ويتدبر كتاب الله الكريم، فإن فيه الهدى والنور من أوله لآخره، فيه صفات الأبرار والأخيار والمؤمنين، وفيه صفات الأشرار من الكفار والمنافقين والمجرمين، فيتدبر القرآن ويعتني به ويكثر من تلاوته للعمل لا لمجرد التلاوة، والتلاوة عبادة وفيها خير عظيم وكل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها، لكن المقصود من التلاوة عمل ''وهو اللب''، والتلاوة وسيلة فالمشروع للمؤمن والمؤمنة العناية بهذا الأمر، والعناية بالقرآن وتدبر معانيه والإكثار من ذلك، حتى تعمل بما أوجب الله تعالى، وبما شرع الله عزَّ وجلَّ وحتى ينتهي عما نهى الله عنه، وهكذا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يعتني بها المؤمن ويحفظ ما تيسر منها وسمعها، ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه، حتى يحصل له علم من القرآن وعلم من السنة بما شرع الله في هذه الدار، فأنت يا عبد الله في دار العمل أنت مخلوق لتعبد ربك لم تُخْلَقْ للأكل والشرب والنكاح... لا... إنك خلقت لأمر عظيم، لتعبد ربك القائل:- {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}،(الذاريات:-٥٦)، وأمر بعد ذلك فقال:- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}،(النساء:-١)، فأنت مخلوق لهذه العبادة وهذه العبادة هي دين الإسلام، وهي الإيمان وهي ما ذكره الله في قوله:- {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}،(التوبة:-٧١)، وفي كثير من الآيات العبادة التي خلقت لها هي توحيد الله وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذه العبادة التي خلقت لها فلا بد من صبر عليها، ولا بد من جهاد فيها، أما ما يَسَّرَ الله لك من أكل

وشرب وأموال ونكاح وسكن وغير ذلك فهي معونة لك، على القيام بالواجب والسعي بها على أداء حق ربك.

*- وهذه قصة جميلة جدًّا عن أخلاق صحابة رسول الله ﷺ، وكيفية كظم الغيظ والعفو عن الآخرين:- كان لعبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - مزرعة في المدينة مجاورة لمزرعة يملكها معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - خليفة المسلمين في دمشق، وفي ذات يوم دخل عمّال مزرعة معاوية إلى مزرعة ابن الزبير، وقد تكرر منهم ذلك في أيام سابقة؛ فغضب ابن الزبير وكتب لمعاوية في دمشق وقد كان بينهما عداوة قائلاً في كتابه:- من عبدالله ابن الزبير إلى معاوية (ابن هند آكلة الأكباد) أمّا بعد:- فإنّ عمالك دخلوا إلى مزرعتي، فمرهم بالخروج منها، أو فو الذي لا إله إلا هو ليكوننّ لي معك شأن! فوصلت الرسالة لمعاوية، وكان من أحلم الناس، فقرأها ثم قال لابنه يزيد:- ما رأيك في ابن الزبير أرسل لي يهددني؟ فقال له ابنه يزيد:- أرسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتيك برأسه، فقال معاوية:- بل خيرٌ من ذلك، " زكاةً وأقربَ رُحماً "، فكتب رسالة إلى عبدالله بن الزبير يقول فيها:- من معاوية بن أبي سفيان إلى عبدالله بن الزبير (ابن أسماء ذات النطاقين) أما بعد:- فو الله لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلّمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك، فإذا وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمّالي إلى عمّالك؛ فإن جنّة الله عرضها السموات والأرض! فلمّا قرأ الزبير الرسالة بكى حتى بلّ لحيته بالدموع، وسافر إلى معاوية في دمشق وقبّل رأسه، وقال له:- لا أعدمك الله حِلماً أحلّك في قريش هذا المحل.

*- ومن روائع القصص في الحلم والعفو:- أنه وقعَت بين محمد بن الحنفيَّة وأخيه الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنهم جميعًا جَفْوَة، فأرْسل بن الحنفيّة إلى أخيه الحسن يقول:- {إنَّ الله فضَّلَك

عليّ، فأُمّك فاطمة بنت محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلّم، وأمي امرأة من بني حنيفة، وجدّك من أمّك رسول الله ﷺ، وصفوته من خلقه، وجدّي لأمِّي جعفر بن قيس، وجدتك لأمك خديجة بنت خويلد سيدة نساء العالمين، وجدتي لأمي امرأة من بني حنيفة، وأخوالك القاسم وعبد الله وإبراهيم أبناء رسول الله ﷺ، وأخوالي من بني حنيفة، وخالاتك زينب ورقية وأم كلثوم بنات سيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ، وخالاتي من بني حنيفة، فإذا جاءك كتابي هذا، فَتَعالَ إليّ وصالِحني، حتى يكون لك الفضْل عليّ في كلّ شيء؟ لقول النبي ﷺ:- { لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام}، فما إن بلغَتْ رسالته الحسن، حتى بادر إلى بيته وصالحَهُ)، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

***- طريقتنـــــــــــــا معاملـــــــــــــــــة:-**

***- {حقّــًا إن الدين المعاملة، أو الدين معاملة!!}**

*- إنَّ هذهِ العبارةَ حقًّا من الكلمات الطيبة الجميلة العظيمة الحقيقية التي كان يتناولها كثيرًا معي إخوتي في الله، وأحبتي في رسول الله ﷺ وقد كانت العبارةُ بكلمتيها المحدودتين تشكل لنا كل اهتمام لقناعتنا التامة بها.

*- لهذا أحببتُ أن نُطَوِّفَ معًا وسويًّا حول بعض معانيها العظيمة:- بالفعل ... إنها حقيقة، فأيُّ كلمةٍ طيبةٍ، أو ابتسامةٍ لطيفةٍ، أو تقديرٍ واحترامٍ وذوقٍ في التعامل، أو شعورٍ راقٍ، أو إحساسٍ بآلامِ الآخرينَ وهمومِهِمْ، أو اهتمامٍ بسيطٍ، أو سؤالٍ عابرٍ، أو مؤازرةٍ في محنةٍ، أو مشاركةٍ في مأتمٍ، أو مشاركةٍ في فرحٍ وعرسٍ، أو تفقدِكَ لطفلٍ مبتلىً بجسدٍ قعيدٍ، أو ذوقِكَ في التعاملِ مع جارِكَ في (بيتٍ- عملٍ- مواصلاتٍ ...)، أو اتصالٍ هاتفيٍ، أو رسالةٍ على الموبايلِ (الهاتف) النَّقَّالِ، إنَّهَا كُلَّهَا صحيحٌ أعمالٌ صغيرةٌ... لكنها عندَ كثيرٍ من الناسِ كبيرةٌ، إنَّهَا كُلَّهَا صحيحٌ أعمالٌ غيرُ مكلفةٍ بالمال، لكنها أغلى عند الناس من تلال الأموال، إنَّهَا كُلَّهَا صحيحٌ عندك قد تكون بسيطةً لكنها في ميزان الحبيب سيدنا محمد ﷺ تقربك منه يوم القيامة، كلها صحيح أنها لا تستغرق وقتًا لكنها عند ربك قد تفوقُ ساعاتٍ طويلةٍ تقضيها مقيمًا ليلك بين يديه تبارك وتعالى، بِكُلِّ بساطةٍ.. هذا هو الإسلام العملي، فبالله عليك.. قبل أن تُحَدِّثَ الناس أخي الحبيب الغالي عن تدينك وهمتك للإسلام، وهمتك عن إصلاحك للمجتمع، حدثهم أولًا عن:- كيف حال ذوقك وتعاملك معهم خاصة في هذه الأيام، واعلم.. أيها الحبيب الغالي الكريم أَنَّ نبيَّ الأخلاقِ رفيعُ الذوقِ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قال:- {لَا خَيْرَ فِيْمَنْ لا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ}، وقال ﷺ:- {إن المرء ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم}، فالدين ليس في المسجد فقط، بل

المسجد تأتي إليه لتلقي تعليمات الصانع، وفي المسجد تصلي فتقبض ثمن طاعتك له، تماماً كمندوب مبيعات يأتي إلى مركز الشركة الساعة الثامنة صباحاً يتلقى التعليمات من المدير العام، ويذهب، ويبيع، ويعود معه الغلة، فيأخذ المكافأة، حينما تتوهم أن الدين مقصور على المسجد فأنت في وهمٍ كبير، الدين في عيادتك أيها الطبيب، والدين في مكتبك الهندسي أيها المهندس، والدين في قاعة صفك أيها المعلم، والدين في دكانك أيها البقال، والدين في حقلك أيها المزارع، الدين في عملك، أما المسجد فتتلقى فيه التعليمات، وتقبض الثمن، فلذلك قِيْلَ- " تركُ دانقٍ منْ حرامٍ خيرٌ منْ ثمانينَ حِجَّةٍ بعدَ حِجَّةِ الإسلامِ"، لذلك حينما فهم المسلمون الدين على أنه عباداتٌ شعائريةٌ فقط، فكأنهم فرغوه من مضمونه، فاليوم مليارٌ وخمسمُائةِ مليونٍ لا وزن لهم عند الله تعالى، الأَلْفُ منهم كَأُفٍّ، بينما أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عليهم رضوان الله الواحد كألْفٍ، هل يعقل أن سيدنا خالدًا يستنجد بسيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما حينما احتاج إلى خمسين ألفِ جنديٍّ مددًا لمعركةٍ طاحنةٍ حاسمةٍ، فسيدنا خالدٌ معه ثلاثون ألفًا، والجيش الذي يواجهُهُ ثلاثَمائةِ ألفٍ، فأرسل له المدد، أرسل له سيدنا القعقاع بن عمرو رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فقال له سيدنا خالد:- << أين المدد يا قعقاع ؟ قال له:- أنا المدد، قال له:- أنت؟ قال له:- أنا >>، ومعه كتاب، قرأ سيدنا خالدٌ الكتاب، يقول سيدنا أبو بكر:- << فو الذي بعث محمداً بالحق، إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم >>، وانتصروا، ولكننا الآن نرى ملايين مُمَلْيَنَةً، أُمَمًا، دولةً فيها مئتان وخمسون مليونًا لا وزن لهم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقول:- {يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة}، أنا أحاول أن أضع يدي على الوجع على أخطر ما في الدين، أن يكون كسبك حلالاً، أن يكون عملك مشروعاً، وكسبك حلالاً، عندئذ تكون مستجاب الدعوة، هناك مشاعر لا يتاح لي أن أعبر عنها كلها، لكن ما من إنسان مستقيم يكسب المال الحلال إلا ويوفَّق، فلا ريب إذا صفت النفس الإنسانية مما علق بها

من أدران الجاهلية، ونظر الإنسان نظرةً دقيقةً إلى ما جاء في الدين الإسلامي من مُثُلٍ عُلْيَا لرأى أنها برمتها ترمي إلى تكميل النفس الإنسانية، وإبلاغاها إلى أسمى مراتب التكامل على أن الدين منهج، والتدين سلوك، ويجب أن يكون السلوكُ مترجمًا للمنهج كما قال الله تعالى:- { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}،(الحجرات:-١٣)، فالتقوى والالتزام بالدين لا يكون بالكلام أو الملبس أو الثقافة أو الشهادة أو المركز، بل في سلوك كل فرد يخاف الله سرًّا وعلانيةً، ويجعله رقيبًا له حتى في خلوته، وعن وعي نقول:- الدين هو الإنسانية والرحمة والطاعة والمحبة وحسن الظن، والابتعاد عن الأنانية وفهم المقابل وعدم صده واحترام رأيه مهما كان، وعدم التجريح له والإساءة لأي بشر، وإن حسن التعامل مع الناس إكسيرٌ ناجعٌ لكسب قلوبهم ونيل رضاهم، ومع أن ذلك لا يكلف كثيرًا، لكن آثاره الطيبة عظيمة على مستوى النفس والمجتمع، فمن أحب أن يعيشَ حقيقةَ دِيْنِهِ وَتَدَيُّنِهِ فليعاملِ الناسَ بكريمِ الأخلاقِ كما يُحِبُّ أن يعاملوه، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:- {لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه}، فبحُسن الخلق عملًا ومعاملةً يستقيم الجانب السلوكي من الدين، ويتجانس مع الجوانب الأخرى في العقائد والعبادات، وذلك أساس الحياة الإسلامية الطيبة الراقية، وهي أقوى شاهدٍ وبرهانٍ للاقتناع والإقناع بربانية الإسلام وتميزه وامتيازه، وَتَحْضُرُنَا هنا مقولةٌ وجيزةٌ وجامعةٌ:-{الدينُ المعاملةُ} تنص عليه من أهمية السلوك والمعاملة في حقيقة التحلي بالإسلام وتطبيقه، لأنَّ المعاملةَ معيارُ التزامِ المسلمِ بدينه، وبرهانُ إيمانه وتقواه، بحيث لا يجدي تدينٌ لا يستقيم على إحسان المعاملة، وقد كتب الله الإحسان على كل شيء كما نص على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا فالعمل بالإسلام لا يقتصر على الإيمان وأداء الأعمال التعبدية الظاهرة وحدها كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، بل لا بد أن يكون لهذه الأعمال آثارٌ طيبةٌ تطبعُ سلوكَ المسلمِ، وَتُمَيِّزُهُ في جوانب حياته كلها أقوالًا وأفعالًا وأحوالًا، وهناك حديث في صحيح

مسلم؛ يقرأه الناس، ويسمعون شرحه، ومع ذلك يفهمون أن الدين هو أن تصلي، وأن تصوم، وأن تؤدي العبادات، مع أن هذا الحديث الشريف فيه من العمق، والخطورة، ما يحمل الإنسان على أن يعتقد أن التدين الصحيح في المعاملة، يقول عليه الصلاة والسلام:- {أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ المفلس بالمفهوم العام:- من لا درهم له، ولا دينار؛ لا يملك مالاً إطلاقاً، فقالوا:- المفْلسُ فينا من لا درهم له، ولا متاع، فقال:- إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة؛ بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَتْ حَسَناتُهُ، قبل أن يُقْضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار}،[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]، كلام واضح وضوح الشمس في ضحاها؛ إنسانٌ يغتابُ، إنسانٌ يطعنُ، إنسانٌ يأكلُ ما ليس له، إنسانٌ في الإرث يأخذ النصيب الأكبر بدعوى لا قيمة لها، إنسانٌ غمَّاز لمَّاز؛ ويصلي، ويصوم، ويحج كل عام، ومصيره إلى النار، هذا هو الدين! الدين عبادات تعاملية إنْ صَحَّتْ صَحَّتْ العبادات الشعائرية.

*- والعبادات التعاملية هي:- أن تكون صادقاً، أن تكون أميناً، أن تكون عفيفاً، أن تكون منصفاً، أن تكون رحيماً، أن تكون متواضعاً، هذه العبادات التعاملية إنْ صَحَّتْ صَحَّتْ العبادات الشعائرية؛ عندئذ تصح الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فالعبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية، هذا المعنى العظيم النبيل أيها الإخوة الكرام يفتقر إليه المسلمون كثيراً، فهم يتوهمون أن كل من دخل، وصلى فهو مسلم؛ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنه الناس على أموالهم، وأعراضهم، أي الصفة الصارخة في المؤمن ليست صلاته، ولا صيامه، ولا زكاته، ولا حجه؛ الصفة الصارخة صدقه، وأمانته، وعفته، وهذا ما فهمه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعًا وأرضاهم، فحينما سئل سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه من قِبل النجاشي عن رسول الله ﷺ ما قال:- بعث الله فينا رجلاً

يصلي، ويصوم، ويحج ويزكي، بل قال سيدنا جعفر رضي الله تعالى عنه وأرضاه:- " كنا قوماً أهل جاهلية، نأكل المَيتَة، نعبد الأصنام، نأتي الفواحش، نقطع الرَّحم، نسيء الجوار، هذه جاهلية؛ جاهلية أخلاقية، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، هذا هو النبي، إنسان صادق، أمين، عفيف، فدعانا إلى الله لنعبده، ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة، والأوثان، وأمرنا...انظر لم يذكر الصلاة والصيام والزكاة والحج، بل قال أمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدينار" هذا هو الدين، تعريفٌ جامعٌ مانعٌ للدينِ، الدينُ استقامةٌ، وأمانةٌ، وصدقٌ، وعفةٌ، ورحمةٌ، وعدلٌ، وإنصافٌ؛ هذا الذي يرفع الإنسان، هذا الذي يجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، الإنسان يتألق بأخلاقه لا بعباداته:- فالشيطان دائماً يُوهم الإنسان أنت صاحب دين؛ تصلي، تصوم، تحج، لا، قل له:- صاحب الدين هو الصادق؛ صادق ويصلي، طبعاً بالمقابل مرفوض أشد الرفض أن تقول:- إنسان مؤدب لكن لا يصلي، لا هذا ليس له علاقة؛ صادق ويصلي، أمين ويصلي، رحيم ويصلي، منصف ويصلي، عفيف ويصلي، فهذا الحديث أيها الإخوة وضع فيه النبي عليه الصلاة والسلام يديه على جوهر الدين؛ هذا الدين، هكذا كان هو وأصحابه، لذلك التألق لا يأتي من الصلاة، والصوم، شخص يصلي، يصوم، لكنه كذاب، محتال، أي ليس مستقيماً، مُرَاوِغاً، يأخذ ما ليس له بأساليب شتى، مثل هذا الإنسان نقول له:- تصلي، وتصوم؛ لكن ليتك تضيف إليهما الطاعة، والاستقامة، وإلا لا قيمة لهذه الصلاة، والصوم، الشيء الدقيق أيها الإخوة الكرام أن فهم الصحابة للدّين هو الذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وفهمنا السقيم للدّين هو الذي جعل الناس يخرجون من دين الله أفواجاً، حتى صار هناك قناعات عند الناس عجيبة لا نريد صاحب الدين؛ لأنه غشاش، ومحتال، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}،(البقرة:-٨٣)، فقوله تبارك وتعالى:-

{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، أي قولوا لجميع أطياف الناس، وأصنافهم ومللهم القول الحسن، للمسلم والكافر، للمؤمن والمنافق، للمشرك والصادق، للقريب والبعيد، للصديق والعدو، للجار والصاحب، لليهودي والنصراني، لأن كل إناء ينضح بما فيه، ويفيض بما في داخله، فتظهر الآثار على الجوارح والأعضاء، ولا أدل على ذلك من جميل لطف رسول الله ﷺ وحسن صنيعه مع أصحابه، مع أحبابه، وحتى مع أعدائه، فلقد روى ابن حبان في صحيحه،(ج١ص ٥٢١ و٢٨٨) أخبرنا الحسن بن سفيان ومحمد بن الحسن بن قتيبة واللفظ للحسن قالا:- حدثنا محمد بن المتوكل وهو بن أبي السري قالك- حدثنا الوليد بن مسلم قال:- حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال:- قال عبد الله بن سلام:- إن الله تبارك وتعالى لما أراد هَدْيَ زيدِ بنِ سُعْنَةَ قالَ زيدُ بنُ سُعْنَةَ:- إنه لم يبقَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه، يسبقُ حِلْمُهُ جَهْلِهُ، وَلَا يَزِيْدُهُ شِدَّةُ الجهلِ عَلَيْهِ إَلَّا حِلْمًا، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، قال:- فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال:- يا رسول الله قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت أخبرتهم أنهم إِنْ أسلموا أتاهم الرزق رغدًا وقد أصابهم شدةٌ وقحطٌ مِنَ الغيثِ، وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت، قال:- فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل جانبه أراه عمر فقال:- ما بقي منه شيء يا رسول الله!! قال زيد بن سعنة:- فدنوت إليه فقلت له:- يا محمد هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا فقال:- "لا يا يهودي ولكن أبيعك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان" قلت:- نعم فبايعني صلى الله عليه وسلم فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالًا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا،

قال فأعطاها الرجل وقال:- "اعجل عليهم وأغثهم بها" قال زيد بن سعنة:- فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجهٍ غليظٍ ثم قلت:- ألا تقضيني يا محمد حقي فو الله ما علمتكم بني عبد المطلب بِمُطْلٍ، ولقد كان لي بمخالطتكم علمٌ، قال:- ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره وقال:- أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى؟ فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال:- "إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فَاقْضِهِ حقه وزده عشرين صاعًا من غيره مكان ما رِعْتَهُ" قال زيد:- فذهب بي عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقضاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر فقلت:- ما هذه الزيادة قال:- أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك فقلت:- أتعرفني يا عمر؟ قال:- لا فمن أنت؟ قلت:- أنا زيد بن سعنة قال:- الحبر قلت:- نعم الحبر قال:- فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت وتفعل به ما فعلت؟ فقلت:- يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه:- يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد أختبرتهما فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا وأشهدك أن شطر مالي- فإني أكثرها مالًا- صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عمر:- أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم قلت:- أو على بعضهم فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد:- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى

الله عليه وسلم فآمن به وصدقه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلًا غير مدبرٍ"، فاللهم يا كريم يا ذا العرش العظيم، أسألك بجاه نبيك الكريم، صاحب الخلق العظيم، نبي الرحمة، نبي الشفاعة يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، أن تجعلنا ممن قالوا '' سمعنا وأطعنا '' ووفقنا اللهم للعمل بكل ما يرضيك عنا يا رب العالمين، واجعل اللهم بضاعتنا أحسن بضاعة، ولا تجعلنا من أهل التفريط والإضاعة، واغفر اللهم جميع ذنوبنا نحن وجميع أمة الحبيب المصطفى الهادي سيدنا محمد ﷺ في هذه الساعة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

الوصيـــــــــــة الثالثـــــــــة

{أوصيكم بالمحافظة على الصلاة في جماعـــــة.....
وانتظار الموت ساعة بعد ساعـــــة..... ولا تبقَ في هَمِّ
رزقك حائـــــــرًا.... وإياك والغيبة والنميمـــــــــــة.....
ولا تحتقـــــر مـــــن خلق الله أحـــــــــدًا}

*- أوصيكم بالمحافظة على الصلاة في جماعة:-

ابتدأ شيخنا الجليل قدس الله تعالى سره هذه الوصية العظيمة الجليلة النافعة الجامعة الشاملة، قائلًا:- أوصيكم بالمحافظة على الصلاة في جماعة، وذلك لأنها مفتاح الجنة، والطهور مفتاح الصلاة، وكل ما أتت به الشريعة الإسلامية - ومنها الصلاة - فهو محقق لمصالح الدنيا والآخرة .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى:- " التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم "، انتهى من " قواعد الأحكام " (٢ / ٧٣)، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:- " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء، والدواء والنور، والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا، وطي العالم:- رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب رحى الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة "، انتهى من " أعلام الموقعين " (٤ / ٣٣٧ - ٣٣٨)، فالصلاة أوجبها الله تعالى بهذه الصفة المعروفة في نصوص الكتاب والسُّنَّةِ، محققة لجملة من مصالح العباد الدنيوية والأخروية، وبتأمل الإنسان للصلاة وأحكامها يرى مدى عظمة نفعها للناس في هذه الدنيا، ومن ذلك:-

أولًا:- تحقيقها لصحة النفس وسعادتها، وذلك من وجوه:-

الوجه الأول:- تحقيق الحكمة الكبرى من خلق العباد في هذه الحياة الدنيا، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وهي تحقيق العبادة الخالصة لله جل جلاله، وشعور العبد أنه مرتبط دائمًا وفي كل أوقاته إلى هذه العروة الوثقى، وأنه:- ما ذهب في مذهب، وراح مراحًا، إلا وهو عائد إلى ربه، مقبل عليه، قال الله تعالى:- {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}،(الذاريات:-٥٦-٥٨)، وقال تعالى:- {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، (البينة:-٥)، وقال تعالى:- {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}،(الأنعام:-١٦٢-١٦٣).

الوجه الثاني:- من المعلوم من نصوص الشرع، ومن واقع حياة الناس أن أصح الناس نفسًا وأعدلهم مزاجًا وأكثرهم سعادةً هم الأتقياء الصالحون، قال الله تعالى:- {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، (النحل:-٩٧)، وقال الله تعالى:- {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}،(الجاثية :-٢١)، وأعظم باب لتحقيق الصلاح والتقوى هو الالتزام بالصلاة وإقامتها حق الإقامة من غير إخلال بها، فمن أقامها وحافظ عليها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، فإنه يبعد نفسه عن سبل المنكر والفحشاء، ويحقق تقوى الله تعالى، ويدخل في زمرة عباد الله الصالحين، قال الله تعالى:- {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}،(العنكبوت:-٤٥).

الوجه الثالث:- هذه الحياة لا تخلو من الهموم والأحزان، ولابدّ للإنسان للخروج من ضغوطها أن يكون عنده من يشكو له همه وأحزانه، والمسلم إنما يشكو همه وحزنه إلى الله تعالى، كما حكى الله تعالى قول يعقوب عليه السلام:- {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}،(يوسف:- ٨٦)، وأفضلُ وقتٍ وحالٍ لِبَثِّ الإنسانِ أحزانَهُ وهمومَهُ إلى الله تعالى هو وقت الصلاة ؛ لأنه يكون بين يديه والعبد أقرب ما يكون من ربه حال سجوده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:- (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاء) رواه مسلم (٤٨٢)، فالصلاة تعين المسلم على إزاحة هموم الدنيا وأحزانها، قال الله تعالى:- {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}،(البقرة:-٤٥)، قال ابن كثير رحمه الله تعالى:- " يقول تعالى آمرًا عبيده، فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة، بالاستعانة بالصبر والصلاة، وأما قوله:- (وَالصَّلَاةِ) فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول:- {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}،(البقرة:-٤٥)، انتهى من " تفسير ابن كثير " (١ / ٢٥١ - ٢٥٣)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه ما يهمه فزع إلى الصلاة، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ:- " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْر، صَلَّى " رواه أبوداود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في " صحيح أبي داود " (١١٩٢)، فالحاصل من كل ما مضى:- أن الصلاة تساهم في تقويم نفس المسلم واعتدال مزاجها، قال الله تعالى:- {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}،(المعارج:- ١٩ - ٢٣).

الوجه الرابع:- وهي فوائد تبعية، وليست مقصودة بالقصد الأصلي للعبادة:- أن كثيرًا من الفوائد والمصالح الجسدية والبدنية:- تعود على العبد، بما يحافظ عليه من الصلاة في مواقيتها؛ الصلاة لا تتم إلا بشرط الوضوء، وطهارة الجسد والثياب وبقعة الصلاة من النجاسات، ويندب للمصلي استعمال السواك، وأن يستعمل أحسن ثيابه، وأن يغتسل ويتطيب لصلاة الجمعة، كما يجب عليه الاغتسال للصلاة إذا أصابته جنابة، وهذه الأعمال أنفع وقاية للإنسان من الأمراض، والحكمة الطبية تقول:- الوقاية خير من العلاج، والصلاة منشطة للجسم مذهبة للخمول خاصة إذا كان المصلي كثير النوافل وكثير المشي إلى المساجد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:- (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ على كُلَّ عُقْدَةٍ:- عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ) رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦)، ومن ذلك أيضًا:- الفوائد الاجتماعية:- فللصلاة فائدة هامة وعظيمة للمجتمع المسلم وذلك من خلال الصلاة جماعة في المساجد، والتعارف والتقارب بين الناس في مثل تلك الأماكن الفاضلة، وتوحد القلوب على العبادة، واستقامتها في صف واحد، من غير تفريق بين كبير ولا صغير، ولا غني ولا فقير، ثم في طي ذلك من الحكم، ومنافع العبد ومصالحه، في دينه ودنياه، ما لا يبلغ قدره إلا الحكيم الخبير:- {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}،(الملك:-١٤)، فلقد عظم الله شأن الصلاة تعظيمًا، فعرج بنبيه لأجلها تمييزًا لفرضها وتأكيدًا، وتنزلت الآيات الكريمة بها، ونطقت الأحاديث الشريفة بمكانتها وفضلها، وبيان صفتها؛ هداية للعباد إلى إقامتها وإرشادًا نقول:- إن الصلاة عمود الدين وركن الإسلام الركين، هي الصلة بين العبد وربه، والعهد بين الله تعالى وخلقه، إنها وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وهو يفارق الحياة ويقول:- «الصلاة الصلاة» (صحيح مسلم)،

إنها العبادة التي لا تسقط عن أهل الأعذار، كل يصليها حسب طاقته، لا غنى عنها لمريض أو مسافر أو خائف، هي العبادة التي تتكرر في اليوم خمس مرات، ما لا يتكرر غيرها من الطاعات الواجبات، هي العبادة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم الآباء أن يأمروا أبناءهم بها حتى قبل بلوغهم سن التكليف فقال:- «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع» (مسند أحمد)، وكَثْرَةُ الخُطَا إِلَيهَا رِفعَةٌ لِلدَّرَجَاتِ وَمَمحَاةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وانتِظَارُهَا رِبَاطٌ، وهِيَ آخِرُ مَا يَبقَى مِنَ الدِّينِ، فالصلاة شريعة الأنبياء والمرسلين، التي أوحى الله بها إليهم فقال:- {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ}،(الأنبياء:-٧٣)، ودعا إبراهيم ربه بإقامتها لنفسه ولذريته فقال:- {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي}،(إبراهيم:-٤٠)، وامتدح الله إسماعيل حيث أمر أهله بها فقال:- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ * إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}،(مريم:-٥٤-٥٥)، توعد الله على التهاون فيها بأليم العذاب وشديد العقاب، فكيف الوعيد على تركها أو جحودها؟ فقال تعالى:- {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}،(مريم:-٥٩)، وقال سبحانه:- {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}،(الماعون:-٤-٥)، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وتركها من أعظم الأسباب الموجبة لدخول النار عياذًا بالله، يقول الله تعالى:- {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}،(المدثر:-٣٨-٤٣)، كثيرة فوائدها عزيزة غزيرة عوائدها:- راحة للنفس وطمأنينة للقلب، قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم وقرة أعين المؤمنين، إذا حضر وقت الصلاة خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بلالًا ليؤذن قائلًا:- «أرحنا بها يا بلال» وكان يقول:- «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، الصلاة الصلاة، فإنها السلوى من الهموم والأحزان:- كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، الصلاة الصلاة،

فإنها العون على الشدائد والصعاب، يقول تعالى:- {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}،(البقرة:-٤٥)، الصلاة الصلاة، فإنها السبب لتحصيل الرزق الطيب الحلال، يقول تعالى:- {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ}،(طه:-١٣٢)، الصلاةُ الصلاة فإنها الوسيلة الكبرى لحِفظِ الأمن والقضاء على الجريمة، والتربية على العِفّة والفضيلة، لقوله تعالى:- {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}،(العنكبوت:-٤٥)، الصلاةُ الصلاة عباد الله، فإنها الصفاء والطهر، والنقاء للحياة والعمر، ففي الحديث:- «أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كلَّ يوم خمسَ مرّات، هل يبقى من درنه شيء»؟! قالوا:- لا يبقى من درنه، قال:- «فذلك مَثَل الصلوات الخمس؛ يمحو الله بهنّ الخطايا» (متفق عليه)، الصلاةَ الصلاة فإنها النور الذي يضيء الله به ظلمات الدنيا وظلمات القبر والآخرة، ففي الحديث:- «الصلاة نور»، الصلاة الصلاة، فإنها سبب النصر والتمكين والطمأنينة والأمان، يقول تعالى:- {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ}، (الحج:-٤١)، والإنسان هلوع بطبعه؛ جزوع في الضراء، منوع في السراء، ولا يخلصه من هذين النقصين ولا يسلمه من هذين الشقاءين إلا الدوام على الصلاة، يقول الله تعالى:- {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا * إِلاَّ المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُم عَلَى صَلاتِهِم دَائِمُونَ}،(المعارج:-١٩-٢٣)، وذكرت الآيات جملة من الصفات الكريمة تباعًا، ثم ختمتها بالمحافظة على الصلاة بقوله تعالى:- {وَالَّذِينَ هُم عَلَى صَلاتِهِم يُحَافِظُونَ}، (المعارج:-٢٣)، كما بدأتها بالمداومة عليها؛ تأكيدًا وتعظيمًا، وتنبيهًا إلى أَنَّ الصَّلاةَ هِيَ بِدَايَةُ الخَيرِ وَنِهَايَتُهُ، وَأَوَّلُ الفَلاحِ وَآخِرُهُ، وَمُنطَلَقُ الكَمَالِ وَغَايَتُهُ، فَأَهلُ الصَّلاةِ هُمُ المُؤَدُّونَ لِحُقُوقِ المَالِ، أَهلُ الصَّلاةِ هُم أَهلُ الخَشيَةِ مِنَ اللهِ وَالخَوفِ مِن لِقَائِهِ، أَهلُ الصَّلاةِ هُمُ الرَّاعُونَ لِلأَمَانَاتِ المُوفُونَ بِالعُهُودِ، أَهلُ الصَّلاةِ، هُمُ الحافِظُون للأعراض الغَاضُّون للأَبصَارِ عن الحرمات، ولذلك

استحقوا من الله الرفعة والكرامة حيث قال فيهم:- {أُولَئِكَ في جَنَّاتٍ مُكرَمُونَ}،(المعارج:-٣٥)، فإن للصلاة شروطًا وأركانًا وواجبات، وسننًا ومستحبات ومبطلات، بمراعاتها تحصل إقامتها والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فيها حيث قال:- «صلوا كما رأيتموني أصلي» (صحيح الجامع) واجب مؤكد تعلم ما لا تصح إلا به، الخشوع لله روحها، وهو ميدان يتنافس فيه المتنافسون، ويتفاوت فيه المصلون، ورب اثنين تصافا للصلاة، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وفي الحديث:- «إن العبد ليصلي، وليس له من صلاته إلا نصفها، ثلثها، ربعها سدسها، تسعها، عشرها»، ومن إقامتها عباد الله أداؤها في الجماعة لمن كان مقيمًا وخلا من الأعذار، فلحضورها في الجماعة شرع بناء المساجد، والأذان لحضور الصلاة إليها، والله تعالى يقول:- {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}،(البقرة:-٤٣)، فالله الله في مجاهدة النفس والشيطان على إقامتها، وتعلم الصفة الشرعية التي لا تصح إلا بها، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يصلي ولا يطمئن في صلاته، فكان كلما سلم من صلاته وجاء للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم يقول له:- «ارجع فصلِّ فإنك لمْ تصلِّ» (صحيح البخاري)، فلنحافظ على الصلاة كما أمر بذلك الشارع الحكيم تبارك وتعالى فقال:- {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}،(البقرة:-٢٣٨)، لذلك كان من شروط البيعة المحمدية عند شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سِرَّهُ، وَطَيَّبَ الله ثراه:- المحافظةُ على الجُمَعِ والجماعات، أي لا بد من المحافظة على صلاة الجمعة ولزوم صلاة الجماعة بقدر الاستطاعة وفي وقتها دون أي تأخير أو تسويف، لأن إقامة الصّلاة في وقتها هي صفةٍ من صفات الرّجولة والإيمان، وهي فرض عين عند الإمام الشافعي عملًا بقوله تعالى:- {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}،(البقرة:-٤٣)، فقد وصف الله تعالى في كتابه الكريم من لا تلهيهم التّجارة والبيع عن الصّلاة بالرّجال، قال تعالى:- {رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

وَالْأَبْصَارُ}،(النور:-٣٧)، فإن أهميّة إقامة الصّلاة في وقتها كواحدةٍ من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، فقد سأل الصّحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النّبي عليه الصّلاة والسّلام عن أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى، فقال:- الصّلاة على وقتها، والمسلم حريصٌ على عمل ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأعمال، ففي إقامة الصّلاة في وقتها تربية للمسلم وتهذيب لأخلاقه؛ فالمسلم الحريص على الوفاء بحقّ الله تعالى عليه وأدائه وفق ما افترضه الله تعالى عليه، وتراه أحرص النّاس على أداء حقوق النّاس وعدم تأخيرها، وإقامة الصّلوات في أوقاتها كلها خير بالنسبة لبدن المسلم وصحته، فقد بيّنت كثيرٌ من الدّراسات على أنّ التزام المسلم بأداء الصّلاة في وقتها وموعدها تكون له آثارٌ طيّبة في بدنه وصحّته نظرًا للتّغييرات البيولوجيّة التي تحصل في كلّ وقتٍ من أوقات الصّلوات؛ ففي صلاة الظهر على سبيل المثال يكون نشاط الإنسان في ذروته فتكون الصّلاة مهدّئةً للنّفس تخفّف من حدّة نشاط الجسد، فالله تعالى ما شرع للعباد إلّا ما يصلح حالهم في دينهم وآخرتهم، وكذلك أهميّة إدراك وقت بعض الصّلوات مثل صلاة الفجر لإدراك السّاعة التي تكتب فيها الأرزاق، وكذلك صلاة العصر والفجر؛ حيث الأوقات التي تجتمع فيها الملائكة، وفي الخلاصة نقول:- إن الصلاة هي عمود الدين، وأول ما يسألنا عنه رب العالمين، هي مفتاح الحساب، وفاتحة الأبواب، والواقية من العذاب، في الدنيا وتحت التراب، ويوم القيامة حين يقوم الحساب ويقوم الجزاء والعقاب، حيث لا أهل ولا أنساب، لا إخوة ولا أصحاب، ولا رصيد حساب إلا العمل والفعل الصواب، هي راحة للبدن وراحة للبال، وكما قالها نبينا عليه الصلاة والسلام كلما ضاق به الحال، ''أرحنا بها يا بلال''، فبمجرد إقامتها تنزل من العقول والقلوب الأثقال، ويذوب الهمُّ والغمُّ مثلما يذوب الجليد عن الجبال، وهي أمتنُ الحبالِ التي تربط العبد بربه ذي الجلال، وهي خير الوصال التي تصل العبد بربه بالبكور والآصال، والليالي

الطوال، وهي خير الخصال التي يوصف بها العبد عند ربه فيقال:- يا أولياءَ اللهِ ادخلوا جنةً فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا يخطر على بال، ولله در القائل في الصلاة:-

قالها النبي لبلال بن ربـــــــــاح أسمعنا النداء لنطمئن ونرتـــــــــــاح

حي على الصلاة حي علـى الفلاح جملتان تؤديان إلى النجـــــــــــاح

فوز حتمي ومؤكد يا صـــــــاح رفعة شأن وبالحال صـــــــــــلاح

هي الصلاة وهي المفتـــــــــاح لدخول جنة الخلد لكي ترتـــــــــاح

لا ضرر ولا ضرار ولا جـــــراح في جنات عدن وعباد صـــــــــلاح

مصلين وجوههم كالمصبـــــــاح وتسابيحهم في العشية والصبـــــــاح

ثيابهم طاهرة ومسكهم فـــــــواح متراصون لا تهزهم عاصفة ولا ريـــاح

معهم أشرقت الشمس والصبح لاح وامتلأت الدنيا بهجة وأفـــــــــراح

بتكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتـــاح تحس بالطمأنينة والانشـــــــــراح

خشوع ودعاء وتضرع مبـــــــاح تهجد وبكاء إلى حد النـــــــــواح

طلب للعفو والمغفرة والسمـــــاح وابتعاد عن المعاصي والاجتـــــراح

اللهم اجعلنا ممن يحافظون على أداء الصوات في مواعيدها، واجعلنا ممن يؤدونها بكل خشوع وتضرع وتدبر وتأمل، كما يفعل الصفوة المقربون، والعباد الصالحون، والأولياء والمصطفون، وخيرتك المخلصون، ورضي الله تعالى عن سيدي الحج قدس الله تعالى سره إذ يقول:- {وكن في

صلاتك خاشعًا ومطمئنًا}، ويقول الحق تبارك وتعالى في حديث التجلي على قلب شيخنا قَدَّسَ الله تعالى سِرَّهُ، وَطَيَّبَ الله ثراه:- {قف في محرابك وتذكر وقفتك بين يدي النشور، ولا تغفل عن كلامي، فوجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب}، فالصلاة قرة عيون المؤمنين كما صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:- ''وجعلت قرة عيني في الصلاة''، ولذا كان يقول:- ''أرحنا بها يا بلال''، ولسان حال بعضنا يقول:- ''أرحنا منها يا إمام''، ولله در القائل:-

وقل لبلال العزم من قلب صادق أرحنا بها إن كنت حقاً مصليا

توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به ترق أبواب الجنان الثمانيا

وقد سطر سلفنا الصالح صوراً مشرقة في المحافظة على صلاة الجماعة:- ففي صحيح مسلم ينقل لنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صورة حية لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالهم مع صلاة الجماعة فيقول:- ولقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، فأين النائمون عن صلاة الفجر والعصر الذين أنعم الله عليهم وأصحّ لهم أجسامهم؟ وما عذرهم أمام الله تعالى؟، ولله در القائل في هذا المعنى الجميل:-

منائركم علت في كل حيٍّ ومسجدكم من العُبَّادِ خالي

وصوت أذانكم في كل وادٍ ولكن أين صوت من بلالِ

*- وهذا سعيد بن المسيب يقول:- ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة، ولما اشتكى سعيد عينه يوماً قالوا له:- لو خرجت إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خفة، فقال:- فكيف أصنع بشهود العشاء والصبح.

*- وكان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج فقيل له:- قد رخص لك، قال:- إني أسمع " حي على الصلاة " فإن استطعتم أن تأتوها فأتوها ولو حبواً.

*- وسمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن وهو يجود لنفسه فقال:- خذوا بيدي فقيل:- إنك عليل، قال:- أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات.

*- وكان سعيد بن عبدالعزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

نعم:- بكى لا لأنه قد فاتته مباراة رياضية، ولا لأغنية أو تمثيلية، ولكن يبكي لفوات المثوبة والروحانية.

*- سئل عبدالرحمن بن مهدي عن الرجل يبني بأهله أيترك الجماعة أياماً؟ قال:- لا، ولا صلاةً واحدةً.

*- هكذا أفتى ابن مهدي رحمه الله، ثم يأتي الامتحان، فيزوج ابن مهدي إحدى بناته فيخرج صبيحة العرس ويمشي إلى بابهما فيقول للجارية:- قولي لهما يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري فقلن:- سبحان الله !! أي شيء هذا؟ فقال:- لا أبرح حتى يخرج إلى الصلاة، فخرج بعدما صلى فبعث به إلى مسجدٍ خارج من الدرب، فهذا سلفنا الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم يعلموننا كيفية الخشوع في الصلاة، فهيا بنا نتعلم من صلاتهم:- الخشوع في الصلاة بمنزلة الروح في الجسد، فصلاة بلا خشوع كجسد بلا روح.

*- كان سيد الخاشعين يصلي لله خاشعاً مخبتاً، يبكي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

*- كان ابن الزبير إذا قام إلى الصلاة كأنه عود.

*- وكان ابن الزبير يصلي في الحِجْرِ، فيرمى بالحجارة من المنجنيق فما يلتفت.

*- ووقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون:- يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى طفئت، فقيل له في ذلك فقال:- ألهتني عنها النار الأخرى.

*- وكان علي ابن الحسين إذا توضأ اِصْفَرَّ، وإذا قام إلى الصلاة ارتعد، فقيل له فقال-: تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي ؟.

*- وقالت بنت لجار منصور بن المعتمر:- يا أبت أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة ؟ قال:- يا بنيتي ذاك منصور يقوم الليل.

*- وسرق رداء يعقوب بن إسحاق عن كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر ورُدّ إليه فلم يشعر لشغله بعبادة ربه.

*- كان إبراهيم التيمي إذا سجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصافير.

*- قال إسحاق بن إبراهيم كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبدالعزيز على الحصير في الصلاة.

هكذا كان خشوعهم، أما نحن فنشكو إلى الله قسوة في قلوبنا وذهاباً لخشوعنا، فلم تعد الصلاة عند بعضنا صلة روحانية بينه وبين ربه تبارك وتعالى، بل أصبحت مجرد حركات يؤديها الإنسان بحكم العادة لا طعم لها ولا روح، فأنى لمثل هذا أن يخشع ؟.

*- لقد صلى بعض الناس في أحد المساجد، ولما كان في التشهد الأخير فجاءه الشيطان وقال له:- يا أبا فلان إن صاحب المحل قد أخطأ في الحساب فراجع الفاتورة، إني لك من الناصحين، فصدق المسكين وأخرج الفاتورة ليراجعها أمام الناس وهو يصلي، فالله المستعان.

*- وآخر تراه هادئاً ساكنًا، فما إن يكبر حتى تبدأ يداه بالعبث بغترته أو عقاله أو لحيته أو ساعته، ولو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

*- فلا يغرنك وقوف مصليين متجاورين في صف واحد فإنه قد يكون بينهما من التفاوت في الأجر كما بين السماء والأرض، وقد قال عليه الصلاة والسلام:- " وإن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها " رواه أبو داود وحسنه الألباني، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَذَكِّرْ فإِنّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِيْنَ }، (الذاريات:-٥٥).

*- يأتي على الناس زمن يصلون وهم لا يصلون!! عن أبي هريرة -رضي الله عنه- يقول:- "إن الرجل ليصلي ستين سنة ولا تقبل منه صلاة، فقيل له:- كيف ذلك؟ فقال:- لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا قيامها ولا خشوعها"، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه:- "إن الرجل ليشيب في الاسلام ولم يكمل لله ركعة واحدة!! قيل:- كيف يا أمير المؤمنين؟ قال:- لا يتم ركوعها ولا سجودها!".

*- ويقول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله:- "يأتي على الناس زمان يصلون وهم لا يصلون، وإني لأتخوف أن يكون الزمان هو هذا الزمان!" فماذا لو أتيت إلينا يا إمام لتنظر أحوالنا؟؟.

*- ويقول الإمام الغزالي - رحمه الله:- "إن الرجل ليسجد السجدة يظن أنه تقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، ووالله لو وُزع ذنب هذه السجدة على أهل بلدته لهلكوا! سئل كيف ذلك؟؟ فقال:- يسجد برأسه بين يدي مولاه، وهو منشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا، فأي سجدة هذه؟؟ لهذا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:- { وجعلت قرة عيني في الصلاة }، فبالله عليك هل صليت مرة ركعتين فكانتا قرة عينك؟؟ وهل اشتقتِ مرة أن تعودي سريعًا إلى البيت كي

تصلي ركعتين لله؟؟ هل اشتقتِ إلى الليل كي تخلين فيه مع الله؟؟ وانظر إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم:– كانت عائشة رضي الله عنها تجده طول الليل يصلي وطول النهار يدعو إلى الله تعالى فتسأله:– يا رسول الله أنت لا تنام؟؟ فيقول لها:– (مضى زمن النوم)، ويدخل معها الفراش ذات يوم حتى يمس جلده جلدها، ثم يستأذنها قائلًا:– (دعيني أتعبد لربي)، فتقول:– والله إني لأحب قربك، ولكني أؤثر هواك! ويقول الصحابة:– كنا نسمع لجوف النبي – صلى الله عليه وسلم– وهو يصلي وله أزيز كأزيز المرجل من البكاء!!.

*– وقالوا:– لو رأيتم سفيان الثوري يصلي لقلتم:– يموت الآن (من كثرة خشوعه)! لنقف قليلًا قبل إكمال الموضوع!

ما حالنا مع الصّلاة؟ هل نكتفي بوضع هذه (؟) كأبلغ تعبير! لنتابع ونرى زمن الأوّلين ولنتحسّر على ما مضى من صلواتنا!.

*– انظري إلى عروة بن الزبير ابن السيدة أسماء أخت السيدة عائشة – رضي الله عنهم – أصاب رجله داء الأكلة (السرطان) فقيل له:– لا بد من قطع قدمك حتى لا ينتشر المرض في جسمك كله! ولهذا لا بد أن تشرب بعض الخمر حتى يغيب وعيك! فقال:– أيغيب قلبي ولساني عن ذكر الله؟؟ والله لا أستعين بمعصية الله على طاعته!

*– فقالوا:– نسقيك المنقد (مخدر)، فقال:– لا أحب أن يسلب جزء من أعضائي وأنا نائم، فقالوا:– نأتي بالرجال تمسكك! فقال:– أنا أعينكم على نفسي، قالوا:– لا تطيق!! قال:– دعوني أصلي فإذا وجدتموني لا أتحرك وقد سكنت جوارحي واستقرت فانظروني حتى أسجد، فإذا سجدت فما عدت في الدنيا، فافعلوا بي ما تشاؤون!! فجاء الطبيب وانتظر، فلما سجد أتى بالمنشار فقطع قدم الرجل ولم يصرخ بل كان يقول:– {لا إله إلا الله}، رضيت بالله ربًا وبالإسلام

دينًا وبمحمد نبيًا ورسولًا! حتى أغشي عليه ولم يصرخ صرخة، فلما أفاق أتوه بقدمه فنظر إليها وقال:- أقسم بالله إني لم أمشِ بك إلى حرام! ويعلم الله، كم وقفت عليك بالليل قائمًا لله، فقال له أحد الصحابة:- يا عروة . . أبشر . . جزء من جسدك سبقك إلى الجنة، فقال:- والله ما عزاني أحد بأفضل من هذا العزاء!.

*- وكان الحسن بن علي - رضي الله عنهما- إذا دخل في الصلاة ارتعش واصفرّ لونه، فإذا سئل عن ذلك قال:- أتدرون بين يدي من أقوم الآن؟؟!! سبحان الله- هل وعينا ذلك؟ بالله عليكم؟ وكان أبو الحسن سيدنا علي - رضي الله عنه- إذا توضأ ارتجف فإذا سئل عن ذلك قال:- الآن أحمل الأمانة التي عرضت على السماء والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأشفقن منها، وحملتها أنا!.

*- وسُئل حاتم الأصم - رحمه الله- كيف تخشع في صلاتك؟ قال:- أقوم فأكبر للصلاة، وأتخيل الكعبة أمام عيني، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأن رسول الله يتأمل صلاتي، وأظنها آخر صلاة، فأكبر الله بتعظيم، وأقرأ وأتدبر، وأركع بخضوع، وأسجد بخشوع، وأجعل في صلاتي الخوف من الله، والرجاء في رحمته، ثم أسلم ولا أدري أقبلت أم لا ؟؟!، لا إله إلا الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله، أين نحن منهم؟ أين نحن من الخشية والخوف والحرص؟ يا ربّ ارحمنا برحمتك، ويقول سبحانه وتعالى:- { أَلَمْ يأنِ للذِينَ آمَنُوا أَنْ تخْشَعَ قلُوْبُهُمْ لذكْرِ اللهِ }،(الحديد:-١٦)، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه:- لم يكن بين إسلامنا وبين نزول هذه الآية إلا أربع سنوات! فعاتبنا الله تعالى فبكينا لقلة خشوعنا لمعاتبة الله لنا، فكنا نخرج ونعاتب بعضنا بعضًا نقول:- ألم تسمع قول الله تعالى:- { ألَمْ يأنِ للذينَ آمَنُوا أن تَخْشَعَ قلوْبُهُمْ ..... }؟ فيسقط الرجل منا يبكي على عتاب الله لنا، إذن، ماذا عنا؟؟ هل شعرت

أنت أن الله تعالى يعاتبك بهذه الآية ؟؟ وإليكم إخوتي في الله وأحبتي في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصة من أروع قصص العودة لله:-

*- هذا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتلأ بطلبة العلم حتى لم يبق فيه مكان، ولكنهم ينتظرون شيخهم ومعلمهم وقد تأخر على غير عادته، وبينما هم في الانتظار إذا هو قادم عليهم، عليه وقار الصالحين، رؤيته تذكرك بذكر الله رب العالمين، فجلس بينهم في المكان الذي اعتاد الجلوس فيه، ثم أطرق إلى الأرض مفكرا ثم رفع رأسه وقال:- يا أبنائي الأعزاء، ظللت طول عمري أعلمكم وأفقهكم أمور دينكم، أما اليوم فسأحدثكم عن شيخكم الماثل أمامكم:- لقد كنت في العراق وأنا في ريعان شبابي رئيس حرس الأسواق، وكنت أُراقب حركة الأسعار والتجار، وكنت فظًّا غليظ القلب لا يحبني أحد ولا أحترم أحدًا، وبينما أنا أتجول في السوق رأيت رجلًا من التجار طويل القامة، كبير الهامة عريض المنكبين، قد لبس الحرير وأسبل عمامته تفوح منه رائحة الطيب وحلى أصبعه بخاتم ضخم، البطر والطرف بادٍ على محياه، وبين يديه رجل فقير قد جثا على ركبتيه يتوسل ويتضرع ويبكي، ثيابه ممزقة لا تكاد تستر جسمه، نحيل، غائر العينين، أصفر الوجه، مشقق اليدين من التعب والكدح، وهو يقول:- يا مولاي لماذا أخذت مني سبعة دراهم وهي محصلة يومي وتعبي، ردها علي إنني أحتاج إليها هذه الليلة، ففيها عشاء بنياتي، فإن أخذتها مني ستبات بنياتي طاويات من الجوع في هذا البرد الذي لا يرحم، رُد علي دراهمي يرحمك الله يُخلفك الله خير منها، أمهلني.. وكلما تذلل المسكين بين يديه شمخ الغني بأنفه ورفع رأسه إلى السماء وكأنه يكلم جدارًا أو حجرًا لا إنسانًا فيه قلب وروح، ويقول:- تأثرت بهذا المنظر فجئت إلى الغني وقلت:- ما شأنك وهذا؟ فقال:- وماذا يحشرك أنت فيما بيننا؟ انصرف إنك لا تعرف هذا، إنه مكار خبيث أقرضته منذ سنة سبعة دراهم وهو يفر مني كلما رآني حتى قابلته اليوم بالسوق فأخذتها منه، يقول:- فقلت له:- سبعة دراهم وأنت قد أغناك الله،

ردها عليه فلما قلت له ذلك أبى وتكبر وطغى، يقول:- فصفعته صفعة طنت لها أذناه وانقدحت لها عيناه ثم أدخلت يدي في جيبه وأخرجت الدراهم ووضعتها في يد الفقير، فقلت له:- انطلق.. فانطلق فرحًا يجري ويلتفت وراءه، قلت له:- يا هذا إذا تعشت بنياتك هذه الليلة فقل لهن يدعون لمالك بن دينار، يقول فلما أصبح الصباح وبينما أنا في السوق أحسست في قلبي أن الله قد قذف فيه حب الزواج، فأخذت أعرض نفسي على الناس ولكن من يزوجني؟ فأنا الفظُّ الغليظ مدمن الخمر لا يرغب بي أحد، فيقول فلما طردني الناس ذهبت إلى سوق الجواري فاشتريت جاريةً مسلمةً مؤمنة ثم أعتقتها وجعلت عتقها مهرها، ثم تزوجتها، فكانت نعم المرأة عارفة لربها مطيعة لزوجها، كنت أرى فيها الخير والبركة من يوم أن حلت بداري، فقد تركت الخمر، وأقبلت على الصلاة والذكر والطاعة وأخذت أستغفر الله ورق قلبي ولان، وأصبحت أحب الخير والدعوة للخير، ورزقني الله منها بنية صغيرة كنت أرى فيها سعادة الدنيا أراها تلعب أمامي في الدار وتتلقاني إذا جئت وتنام بجواري في الليل وتلاعبني وألاعبها، فأقضي أوقاتي معها في الدار، وبينما أنا كذلك ذات يوم، وهي تلعب بين يدي إذ خرت في حجري ميتة لا أدري ماذا حدث؟ فاضت روحها وأنا أنظر إليها فكاد قلبي أن ينخلع من مكانه فقلتُ:- ويحي بنيتي قرة عيني ماذا أصابك؟ فحملتها وقد تدلت رقبتها على يدي، وأخذت أذهب في البيت فاستقبلتني أمها، ما الذي حدث للبنية؟ فقلت:- لا أدري تلعب بين يدي فخرت ميتة، فجلست أنا وأمها نبكي، وكلما أَلْتَفِتُ في الدار بعد أن دفنتها وصليت عليها وجدت ذكراها، هذه ألعابها وتلك ملابسها، إذا جاء الطعام تذكرتها، وإذا جاء المنام تذكرتها حتى أخذ مني الحزن كل مأخذ فأصبحت لا أشتهي الطعام والشراب، وإذا جاء الليل وما أدراك ما الليل أظل أراقب نجومه حتى أنام من الإعياء والتعب، وذات ليلة، ولما بلغ مني الحزن كل مبلغ، ودب بي اليأس يرافقه الحزن قلت:- لأشربن هذه الليلة حتى أموت، فأحضرت الشراب وجلست أشرب حتى خررت على الأرض صريعًا لا أدري

كيف ولا أدري متى، وبينما أنا في ذنبي ومعصيتي لم أرضَ بقضاء الله، ولكن الله أرحم الراحمين، رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الأرض قد تشققت عن العباد كالجراد المنتشر، يشارك في هول يوم القيامة كل شيء، السماء تنفطر، الجبال تدمر كل شيء، الخلائق تجري، وأنا أجري أحسُّ بلهيب خلف ظهري، فلما التفت رأيت ثعبانًا ينفث نارًا، يجري خلفي، إلى أين المهرب؟ إلى من أفرُّ؟ يقول:- وأنا أجري في عرصات يوم القيامة، والثعبان خلفي وألهث من التعب، وجدت جبلًا وحيدًا يعترض طريقي، وفي الجبل شرفات وفتحات تطل منهن بنيات، فلما رأيتني صرخن:- يا فاطمة أدركي أباك، يا فاطمة أدركي أباك، يقول:- فإذا بنيتي الصغيرة تطلُّ من شرفة في الجبل فتراني فتقول:- أبي ثم أشارت إلى الثعبان فوقف، فمدت يدها إلي وأصعدتني عندها، ثم جلست بين يدي وهو تقول:- يا أبتاه:- {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}،(الحديد:-١٦)، يقول:- وتكررها واستيقظت من نومي وكأني أسمع صوتها يتردد، فسمعت آذان الفجر "حي على الصلاة، حي على الفلاح" يقول:- فأفقت واستغفرت وتبت إلى الله، وحمدت الله أن أحياني إلى الدنيا من جديد، ثم ذهبت واغتسلت وتوضأت ثم ذهبت إلى المسجد الجامع، أُصلي خلف الإمام الشافعي وإذا به في الصلاة يقرأ قول الله تعالى:- {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}، يقول:- فانتفض قلبي وفاضت عيناي، وكأنني أنا الوحيد المعني بها وأنا المخاطب بها وذلك من رحمة الله، فاستحييت من الله حق الحياء، فلما انتهت الصلاة واستدار الإمام الشافعي أخذ يفسر لنا قوله تعالى:- {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}، ويقول:- عباد الله إنا الله يستحثنا إلى التوبة، فهو يقول:- {أَلَمْ يَأْنِ}، وهي مشتقة من الآن فكأنه يقول:- الآن، الآن توبوا قبل أن تفوت هذه اللحظة فيندم الإنسان، الآن الآن إلى التوبة، إلى ذكر الله إلى الخشوع، يقول:- فتبت إلى الله واستغفرت لذنبي وتجلت عندي رحمة الله الذي لم يأخذني بمعصيتي، فأمهلني حتى تبت وأنبت وذهبت إلى

زوجتي وقلت لها:- هيا بنا نشد الرحال لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلب فيها العلم، فوفقني الله إلى كثير منه وعوضني الله خيرًا من بنيتي، عوضني أبناء المسلمين يشدون إلي الرحال من مشارق الأرض ومغاربها يجلسون بين يدي طول النهار وزلفًا من الليل يطلبون العلم، فحمدت الله تبارك وتعالى على نعمته، وآخر دعوانا ان الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

*- وانتظـار المـوت ساعـة بعـد ساعـة:-

إن انتظار الموت ساعة بعد ساعة من سمات الصالحين، وصفات عباد الله المقربين، وأخلاق الصادقين، فتذكر الموت والاستعداد له هو أمر مهم جدًّا، فهو يحفز على البدار بالتوبة والإكثار من الطاعات، ويدل لذلك ما في الحديث:- {أكثروا من ذكر هاذم اللذات}، رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:- {أكثروا ذكر هاذم اللذات – الموت، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه}، رواه البيهقي وحسنه الألباني.

*- وعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ:- أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشِرَ عَشَرَةٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ:- يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ وَأَحْزَمُ النَّاسِ؟ فَقَالَ:- {أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمُ اسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ، أُولَئِكَ هُمُ الأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الآخِرَةِ}، رواه ابن ماجه، والطبراني في الصغير وحسنه المنذري والهيثمي وقال العراقي:- إسناده جيد.

*- وجاء في الأثر:- {اعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت أبداً، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً، وفي لفظ:- واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً}، وقد رويا مرفوعين إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طرق ضعيفة، وقال القرطبي رحمه الله في كتابه التذكرة:- قال العلماء:- تذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها،

انتهى، وقال القرطبي في التذكرة أيضًا:- قال الدقاق:- من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء:- تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء:- تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة، انتهى، ولكن يتعين على العبد أن يكون معتدلًا في جميع أموره، فيجعل الموت نصب عينيه لينشط للطاعات ويكثر التوبة والإنابة إلى الله تعالى، ويبتعد عن المعاصي حتى لا يبغته الموت وهو يقارف المنكرات فيبوء بسوء الخاتمة أعاذنا الله تعالى، ولا ينبغي للعبد أن يفرط ويتجاوز حد الاعتدال فيصبح التفكير بالموت مسيطرًا على عقله وشاغلاً له عن مهامه ونشاطه وعمارته للأرض من كسب وزواج وتربية عيال وغير ذلك من شؤونه، والربط بين العمل للدنيا والاخرة يكون باتباع منهج الإسلام الصحيح الذي بينه القرآن الكريم في قوله تعالى:- {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}،{(القصص:-٧٧)، وقد جمع الأنبياء والصحابة بين الدعوة والجهاد والعبادات، وعمارة الأرض، والتكسب والزواج، فالأنبياء أفضل البشر وأتقاهم وأعرفهم بالله وأشدهم له خشية، وأعظمهم اشتغالا بالجهاد والدعوة، والعبادات، ومع ذلك لم يصدهم هذا عن الزواج وطلب الذرية الصالحة، قال الله تعالى:- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً}،(الرعد:-٣٨)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:- {...وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني}، رواه البخاري ومسلم، وقال صلى الله عليه وسلم:- {يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج....}، الحديث، رواه البخاري ومسلم، فيا نفسُ ما بالك قد تماديتِ في المنكرات، وتهاونتِ في فعل الخيرات، وتركتِ سبيل المكرمات، حتى متِّ مع من مات، دعيني والأمانيَّ، دعيني أسكب العبرات، دعيني أتذكر مآلي، وأتفكر في حالي، نعم إخوتي في الله وأحبتي في رسول الله ﷺ كم نغفل عن ذكر الموت، ونمضي في أمانٍ وسهوٍ، ونحن نجهل أيان تُقْبَضُ أرواحنا من أجسادنا، وتنزع الحياة من عروقنا، هل ضمنا الأبدية؟ أم هل أَمِنَّا الحياة الأخروية؟ ياعجباه! كان

من هو خير منا أكثر ذكرًا للموت، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يَعْنِي الْمَوْتَ، وهذه وصية منه صلى الله عليه وسلم لكم عباد الله لما يعلم من أهوال الموت، وسكرات الموت، فإن من أكثر ذكر الموت صغرت الدنيا في عينيه، وهانت في نفسه؛ ففي ذكر الموت علاج الأبدان ودواء الأنفس، وتربية الطباع، وزكاء النفوس، فمهما تواردت المشاغل، وتزاحمت الأعمال لا بد من تذكر الموت، فنبي الله إبراهيم ويعقوب يتذكران الموت وهما من هما اسمع قوله تعالى حكاية عنهما عليهما السلام:- {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، (البقرة:-١٣٢)، أي تذكروا الموت إنه آتيكم فلا يأتيكم إلا وأنتم على الإسلام، وبهذا وصى الله المتقين حيث قال:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، (آل عمران:-١٠٢)، رحم الله السلف، كانوا يتذاكرون الموت حتى كأنهم على شفير القبر، وتهزهم المواعظ، ويفزعهم ذكر الآخرة، ويوقظهم ادِّكار الموت، كانوا يستحضرون قوله تعالى:- {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}،(آل عمران:-١٨٥)، كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:- أما بعد:- فكأنَّ العباد قد عادوا إلى الله تعالى:- {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}،(النجم:-٣١)، فإنه لا معقب لحكمه ولا ينازع في أمره، ولا يقاطع في حقه الذي استحفظه عباده وأوصاهم به، وإني أوصيك بتقوى الله، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمة، وآتاك من كرامة، فإن نعمه يمدها شكره، ويقطعها كفره، أكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك، ولا مناص ولا فوت، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجلٍ، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به، ثم اقتصر عليه، وكان عمر بن عبد

العزيز يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة فيبكون كأن بين أيديهم جنازة، وقال اللفَّافُ رحمه الله:- من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاث:- تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسيه عوقب بثلاث:- تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة، فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حكم ما أعدله، فكفى بالموت مفزعًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهاذمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات؛ فإنه ما ذكره أحد في ضيق كفقر ومرض وحبس ومصائب الأنفس والأولاد والأموال والأقارب إلا وسعه وصيره واسعًا، إما لأنه يذكر بأن النعم ليست ملكًا له، بل فانية ليس لها دوام، وإما للأجر فيما بعد الموت بالصبر، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه؛ لعلمه بمفارقتها ومحاسبته أو مناقشته ولإشعاره أن ما في يده مستعارًا له والملك لغيره، ونفسه عبد خادم له، قال الغزالي:- الموت خطر هائل وخطب عظيم وغفلة الناس عنه أعظم لقلة فكرهم فيه، ومن ذكره لا يذكره على حرية بقلب فارغ بل بشغل الشهوات، أيها المؤمنون:- يصور لنا الله الموتَ وموقفنا ونحن نعاينه بقوله:- {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}،(الأنعام:-٦١، ولله در القائل:-

الموت باب وكل الناس داخله ياليت شعري بعد الموت ما الدارُ

انظروا كم مات فينا من شاب فتيٍّ، وكم من غني منعم تحت التراب دفناه، وكم ذي عشيرة ومنصب نعيناه، وكم عزيز علينا وارياه، وكم من متجبرٍ خطفت روحه خطفًا، وكم من حبيب نزعت أنفاسه من بيننا، لم ندفع عنه قيد أنملة، ولم يُغْنِ عن الظالم ظلمه، ولم يُغْنِ الزعيم أعوانه، اخترمته المنية، واستلبت روحه، ولله در القائل:-

جاءته من قِبَلِ المنون إشـــــارةٌ فهوى صريعاً لليدينِ و للفـــــمِ

ورمى بمحكمِ درعِهِ وبرمحِـــــــهِ وامتد ملقىً كالفتيق الأعظـــمِ

لا يستجيبُ لصارخٍ إنْ يدعُـــــهُ أبدًا ولا يُرْجى لخطبٍ معظـــمِ

ذهبتْ بسالته ومرَّ غرامُـــــــــهُ لمَّا رأى حبل المنيةِ يرتمـــــي

يا ويحَهُ من فارسٍ ما بالـــــــهُ ذهبتْ مروته ولمَّا يُكْلَـــــــــمِ

هذي يداهُ وهذه أعضـــــــــاؤهُ ما منه من عضوٍ غدًا بمثلـــمِ

هيهاتَ ما حبلُ الردى محتاجـــة للمشرفي ولا اللسانِ اللهـــــذمِ

هي ويحكم أمرُ الإله وحكمُـــــهُ والله يقضي بالقضاءِ المحكَـــمِ

يا حسرتا لو كان يقدرُ قدرَهـــــا ومصيبة عظمت ولمَّا تعظـــمِ

خبرٌ علمنا كلنا بمكانـــــــــــهِ وكأننا في حالنا لم نعلـــــــمِ

فلا تتهاون أخي في هذا الشأن، واذكر ما من أحد حولك إلا وقد أصيب بمصيبة الموت، ولم يكن له محيد ولا مفر، ولله در القائل:-

ولا تقل الصبا فيه امتهـــــــالٌ وفكر كم صغيرٍ قد دفنتـــــا

وصدق الله تعالى إذ يقول:- {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}،(الأنعام:-٩٣)، فهذا حالك أخي المسلم، لو تأملت لوجدت الله تعالى يخبرك بحياتك، وأنك بينما أنت في قوة وبأس شديد وصلابة بدن، {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ}،(المؤمنون:-١٥)، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول أيضًا:- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ

عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ، إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}،(لقمان:-٣٣-٣٤).

*- عباد الله:- أكثروا من ذكر هاذم اللذات، والله ما يدري أحدنا أمتمٌ أنفاسه هذه أم سوف تنزع روحه من بين جنبيه في هذه اللحظات، وانظروا إلى حال السلف رحمهم الله كيف كانوا يكثرون من ذكر الموت ويجعلونه نصب أعينهم ليل نهار، جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ:- "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا:- لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ:- مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ:- مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ:- أَسَرَّ إِلَيَّ:- «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي»، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ:- «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ"، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ:- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ:- مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ؟ فَقَالَ:- «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

*- وعن يحيى بن أبي كثير، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان يقول في خطبته:- "أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها

بالحيطان، أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع أركانهم، حين أضنى بهم الدهر، وأصبحوا في ظلمات القبور، الوحا الوحا –أي: البدار البدار–، ثم النجا النجا".

*– وعن يوسف بن أسباط:– كان سفيان الثوري إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم، وقال أبو نعيم:– كان سفيان الثوري إذا ذكر الموت لم يُنتفع به أيامًا، وها هو البَكَّاءُ ابن البَكَّاءِ علي بن الفضيل بن عياض كان إذا ذكر الموت أو شيئًا من أمور الآخرة بكى وخر صريعًا، قال أبو بكر بن عياش:– صليت خلف فضيل بن عياض المغرب، وابنه علي إلى جانبي، فقرأ:– {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}،(التكاثر:–١)، فلما قال:– {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}،(التكاثر:–٦)، سقط عليٌ على وجهه مغشيًا عليه، وبقي فضيل عند الآية، فقلت في نفسي:– ويحكِ أما عندكِ من الخوف ما عند الفضيلِ وعلي!، فلم أزل أنتظر عليًّا، فما أفاق إلى ثلث من الليل بقي، وفي رواية:– وبقي فضيل لا يجاوز الآية، ثم صلى بنا صلاة خائف، وقال:– فما أفاق إلى نصف من الليل، عباد الله، إن الموت آتٍ لا محالة وما منا إلا وله يوم موعود، فلنكثر من ذكر الموت، ولنستعد لذلك اليوم الشديد، وليكن دأبنا ذكر الموت، فإن ذلك سيورث في نفوسنا مراقبة الله، ومحاسبة النفس، ومراقبة العمل أولًا بأول، فلا يكاد يوجد قول ولا عمل إلا بعد تفكر طويل حياء من الله، وخوفًا من الموت وترقبًا للأجل، وإن ترقب الموت وتذكره سيورث الطمأنينة في القلب، والتسليم المطلق لله تعالى فلا يحزننا بعد ذلك شيء، ولا يطيش بنا فرح على شيء وهذا رأس الحلم وجذر التقى، اللهم اجعلنا ممن يبادر الفوت ويراقب الموت، ويتأهب للرحلة قبل الممات وينتفع بما سمع من العظات بِمَنِّكَ وكرمك.

*– وهذه قصة لشاب تائب من أروع القصص التي ترقق القلب وتدمع العين، يقول هذا التائب الذي أدب نفسه ورباها بالنوم في القبر حقيقة ليردعها ويقمعها حتى تذعن طوعًا لأوامر الله عزَّ

وجلَّ يقول:- لو رآني أحد وأنا اتسلق سور المقبرة في هذه الساعة من الليل، سيقول بالتأكيد أنه مجنون، أو أنه لديه مصيبة، والحق أن لديَّ مصيبة، كانت البداية عندما قرأت عن سيدنا سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه كان لديه قبر في منزله يرقد فيه، وإذا ما رقد فيه نادى بأعلى صوته:- {رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ}، ثم يقوم منتفضًا ويقول:- ها أنت قد رجعت فماذا أنت فاعل؟، ثم حدث أن فاتتني صلاة الفجر، وهي من الصلوات التي كنت محافظًا عليها، لأن صلاة الفجر من أثقل الصلوات على المنافقين، ومن كان محافظًا عليها ثم فاتته فسيشعر بضيق شديد طوال اليوم، وقد تكرر معي نفس الأمر في اليوم الثاني، فقلت لا بد أن في الأمر شيئًا ما، ثم تكررت للمرة الثالثة على التوالي، فقلت لا بد من وقفةٍ صادقةٍ صارمةٍ وحازمةٍ مع النفس لتأديبها، حتى لا تركن لمثل هذه الأمور فتروح بي إلي النار، فقررت أن أدخل القبر حتى أؤدبها، ولا بد أن ترتدع وتعلم أن هذا هو مسكنها ومنزلها إلى ما شاء الله عزَّ وجلَّ، وكل يوم أقول لنفسي دع هذا الأمر إلى غد، وجلستُ أُسَوِّفُ في هذا الأمر إلى أن فاتتني صلاة الفجر مرة أخرى، حينها قلت كفى.. كفى والله كفى، وأقسمت أن يكون هذا الأمر هذه الليلة، ذهبت بعد منتصف الليل حتى لا يراني أحد، وتفكرت هل أدخل من الباب؟ حينها سأوقظ حارس المقبرة!! أو لعله غير موجود، أم أتسور السور؟ وإن أيقظته لعله يقول لي تعال في الغد، أو حتى قد يمنعني فيضيع القسم علي، فقررت أن أتسور السور، رفعت ثوبي، وتلثمت بشماغي واستعنت بالله عزَّ وجلَّ، وصعدت وبالرغم من أنني دخلت هذه المقبرة كثيرًا كَمُشَيِّعٍ إلا أنني أحسستُ وكأني أول مرةٍ أراها، ورغم أنها كانت ليلة مقمرة، إلا أنني أكاد أقسم أنني ما رأيت أشد منها سوادًا تلك الليلة، لقد كانت مظلمة حالكة، سواد رهيب، هذا هو صمت القبور بحق، تأملتها كثيرًا من أعلى السور واستنشقت هواءها، إنها بحق رائحة القبور، أميزها عن ألف رائحة، رائحة الحنوط، رائحة بطعم الموت الصافي، وجلست أتفكر للحظات مرت كالسنين، إيهٍ أيتها القبور ما

أشد صمتك، وما أشد ما تخفيه، ضحك ونعيم، وصراخ وعذاب أليم، ماذا سيقول لي أهلك لو حدثتهم؟ لعلهم يقولون قولة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:- *** الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم***، قررت أن أهبط حتى لا يراني أحد في هذه الحالة، فإما سيقول مجنون، وإما سيقول أن لديه مصيبة، وأي مصيبة بعد ضياع صلاة الفجر عدة مرات!!! هبطت داخل المقبرة وأحسست ساعتئذ برجفة في القلب، والتصقت بالجدار لأحتمي من ماذا، والله لا أدري، عَلَّلْتُ ذلك لنفسي بأنه من الخشية أن أمشي فوق القبور وانتهاكها، فأنا والله لست جبانًا ولكنني شعرت بالخوف حقًّا، نظرت إلى الناحية الشرقية والتي بها القبور المفتوحة والتي تنتظر ساكنيها إنها والله أشد بقع المقبرة سوادًا، وكأنها تناديني مشتاقة إليَّ، متى ستكون فيَّ، أخذت أمشي محاذرًا بين القبور وكلما تجاوزت قبرًا تساءلت!! أشقي أم سعيد؟ شقي بسبب ماذا ؟ هل ضيع الصلاة، أم كان من أهل الغناء والطرب، أم كان من أهل الزنا؟؟ لعل من تجاوزت قبره الآن كان يظن أنه أشد أهل الأرض قوة، وأن شبابه لن يفنى، وأنه لن يموت كمن مات من كان قبله، أم أنه كان يقول:- ما زال في العمر بقية، سبحان من قهر العباد بالموت، أبصرت الممر حتى إذا ما وصلت إليه ووضعت قدمي عليه، أسرعت نبضات قلبي، فالقبور عن يميني ويساري، وأنا أرفع نظري إلى الناحية الشرقية، ثم بدأت أولى خطواتي بدت والله كأنها دهر، أين سرعة قدميَّ، ما أثقلهما الآن!! تمنيت أن تطول المسافة ولا تنتهي أبدًا، لأنني أعلم ما ينتظرني هناك، أعلم أنني رأيت القبر كثيرًا ولكن هذه المرة مختلفة تمامًا، أفكار عجيبة، ووساوس مخيفة، أكاد أسمع همهمة خلف أذنيَّ، أسمع همهمة جلية، وكأن شخص يتنفس خلف أذنيَّ، خفت أن أنظر خلفي، خفت أن أرى أشخاصًا يلوحون إليَّ من بعيد، خيالاتٌ سوداءُ تَعْجَبُ مَنِ القادمُ في هذا الوقت!! بالتأكيد إنها وسوسة من الشيطان، لا يهمني شيء طالما أنني صليت العشاء في جماعة، أخيرًا أبصرت القبور مفتوحة، أقسم بالله تعالى للمرة الثانية أنني لم أرَ أشد منها سوادًا، كيف أتتني

الجرأة حتى أصل بخطواتي إلى هنا، بل كيف سأنزل في هذا القبر؟ وأي شيء ينتظرني في الأسفل، فكرت بالاكتفاء بالوقوف وأن أصوم ثلاثة أيام تكفيرًا لقسمي، ولكن لن أصل إلى هنا ثم أقف، يجب أن أكمل، ولكن لن أنزل إلى القبر مباشرة، بل سأجلس خارجه قليلًا حتى تأنس نفسي، ما أشد ظلمته، ما أشد ضيقه، كيف لهذه الحفرة الصغيرة أن تكون حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، سبحان الله!! سبحان الله!! يبدو أن الجو قد ازداد برودة، أم هي قشعريرة في جسدي من هذا المنظر؟ هل هذا صوت الريح؟ لا والله!! لا ريح في هذه الساعة، لا أرى ذرة غبار في الهواء، هل هي وسوسة أخرى؟ استعذت بالله من الشيطان الرجيم وأنزلت الشماغ ووضعته على الأرض ثم ضممت ركبتي أمام صدري أتأمل! أتأمل هذا المشهد العجيب!! إنه المكان الذي لا مفر منه أبدًا، سبحان الله!! نسعى لكي نحصل على كل شيء، وهذه هي النهاية لا شيء، كم تنازعنا في الدنيا، اغتبنا، تركنا الصلاة، آثرنا الغناء على القرآن، والكارثة أننا نعلم أن هذا والله هو مصيرنا، وقد حذرنا الله جلَّ جلاله منه، ورغم ذلك نعم ورغم ذلك نتجاهل، أشحت بوجهي ناحية القبور وناديتهم بصوت خافت، وكأني خفت أن يرد عليَّ أحدهم:- يا أهل القبور مالكم، أين أصواتكم؟.. أين أبناؤكم عنكم اليوم؟.. أين أموالكم؟.. أين وأين؟.. كيف بالله عليكم أخبروني عن الحساب؟.. أخبروني عن ضمة القبر؟.. أتكسر الأضلاع؟... أخبروني عن منكر ونكير؟.. أخبروني عن الدود؟.. سبحان الله!! نَسْتَاءُ إِذَا قَدَّمَ لنا أهلنا طعامًا باردًا، أو لا يوافق شهيتنا، واليوم نحن الطعام... طعام لماذا!! طعام للدود، ولا بد من النزول إلى القبر، قمت وتوكلت على الله، ونزلت برجلي اليمين، وافترشت شماغي ووضعت رأسي وأنا أفكر ماذا لو انهال علي التراب فجأة؟ ماذا لو ضمَّ القبر على مرة واحدة، نمت على ظهري، وأغمضت عينيَّ حتى تهدأ ضربات قلبي، حتى تخف هذه الرجفة التي في الجسد، ما أشده من موقف وأنا حيٌّ، فكيف سيكون عند الموت؟ فكرت أن أنظر إلى اللحد وهو بجانبي،

والله لا أعلم شيئًا أشد منه ظلمة، يا للعجب!! رغم أنه مسدود من الداخل إلا أنني أشعر بتيار من الهواء البارد يأتي منه، فهل هو هواء بارد حقيقة؟ أم أنها برودة الخوف!! خفت أن أنظر إليه فأرى عينان تلمعان في الظلام وتنظران إليَّ بقسوة، أو أرى وجهًا شاحبًا لرجل تكسوه علامات الموت ينظر إلى الأعلى متجاهلني تمامًا، حينها قررت ألا أنظر إلى اللحد أبدًا، ليس بي من الشجاعة أن أخاطر لأرى أيًّا من هذه المناظر رغم علمي أن اللحد خاليًا، ولكن تكفي هذه المخاوف حتى أمتنع من النظر إليه، تذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتضر ***لا إله إلا الله، إن للموت سكرات***، تخيلت جسدي عند نزول القبر يرتجف بقوة، وأنا أرفع يدي محاولًا إرجاع روحي، وتخيلت صراخ أهلي من حولي، أين الطبيب؟ أين الطبيب؟؟ وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)}،(الواقعة:-٨٣-٨٧)، تخيلت الأصحاب يحملونني ويقولون:-*** لا إله إلا الله*** تخيلتهم يمشون بي سريعًا إلى القبر، وتخيلت أحب أصدقائي إليَّ وهو يسارع لأن يكون أول من ينزل القبر، تخيلته يضع يديه تحت رأسي، ويطالبهم بالرفق حتى لا أقع، يصرخ فيهم جهزوا الطوب، تخيلت أخي أحمد يجري ممسكًا إبريقًا من الماء يناولهم إياه، بعدما حثوا عليَّ التراب، تخيلت الكل يرش الما ء على قبري، تخيلت شيخنا يصيح فيهم:- ادعوا لأخيكم فإنه الآن يسأل، ادعوا لأخيكم فإنه الآن يسأل، ثم رحلوا وتركوني وحيدًا فريدًا، وتذكرت قول الحق تبارك وتعالى:-{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُم}،(الأنعام:-٩٤)، صدق الله العظيم، نعم والله تركت زوجتي، فارقت أبنائي، تخليت عن مالي أو هو تخلى عني، تَخَيَّلْتُ ملائكة العذاب حين رأوا النعش قادمًا ظهروا بأصوات مفزعة وأشكال مخيفة، ينادي بعضهم بعضًا، أهو العبد العاصي، فيقول الآخر:- نعم فيقال:- أمشيعُ

متروكٍ، أَمْ محمولٌ ليس له مفرٌّ؟ فيجيبه الآخر بل محمول لدينا ليس له مفر، فينادي:- هلموا إليه حتى يعلم أن الله عزيز ذو انتقام، رأيتهم يمسكون بكتفي ويهزونني بعنف قائلين:- ما غرك بربك الكريم!! ما غرك بربك الكريم!! حتى تنام عن الفريضة؟ ما الذي خدعك حتى عصيت الواحد القهار؟ أهي الدنيا؟ أما كنت تعلم أنها دار فناء!! أنها دار زوال!! وها هي قد زالت!! وقد فنيت، أم هي الشهوات، أما تعلم أنها إلى زوال، وقد زالت، أم هو الشيطان، أما علمت أنه لك عدو مبين، أمثلك يعصي الجبار؟ الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، لا نجاة لك منا اليوم، اِصْرُخْ لا مجيب لصراخك، فجلست أَصْرُخُ:- {رب ارجعون.. رب ارجعون}، وكأني بصوت يهز القبر والفضاء، يملئني يأسًا***كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون***، فبكيت ما شاء الله أن أبكي، ثم قلت:- الحمد لله رب العالمين، ما زال هناك وقت للتوبة، أستغفر الله العظيم، وأتوب إليه، ثم قمت مكسورًا، وقد عرفت قدري وبان لي ضعفي، وأخذت شماغي وأزلت عنه ما بقي من تراب القبر، وعدت وأنا أردد قول جبريل عليه السلام للحبيب عليه الصلاة والسلام:-{عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به}، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*- وإيـــــاك والغيبـــــة والنميمـــــة:-

إن مرض الغيبة والنميمة من أخطر أمراض القلوب، وأشدها فتكًا بالمجتمع الإسلامي، فهي والله سبب للقطيعة والبغض والتناحر والتحاسد والتدابر، وللكراهية والتقاطع، لهذا حذر الشارع الكريم جلَّت قدرته، وعلت كلمت، وتقدست أسماؤه منها غاية التحذير، وحذر منها نبي الرحمة ﷺ حتى قال في الحديث الصحيح الذي يرويه الصحابيان الجليلان جابر وأبو سعيد الخدريّ قالا:- قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم:- (إيّاكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشدُّ من الزنا، إنَّ الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يُغفرُ له حتى يَغفر له صاحبُهُ)، وعن أنس رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- (مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت:- يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال:- هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم)، وعنه قال:- خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذكر الربا وعظّم شأنه فقال:- إنّ الدرهم يصيبُه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإنّ أربى الربا عرض الرجل المسلم}، وأوحى الله عزَّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام:- أنَّ المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنّة، وإن لم يتب فهو أوَّل من يدخل النار، وقد وضح لنا النبي ﷺ معنى الغيبة لما سأل أصحابه، هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا:- الله و رسوله أعلم، فقال:- ذكرك أخاك بما يكره قيل:- أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال:- إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه مل تقول فقد بهَّته،(رواه مسلم)، قال الامام النووي-رحمه الله:- الغيبة ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خَلفه أو خُلقه أو ثوبه أو حركته، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز، وقال – رحمه الله:- كل ما افهمت به

غيرك نقصان مسلم فهو غيبه محرمة، وقد قال تعالى محرمًا لذلك:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}،(الحجرات:-١٢)، فإياك أن تغتاب شخصاً أي أن تذكر عيوبَه ومساوئه في غيابه، والعياذ بالله، وعليه فإن الغيبة لها أنواع:- كالاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتندر بالناس في المجالس العامة والخاصة، ومحاكاتهم في مشيتهم، وتقليدهم في تصرفاتهم، كل ذلك لا ينبغي لأنه من الغيبة، ولهذا قال الله تعالى: { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ }،(النساء:-١٤٠)، فهذا حكم صارم وصريح على الذين يتعدون على الناس ويسخرون بهم ويتهكمون به إذا رضي به أحد واستحسن فعلهم فإنه مثلهم، أما موضوع النميمة فالنميمة من نمَّ ينم نمًّا أي:- أطلق الوشاية، أطلق القول المهجور، والنميمة إشاعة الحديث، أي رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، والنَّمَّامُ يقال له:- القَتَّاتُ كذلك وهو من يتعاطى هذه الأمور، وينقل من الناس أحاديثهم لبعضهم على وجه الإفساد، وهو نقل الكلام من شخص أو من فئة إلى أخرى، أو من شخص إلى آخر على وجه الإفساد، هذه هي النميمة، والنمام يفسد في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة، يعني يمضي سنة كاملة في محاولة الإفساد ومع ذلك يغلبه النمام بأنه يفسد في ساعة أكثر من ذلك، وهي محرمة بإجماع المسلمين كما حرمت الغيبة بإجماع الكتاب والسنة وبالإجماع، تظاهرت الأدلة على القول بتحريم الغيبة والنميمة وهما مرضان خطيران لا يكاد مجتمع يسلم منهما، وأشرف المجتمعات وأحسنها مجتمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وقد وُجدت النميمة في مجتمعهم، ووجدت الغيبة، فوجد من النميمة ومن الغيبة ما لا تُحمد عقباه حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي أهل بيته، وحتى قال فوق منبره:- «من يعذرني من رجل بلغني أذاه حتى في أهل بيتي» فالتطاول

على الناس بالنميمة أو الغيبة كل ذلك محرم، والنميمة هي نقل الكلام على وجه الإفساد، فإذا كان نقله على وجه الإصلاح بأن أراد إصلاحًا بين متخاصمين أو أراد أن يذهب ويزيل من النفوس ما علق بها من حقدٍ أو حُبِّ تَشَفٍّ أو غير ذلك فهذا لا بأس به لأنه ليس بنميمة ولا بغيبة، ولذلك حكمها حرام بنص الكتاب وبالإجماع وبنص الكتاب وبالسنة وبالإجماع، أما بالكتاب فبقول الله تعالى:- { وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ }،(القلم:-١٠-١٢)، وأما بالسنة فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بقبرين فقال:- «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير» بلى إنه لكبير «أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر:- «ألا أنبئكم ما العضة؟» قالوا:- بلى يا رسول الله، قال:- «العضة النميمة تقال بين الناس» فهذه بعض أدلة تحريم النميمة وهي محرمة كما حرمت الغيبة؛ لأن أعراض الناس مكرمة محرمة، ولا ينبغي لأحد التطاول عليها، وكذلك النميمة مما يدل على شناعتها أنها تزرع في النفوس بغض النمام، لأن الناس ما اعتادوا منه إلا على خبث، ولأنه لا ينقل بينهم إلا أحاديث غير سليمة وغير مستقيمة، ولذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في اللسان:- «إن الأعضاء تكلم اللسان وتقول:- إنما نحن بك إذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»، ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من آفات اللسان عموماً:- فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:- (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)، قال ابن حجر:- الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فالمعنى:- من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه، وقال الداودي:- المراد بما بين اللحيين:- الفم، قال:- فيتناول الأقوال والأكل والشرب وسائر ما يتأتى بالفم من الفعل، قال ابن بطال:- دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وُقِيَ شَرُّهُمَا وُقِيَ أعظمَ الشرِّ، وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال:- (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق)، وفي رواية له:- (يهوي بها في نار جهنم)، قال ابن حجر:- (بالكلمة):- أي الكلام، (ما يتبين فيها) أي لا يتطلب معناها، أي لا يثبتها بفكره ولا يتأملها حتى يتثبت فيها، وقال بعض الشراح:- المعنى أنه لا يبينها بعبارة واضحة، وفي الكلمة التي يزلُّ بها العبد قال ابن عبد البر:- هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطال:- بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سبباً لهلاكه، ونقل عن ابن وهب أنها التلفظ بالسوء والفحش، وقال القاضي عياض:- يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنا والرفث، وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو مجون أو استخفاف بحق النبوة، قال النووي:- في هذا الحديث حثٌّ على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت مصلحة تكلم، وإلا أمسك، وفي حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:- (ألا أخبرك بملاك ذلك كله، قلت:- بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه، وقال:- كُفَّ عليك هذا، فقلت:- يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال:- ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)، وفي حديث الترمذي أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال:- (الفم والفرج)، قال المباركفوري:- (ملاك ذلك كله):- الملاك ما به إحكام الشيء وتقويته، أي ما تقوم به تلك العبادات جميعها، (كُفَّ عليك هذا):- لا تكلم بما لا يعنيك، فإن من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، (ثكلتك) هو دعاء عليه بالموت على ظاهره، ولا يراد وقوعه، بل هو تأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر، (يكب الناس) أي يلقيهم ويسقطهم ويصرعهم (على وجوههم أو على مناخرهم) شك من الراوي، (إلا حصائد ألسنتهم) لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم من الكفر والقذف والشتم والغيبة والنميمة والبهتان، قال ابن رجب:- هذا يدل على أن كَفَّ اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك

لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه، وقال صلى الله عليه وسلم:- (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول:- اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا)، قال ابن القيم:- قولها:- (إنما نحن بك) أي نجاتنا بك، وهلاكنا بك، ولهذا قالت:- (فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا)، قال الغزالي مبينًا معنى الحديث:- إنَّ نُطْقَ اللسانِ يؤثرُ في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان، فاللسان أشد الأعضاء جماحاً وطغيانًا، وأكثرها فساداً وعدواناً، قال ابن حبان:- اللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء، وإذا فسد كذلك، وهناك فرق بين الغيبة والبهتان والإفك:- فقد بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم الفرق بين الغيبة والبهتان، ففي الحديث "قيل:- أرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال:- (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)، وفي حديث عبد الله بن عمرو أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فقالوا:- لا يأكل حتى يُطعم، ولا يَرحل حتى يُرحل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:- (اغتبتموه) فقالوا:- يا رسول الله:- إنما حدثنا بما فيه قال:- (حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه)، والبهتان إنما يكون في الباطل كما قال الله:- {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}،(الأحزاب:-٥٨)، والبهت قد يكون غيبة، وقد يكون حضوراً، قال النووي:- "وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجه"، قال الحسن:- الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله:- الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه، وبناء على ما سبق فإننا سنبين حكم الغيبة والنميمة، وأدلة تحريمهما في القرآن والسنة، وأقوال السلف في ذلك:- الغيبة والنميمة حرام بإجماع أهل العلم كما نقل ذلك النووي، واختلف العلماء في عدهما من الكبائر أو الصغائر، وقد نقل القرطبي الاتفاق على كونهما من الكبائر لما جاء فيهما من الوعيد الشديد في القرآن والسُّنَّةِ ولم يعتدَّ رحمه الله بخلاف بعض أهل العلم

ممن قال بأنهما من الصغائر، والقول بأنهما من الكبائر هو قول جماهير أهل العلم ''صاحب كتاب العدة'' والخلاف في ذلك منقول عن الغزالي، وقد فصل ابن حجر محاولاً الجمع بين الرأيين فقال:- فمن اغتاب وليّاً لله أو عالماً ليس كمن اغتاب مجهول الحالة مثلاً، وقد قالوا:- ضابطها ذكر الشخص بما يكره، وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه، وقد يشتد تأذيه بذلك.

***- وإليكم أدلة تحريم الغيبة والنميمة من القرآن الكريم:-**

أ- قال تعالى: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}،(الحجرات:-١٢)، قال ابن عباس:- حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة، قال القاضي أبو يعلى عن تمثيل الغيبة بأكل الميت:- وهذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم المسلم محظور، ولأن النفوس تعافه من طريق الطبع، فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلته في الكراهة، وقوله (فكرهتموه) قال الفراء:- أي فقد بغِّض إليكم، وقال الزجاج:- والمعنى كما تكرهون أكل لحم ميتاً، فكذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائباً.

ب- قال تعالى:- {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }،(الحجرات:-١١)، قال ابن عباس في تفسير اللمز:- لا يطعن بعضكم على بعض، ونقل مثله عن مجاهد وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان، قال ابن كثير {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ}:- أي لا تلمزوا الناس والهماز واللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال الله:- {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}،(الهمزة:-١)، فالهمز بالفعل، واللمز بالقول، قال الشنقيطي:- الهمز يكون بالفعل كالغمز بالعين احتقاراً أو ازدراءً، واللمز باللسان، وتدخل فيه الغيبة.

ج- قوله تعالى:- {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}،(الهمزة:-١)، وقد تقدم معنى الهمز واللمز وأن كليهما من الغيبة، وقال قتادة في تفسيرها:- يأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال الزجاج:- الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ الذي يغتاب الناس ويبغضهم، وأما قوله {ويل} فقد ذكر له المفسرون معنيان:-

١- أنها كلمةُ زجرٍ ووعيدٍ بمعنى:- الخزي والعذاب والهلكة.

٢- أنها وادٍ في جهنم.

والآية نزلت في المشركين لكنها كما قال المفسرون عامة، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال السعدي:- وهذه الآيات إن كانت نزلت في بعض المشركين فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم .

د- { وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ* هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ}،(القلم:-١٠-١١)، قال الشوكاني:- الهماز:- المغتاب للناس، قال شيخ الإسلام في تفسيرها:- {فَلَا تُطِعِ المُكَذِّبِيْنَ} الآيات، فتضمن أصلين:-

أحدهما:- أنه نهاه عن طاعة هذين الضربين فكان فيه فوائد.

منها:- أن النهي عن طاعة المرء نهي عن التشبه به بالأولى، فلا يطاع المكذب والحلاف، ولا يعمل بمثل عملهما، فإن النهي عن قبول قول من يأمر بالخلق بالناقص أبلغ في الزجر من النهي عن التخلق به، إلى آخر كلامه رحمه الله.

***- أدلـــة تحريـــم الغيبـــة والنميمـــة مـــن السُّنَّـــةِ:-**

أ- قال صلى الله عليه وسلم:- (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)، قال ابن المنذر:- قد حرم النبي الغيبة مودعاً بذلك أمته، وقرن

تحريمها إلى تحريم الدماء والأموال ثم زاد تحريم ذلك تأكيداً بإعلامه بأن تحريم ذلك كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام، قال النووي في شرحه على مسلم:- المراد بذلك كله بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك.

ب- وعن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:- (من أربى الربى الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)، وفي رواية لأبي داود:- (إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق)، قال أبو الطيب العظيم أبادي في شرحه لأبي داود:- (الاستطالة) أي إطالة اللسان، (في عرض المسلم) أي احتقاره والترفع عليه والوقيعة فيه، (بغير حق) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال.

ج- وعن عائشة رضي الله عنها قالت:- قلت للنبي صلى الله عليه وسلم:- حسبك من صفية أنها قصيرة ، فقال:- (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)، (لو مزج) أي لو خلط بها أي على فرض تجسيدها وكونها مائعاً، (لمزجته) أي غلبته وغيرته وأفسدته، قال المباركفوري:- المعنى أن الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرته وغزارته فكيف بأعمال نزرة خلطت بها.

د- ولما رجم الصحابة ماعزاً رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه:- ألم ترَ إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلب.

فسار النبي صلى الله عليه وسلم ثم مر بجيفة حمار فقال:- أين فلان وفلان؟ انزلا، فكلا من جيفة هذا الحمار.

فقالا:- يا نبي الله من يأكل هذا؟ قال:- ما نلتماه من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه).

قال أبو الطيب في شرحه لأبي داود:- ((فلما نلتما من عرض أخيكما)) قال في القاموس:- نال من عرضه سبه، (أشد من أكل منه) أي من الحمار.

*- من أقوال السلف في ذم الغيبة والنميمة:-

*- كان سيدنا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وأرضاه يسير مع أصحابه فمر على بغل ميت قد انتفخ، فقال:- والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير من أن يأكل لحم مسلم.

*- وعن عدي بن حاتم:- الغيبة مرعى اللئام، وعن كعب الأحبار:- الغيبة تحبط العمل، ويقول الحسن البصري:- والله للغيبة أسرع في دين المسلم من الأكلة في جسد ابن آدم.

*- وقال سفيان بن عيينة:- الغيبة أشد من الدَّيْنِ، الدَّيْنُ يقضى، والغيبة لا تقضى)، وقال سفيان الثوري:- إياك والغيبة، إياك والوقوع في الناس فيهلك دينك.

*- وسمع علي بن الحسين رجلاً يغتاب فقال:- إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس، وقال أبو عاصم النبيل:- لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.

***- بواعث الغيبة والنميمة، وكيفية التخلص منها:-**

***- أولًا بواعــث الغيبـــة والنميمـــة:-**

١- ضعف الورع والإيمان يجعل المرء يستطيل في أعراض الناس من غير روية ولا تَفَرٍّ جاء في حديث عائشة في قصة الإفك قولها عن زينب بنت جحش أنها قالت:- يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، تقول عائشةً:- (وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله فعصمها الله بالورع)، قال الفضل بن عياض:- أشد الورع في اللسان، وروى مثله عن ابن

المبارك، قال الفقيه السمرقندي:- الورع الخالص أن يكف بصره عن الحرام ويكف لسانه عن الكذب والغيبة، ويكف جميع أعضائه وجوارحه عن الحرام.

٢- موافقة الأقران والجلساء ومجاملتهم قال الله على لسان أهل النار:- { وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}،(المدثر:-٤٥)، قال قتادة في تفسير الآية:- كلما غوى غاوٍ غوينا معه، وفي الحديث:- (ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)، وقال تعالى:- { فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾}،(الطور:-١١-١٢)، قال ابن كثير:- أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل.

٣- الحنق على المسلمين وحسدهم والغيظ منهم:- قال ابن تيمية:- ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين:- الغيبة والحسد، وإذا أُثْنِيَ على شخصٍ أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح أو في قالب حسد وفجور وقدح ليسقط ذلك عنه، قال ابن عبد البر:- والله لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم، وهذا كله بحمل الجهل والحسد.

٤- حب الدنيا والحرص على السود فيها:- قال الفضيل بن عياض:- ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغي وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير.

٥- الهزل والمزاح:- قال ابن عبد البر:- "وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ومن التوصل إلى الأعراض.

***- كيفيـــة التخلـــص مـــن الغيبـــة:-**

١- تقوى الله عز وجل والاستحياء منه:-

ويحصل هذا بسماع وقراءة آيات الوعيد والوعد وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث تحذر من الغيبة ومن كل معصية وشر، ومن ذلك:- { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}،(الزخرف:-٨٠)، وقد قال صلى الله عليه وسلم:- (استحيوا من الله عز وجل حق الحياء، قلنا:- يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله قال:- ليس ذاك، ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى).

٢- تذكر مقدار الخسارة التي يخسرها المسلم من حسناته ويهديها لمن اغتابهم من أعدائه وسواهم، قال صلى الله عليه وسلم:- (أتدرون من المفلس؟ قالوا:- المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال:- المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)، روي أن الحسن قيل له:- إن فلاناً اغتابك، فبعث إليه الحسن رطباً على طبق وقال:- بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

٣- أن يتذكر عيوبه وينشغل بها عن عيوب الناس، وأن يحذر من أن يبتليه الله بما يعيب به إخوانه، قال أنس بن مالك:- "أدركت بهذه البلدة – المدينة – أقواماً لم يكن لهم عيوب، فعابوا الناس، فصارت لهم عيوب، وأدركت بهذه البلدة أقواماً كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم"، قال الحسن البصري:- كنا نتحدثُ أنَّ مَنْ عَيَّرَ أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله عزَّ وجلَّ به، قال أبو هريرة:- يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه.

٤- مجالسة الصالحين ومفارقة مجالس البطالين:- قال صلى الله عليه وسلم:- (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة)، قال النووي في فوائد الحديث:- فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة.

٥- قراءة سير الصالحين والنظر في سلوكهم وكيفية مجاهدتهم لأنفسهم:- قال أبو عاصم النبيل:- ما اغتبت مسلماً منذ علمت أن الله حرم الغيبة، قال الفضيل بن عياض:- كان بعض أصحابنا نحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة، أي لقِلّته، وقال محمد بن المنكدر:- كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

٦- أن يعاقب نفسه ويشارطها حتى تقلع عن الغيبة:- قال حرملة:- سمعت رسول ابن وهب يقول:- نذرت أني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنساناً أني أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة، قال الذهبي:- هكذا والله كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع.

***- جـــــــــزاء الغيبـــــــــــــــة:-**

١- الفضيحة في الدنيا:- عن ابن عِرٍّ قال:- صعد رسول الله المنبر فنادى بصوت رفيع فقال:- (يا معشر من آمن بلسانه ولم يَفْضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)، وفي رواية للحديث في مسند أحمد:- (لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم)،

قال المباركفوري في قوله:- (ومن تتبع الله عورته) قال:- يكشف مساويه، لو كان في وسط منزله مخفياً من الناس، قال أبو الطيب:- أي يكشف عيوبه، وهذا في الآخرة، وقيل:- معناه يجازيه بسوء صنيعه، أي يكشف مساويه، ولو كان في بيته مخفياً من الناس.

٢- العذاب في القبر:- عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال:- مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال:- إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فيعذب البول، وأما الآخر فيعذب بالغيبة، قال قتادة:- عذاب القبر ثلاثة أثلاث:- ثلث من الغيبة، وآخر من النميمة، وآخر من البول، وقوله:- (ما يعذبان في كبير) قال الخطابي:- معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر عليهما أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلاه.

٣- العذاب في النار:- عن أنس قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت:- من هؤلاء يا جبريل؟ قال:- هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)، قال الطيبي:- لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين، إشعاراً بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حلة وأشوه صورة، وعن أبي هريرة قال:- قال صلى الله عليه وسلم:- (من أكل لحم أخيه في الدنيا قرِّب إليه يوم القيامة فيقال له:- كُله ميتاً كما أكلته حياً فيأكله ويكلح ويصيح).

*- **كفـــــارة الغيبـــــــــة**:- الغيبة كغيرها من الكبائر فرض الله التوبة منها:-

*- قال تعالى:- { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}،(النور:-٣١)، والتوبة النصوح هي التي تحقق شروط التوبة وهي:-

أ- الندم:- قال صلى الله عليه وسلم:- (الندم توبة)، قال أبو الجوزاء:- والذي نفس محمد بيده إن كفارة الذنب للندامة.

ب- أن يقلع عن الذنب قال ابن القيم:- "لأن التوبة مستحيلة مع مباشرة الذنب" .

ج- العزم على أن لا يعود إليها:- فعن النعمان بن بشير قال:- سمعت عمر يقول:- {تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا}،(التحريم:- ٨)، قال:- هو الرجل يعمل الذنب ثم يتوب ولا يريد أن يعمل به ولا يعود، وهذه الشروط مطلوبة في سائر المعاصي ومنها التوبة.

*- **شـــرط الاستحـــلال مـــن الغيبـــة:**- وأضاف جمهور الفقهاء شرطاً وهو أن يستحل من اغتابه، واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم:- (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه)، قال البغوي:- قوله (فليتحلله) أي ليسأله أن يجعله في حِلٍّ من قبله، يقال:- تحلله واستحللته إذا سألته أن يجعلك في حِلٍّ، ومعناه:- أن يقطع دعواه ويترك مظلمته، فإن ما حرمه الله من الغيبة لا يمكن تحليله، قال سفيان بن عيينة:- الغيبة أشد عند الله عزَّ وجلَّ من الزنا وشرب الخمر، لأن الزنا وشرب الخمر ذنب فيما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ، فإن تبت عنه تاب الله عليك، والغيبة لا يغفر لك حتى يغفر لك صاحبك، ورأى بعض الفقهاء ومنهم ابن تيمية وابن القيم وابن الصلاح وابن مفلح إسقاط شرط الاستحلال إذا أدى إلى أذية صاحب الحق وزيادة الجفوة بينهما، قال ابن مفلح:- "وهذا أحسن من إعلامه (أي الدعاء له) فإن في إعلامه زيادة إيذاء له، فإن تضرر الإنسان بما علمه من شتمه أبلغ بما لا يعلم، ثم قد يكون ذلك سبب العدوان على الظالم، وفيه مفسدة ثالثة، وهي زوال ما بينهما من كمال الألفة والمحبة، وهذا الرأي مروي عن السلف، قال حذيفة:- كفارة

من اغتبته أن تستغفر له، قال مجاهد:- كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعوا له، قال ابن المبارك:- التوبة في الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، وقال أيضاً:- إذا اغتاب رجل رجلاً فلا يخبره، ولكن يستغفر الله .

*- **ذَبُّ الغيبـــــــــــة**:- أوجب العلماء على المسلم عدم سماع الغيبة، إذ سماعها كفعل قائله في الوزر، قال تعالى:- { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}،(النساء:-١٤٠)، قال الطبري:- في هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، قال القرطبي:- فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية، ودفع الغيبة حين حضورها من أعظم الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم:- (من ذب عن لحم أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار)، وفي رواية:- (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)، قال ابن مسعود:- من اغتيب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيراً في الدنيا والآخرة، وما التقم أحد لقمة شراً من اغتياب مؤمن، قال المناوي:- ذلك لأن عرض المؤمن كدمه، فمن هتك عرضه فكأنه سفك دمه، ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن استحق دخولها، وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الجنة، وقد ذب النبي صلى الله عليه وسلم عن عرض من اغتيب عنده، ففي حديث طويل من رواية عتبان بن مالك رضي الله عنه، وفيه قال قائل منهم:- أين مالك بن الدُّخشن؟ فقال بعضهم:- ذاك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (لا تقل له ذاك، ألا تراه قد قال:- لا إله إلا

الله يريد بذلك وجه الله؟ قالوا:- الله ورسوله أعلم)، قال عمر:- ما يمنعكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس لا تغيّروا عليه؟ قالوا:- نتقي لسانه، قال:- ذاك أدنى أن تكونوا شهداء.

*- **حـــالات تجـــــوز فيهـــا الغيبـــــة**:- ذكر العلماء بعض الحالات التي تجوز فيها الغيبة لما في ذلك من مصلحة راجحة، ومن هذه الحالات:-

١- التظلم إلى القاضي أو السلطان أو من يقدر على رد الظلم، قال تعالى:- { لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا}،(النساء:-١٤٨)، قال الشوكاني:- استثناء أفاد جواز ذكر المظلوم بما يبين للناس وقوع الظلم عليه من ذلك الظالم، وقال صلى الله عليه وسلم:- (ليُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته)، والليُّ هو الظلم، والواجد هو الغني القادر على السداد، قال سفيان:- يحل عرضه:- أن يقول:- ظلمني حقي، قال وكيع:- عرضه:- شكايته، وعقوبته:- حسبه.

٢- الاستفتاء:- فيجوز للمستفتي فيما لا طريق للخلاص منه أن يذكر أخاه بما هو له غيبة، ومثل له النووي بأن يقول للمفتي:- ظلمني أبي أو أخي أو فلان فهل له ذلك أم لا، جاءت هند بنت عتبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت:- يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:- (خذي ما يفكيك وولدك بالمعروف)، قال البغوي:- هذا حديث يشتمل على فوائد وأنواع من الفقه، منها جواز ذكر الرجل ببعض ما فيه من العيوب إذا دعت الحاجة إليه لأن النبي لم ينكر قولها:- إن أبا سفيان رجل شحيح.

٣- الاستعانة على تغيير المنكر:- فقد يرى المسلم المنكر فلا يقدر على تغييره إلا بمعونة غيره، فيجوز حينذاك أن يطلع الآخر ليتوصلا على إنكار المنكر، قال الشوكاني:- "وجواز

الغيبة في هذا المقام هو بأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التي لا يقوم بجنبها دليل، لا صحيح ولا عليل.

٤- التحذير من الشر ونصيحة المسلمين:-جاءت فاطمة بنت قيس إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستشيره في أمر خطبتها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم وأسامة بن زيد فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:- (أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو الجهم فضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد)، قال ابن تيمية:- الشخص المعين يذكر ما فيه من الشر في مواضع، أن يكون على وجه النصيحة للمسلمين في دينهم ودنياهم، ويدخل في هذا الباب ما صنعه علماؤنا في جرح الرواة نصحاً للأمة وحفظاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ومسلم، قال النووي:- اعلم أن جرح الرواة جائز، بل هو واجب بالاتفاق للضرورة الداعية إليه لصيانة الشريعة المكرمة، وليس هو من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة لله تعالى ورسوله والمسلمين.

٥- المجاهر بنفسه المستعلن ببدعته:- استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:- (ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة)، قال القرطبي:- في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة، ومما يدل على اتصاف هذا الرجل بما أحل غيبته ما جاء في آخر الحديث، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم:- (أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس أو وَدَعَهُ الناسُ اتقاءَ فُحْشِهِ)، قال الحسن البصري:- ليس لصاحب البدعة ولا الفاسق المعلن بفسقه غيبة، وقال زيد بن أسلم:- إنما الغيبة لمن لم يعلن بالمعاصي، والذي يباح من غيبة الفاسق المجاهر ما جاهر به دون سواه من المعاصي التي يستتر بها، قال النووي:- كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، وينبغي أن يُصنع ذلك حسبة لله

وتعريفاً للمؤمنين لا تشهيراً وإشاعة للفاحشة أو تلذذاً بذكر الآخرين، قال ابن تيمية:- وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى، لا لهوى الشخص مع الإنسان مثل الإنسان مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية أو تحاسد أو تباغض، فهذا من عمل الشيطان و إنما الأعمال بالنيات.

*- **البعـــد عـــن مواطـــن الريبـــة:**- وينبغي على المسلم أن يبعد نفسه عن مواطن الريبة والتهمة التي تجعله موضعاً لغيبة الآخرين، وأن يكشف ما قد يلتبس على الناس، وقد سبق إلى ذلك أكمل الخلق وأعدلهم، فقد أتته زوجته صفية في معتكفه في المسجد، ولما انتصف الليل قام صلى الله عليه وسلم معها يقلبها إلى بيتها فلقيه اثنان من أصحابه، فلما رأياه يمشي معها أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:- على رِسْلِكُمَا، إنما هي صفية بنت حيي، فقالا:- سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:- (إن الشيطان يبلغ في الإنسان مبلغ الدم، وخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً)، قال ابن حجر:- فيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، قال ابن دقيق العيد:- وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

*- ولا تبــقَ فـــي هَـــمِّ رزقـــــك حائـــــــرًا:-

*- لقد ورد في الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:- {إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:- يَا ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ}، رواه الترمذي (٢٤٦٦) وحسنه ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (٢٦٢/٣)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٢٨٤/١٦) والشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٣٥٩).

*- وفي الحديث القدسي:- {يا اِبنَ آدمَ خَلَقتُكَ لِلعِبَادةَ فَلا تَلعَب، وَقسَمتُ لَكَ رِزقُكَ فَلا تَتعَب، فَإِن رَضِيتَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ أَرَحتَ قَلبَكَ وَبَدنَكَ، وكُنتَ عِندِي مَحمُوداً، وإِن لَم تَرضَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُسَلِّطَنَّ عَلَيكَ الدُنيَا تَركُضُ فِيهَا رَكضَ الوُحوش فِي البَرِيَّةَ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ لَكَ فِيهَا إلا مَا قَسَمتُهُ لَكَ، وَكُنتَ عِندِي مَذمُومَا}.

*- وذكر قريباً منه ابن كثير في التفسير، فقال:- وقد ورد في بعض الكتب الإلهية:- يقول الله تعالى:- {ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فُتُّكَ فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء}.

*- لذلك قال أحد السلف:- {إن الله تعالى ضمن لك الرزق فلا تقلق، ولم يضمن لك الجنة فلا تفتر، لأن الله تبارك وتعالى متكفل وحده بالأرزاق، واعلم أن الناجين قلة، وأن زيف الدنيا زائل،

وأن كل نعمة دون الجنة فانية، وكل بلاء دون النار عافية، فقف محاسبًا لنفسك قبل فوات الأوان}.

*- فلا تقلق فرزقك مكتوب، وإن من لوازم مقتضيات الإيمان بالقضاء والقدر في عقيدة المسلم في باب الرزق:- أن كل خير وكل رزق يقدره الله للعبد، لا يمكن أن يخطئه ويستحيل أن يصيب غيره، قال الله تعالى:- {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ}،(هود:-٦)، لقد تكفل الله برزق الخلق عندما خلقهم، فلم يتركهم سبحانه هَمَلاً، ولم يتركهم جياعاً عطاشاً، بل قدر لهم مقاديرهم، وكتب لكل نفس رزقها ولن تموت يا عبد الله، نعم اعلم أنك لن تموت حتى تستكمل الرزق الذي كتبه الله لك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:- (إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)،[السلسلة (٢٨٦٦)]، يا عبد الله:- إن الله تعالى قد كتب رزقك لك بكل دقة، حتى القرش حتى اللقمة، وأنت في بطن أمك، نعم أخي في الله وحبيبي في رسول الله ﷺ أَرْعِني سمعك وافهم هذا الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له، اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد ثمُ ينفخ فيه الروح) رواه البخاري ومسلم، فو الله الذي لا إله إلا هو، لو اجتمعت الدنيا كلها، بقضِّها وقضيضها، وجيوشها ودولها، وعسكرها وملوكها وأرادوا أن يمنعوا رزقاً قدره الله لك، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو أرادوا أن يسقوك شربة ماء، لم يكتبْها الله لك، فإنك ستموت قبل هذه الشربة.

*- فيا أخي الحبيب:- إن رزقك مكتوب لك، فلن تأخذ أقل منه ولا أكثر منه، إن رزقك مكتوب لك، ولو كان في جوف الأرض سيأتيك، فلا تستعجله بالحرام، إن الله ضمن لك الرزق فلا تقلق،

ولم يضمن لك الجنة فلا تقصر، وإن من قلة الإيمان، وقلة التوكل على الله حقيقة، أصبح الناس في هذه الأيام يشكون من قلة الرزق وعدم البركة وكثرة أعباء الحياة ومستلزماتها، وأصبح طلب الرزق وتدبير المعاش مما يشغل بال الكثير منهم بل ويقلقه، حتى سلكوا في سبيل الحصول عليه كل مسلك، وسعوا إليه بكل سبيل، فهذا يغش ويسرق، وذاك يُرابي ويرتشي، وثالث ينافق ويخادع، ورابع يسفك الدماء ويقطع الأرحام ويترك طاعة الله، وخامس... كل ذلك من أجل مجاراة الناس وتلبية مطالب النفس والأهل والولد، ونسي هؤلاء أن الله تعالى شرع لعباده الأسباب والمفاتيح التي تجلب الرزق وبيَّنها لهم، ووعد من تمسك بها وأحسن استخدامها بسعة الرزق، وتكفَّل لمن أخذ بها بالنجاة مما يحذر، والرزق من حيث لا يحتسب، وإليك أخي الحبيب هذه الأسباب والمفاتيح:-

المفتاح الأول:- الاستغفار والتوبة:- فمتى تاب الناس إلى الله ورجعوا إليه بارك في أرزاقهم وأصلح أحوالهم، وكلما زاد استغفارك زيد رزقك بإذن الله، قال تعالى:- ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾،(سورة نوح:-١٠-١٢)، أخي الحبيب:- أكثر من الاستغفار فنبيك صلى الله عليه وسلم يقول:- «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» [رواه أبو داود ١٥١٨ وابن ماجه ٣٨١٩]، وقال صلى الله عليه وسلم:- «طوبى لمن وُجِد في صحيفته استغفاراً كثيرا» [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح].

المفتاح الثاني:- الإنفاق في وجوه الخير وعدم البخل:- فمن يسّر على معسر يسّر الله له في الدنيا والآخرة، ومن فرّج كُربة المكروب فرّج الله كربته في الدنيا والآخرة، فارحموا يرحمكم من في السماء، والله يرحم من عباده الرحماء قال الله تعالى:- ﴿ وَمَا أَنفَقْتُمْ مّن شيء فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ

خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ ﴾،(سبأ:-٣٩)، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، (سورة البقرة:-٢٦١)، فلا يمر عليك يوم إلا وتتصدق فيه ولو بالقليل يبارك الله لك في رزقك، ويدفع عنك البلاء.

المفتاح الثالث:- صلة الأرحام:- ولها فائدتان:- الأولى أنها توسع الرزق والثانية أنها تُطيل العمر، فمن أراد هاتان الميزتان، فليكثر من صلة الأرحام، حتى وإن كان بينه وبين أحد أقاربه جفاء، قال صلى الله عليه وسلم:- «من سره أن يبسط الله له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» [متفق عليه]، وقال صلى الله عليه وسلم:- «.. إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا»،[السلسلة الصحيحة «٩١٨»].

المفتاح الرابع:- تقوى الله تعالى:- قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾،(الطلاق:-٢)، فكل من أراد العز في الدين والدنيا والبركة في الرزق والوقت والعمل فعليه بتقوى الله تعالى فإنها من أعظم ما أُستنزلت به الخيرات وأُستدفعت المكروهات، قال الله تعالى:- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾،(الأعراف:-٩٦)، والتقوى ليست هيئة معينة، لباس معين، وحركات معينة، إنما هي تطبيق لأوامر الله وترك لما حرم الله، ليس الولي الذي يطير في الهواء، ولا الذي يمشي على وجه الماء، ولكن الولي الذي تجده عند الحلال والحرام، يراه الله حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه، ومن تقوى الله اتباع الأسباب المشروعة وترك التواكل والتسول، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم:- « لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ» [أخرجه البخاري ح (٢٠٧٤)، ومسلم ح (١٠٤٢)].

المفتاح الخامس:- الهجرة في سبيل الله:- والمقصود بها الهجرة من مكان كله معاصي وفسق إلى مكان تستطيع أن تأمن فيه على دينك وعبادتك.. فلا تساكن الفجار والفساق وتطلب من الله سعة الرزق إلا أن تكون آمناً في عبادتك وغير متأثر بهم، وكم من الناس تركوا بلاداً، هي أحب البلاد لقلوبهم ولو خيروا لاختاروها على غيرها - لكنه الرزق - فتح الله عليهم في غير أرضهم، وفي غير بلادهم. ولله الأمر من قبل ومن بعد، قال تعالى:- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾،(سورة النساء:-١٠٠).

المفتاح السادس:- الحج والعمرة والمتابعة بينهما:- وإياك أن تظن أن مالك ينقص بحجة أو عمرة، واسأل من اعتاد تلك العبادة، هل نقص ماله أم زاد؟! قال صلى الله عليه وسلم:- «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور إلا الجنة» [رواه أحمد وصححه الألباني].

المفتاح السابع:- التوكل على الله:- ومعنى التوكل هو أن تأخذ بالأسباب كلها ثم توقن أن رزقك سيصلك مهما حدث، وهو عكس التواكل الذي يعني أن تتكاسل عن طلب الرزق بحجة أن الله قد كتب الأرزاق كلها، قال الله تعالى:- ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾،(الطلاق:-٢- ٣)، وقال صلى الله عليه وسلم:- «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً» [مسند أحمد (٣٠/١)، سنن الترمذي ح (٢٣٤٤)، وقال:- حديث حسن صحيح].

المفتاح الثامن:- التفرغ لعبادة الله:- وهو أن تترك تنافس الدنيا وتكتفي بالقليل الذي يكفيك، وتبذل وقتك الباقي كله للعبادة والدعوة إلى الله، ففي الحديث القدسي:- «يا ابن آدم:- تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك»، [سنن ابن ماجه كتاب الزهد، باب:- الهم بالدنيا «٤١٠٧»، والألباني في الصحيحة «١٣٥٩»].

المفتاح التاسع:- الإنفاق على طلبة العلم:- فمن كان له أخٌ أو صديق أو جار فقير يدرس ويتعلم لينفع المسلمين، واستطاع أن يعطيه ويوسع عليه ويُغنيه عن عدم ترك العلم وطلبه كان ذلك من أبواب الرزق له، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:- كان أخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحدهم يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له:- «لعلك تُرزق به» [رواه الترمذي].

المفتاح العاشر:-الإحسان والعطف على الضعفاء والمساكين:- لأنّ قلوبهم أكثر صلة بالله لقلة حيلتهم وفقرهم، فأحسن إلى من حولك منهم، يحسن الله إليك، ولا تنسَ الضعفاء والمساكين، فإنما بهم تُرزق ويُعطى لك، قال صلى الله عليه وسلم:- «هل تُنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم» [أخرجه البخاري في الجهاد، باب:- من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٢٨٩٦)].

المفتاح الحادي عشر:- اللجوء إلى الله بالدعاء:- فهو الملاذ في الشدة فإن ضاق عليك رزقُكَ وَعَظُمَ عليك هَمُّكَ وَغَمُّكَ وكثر عليك دَينُك فالجأ إلى الله، واقرع الباب الذي لا يخيب قارعه، واسأل الله جل جلاله فهو الكريم الجواد، وما وقف أحدٌ ببابه فنحّاه، ولا رجاه عبدٌ فخيّبه في دعائه ورجاه، ولهذا أوصى الحبيب صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه بقوله:- «قل إذا أصبحت وأمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال رضي الله عنه وأرضاه:- فقلتهن فأذهب الله

همي وقضى ديني»،[رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستعاذة «٤/٤١٢» عون المعبود شرح سنن أبي داود، عن أبي سعيد الخدري].

المفتاح الثاني عشر:- إقامة شرع الله في الأرض:- كيف لا والله تعالى يقول:- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾، (المائدة:- ٦٦)، من أين يأتي القحط والضُر والفساد والبلاء إلا من المعاصي والإعراض عن شرع الله قال تعالى:- ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾،(الروم:-٤١)، ويقول صلى الله عليه وسلم:- «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يُصيبه»،[رواه الإمام أحمد وابن ماجه وضعّفه الألباني]، ومتى عاش المسلمون بهذا الدين يُحكّمون شرع الله ويتحاكمون إليه ويقيمون حدوده وينفذون أحكامه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أعزهم الله ورفعهم وبارك في أرزاقهم.

المفتاح الثالث عشر:- الصلاة والذكر:- فمن حافظ عليهما كُنا له نوراً ونجاةً وبركة وسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى:- ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾،(طه:-١٣٢)، يعني إذا أقمت الصلاة يأتيك رزقك من حيث لا تحتسب، بيتٌ فيه قاطع للصلاة بيت تقل فيه البركة، فالناس في مساجدهم والله في قضاء حوائجهم، وقال سبحانه عمن ترك الجمعة لأجل التجارة:- ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾،(الجمعة:-١١).

المفتاح الرابع عشر:- التبكير في طلب الرزق:- فعن صخر الغامدي رضي الله عنه قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- «اللهم بارك لأمتي في بكورها» [رواه أحمد، صحيح الجامع(١٣٠٠)]، وروي عن فاطمة رضي الله عنها قالت مر بي رسول وأنا مضطجعة فحركني

برجله ثم قال:- يا بنية قومي اشهدي رزق الله ولا تكوني من الغافلين فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»[فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٤٥٧].

المفتاح الخامس عشر:- الزواج لمن يريد العفاف:- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- «ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله والمكاتب يريد الأداء والناكح يريد العفاف» [حديث حسن كما في صحيح ابن ماجه للألباني «٢٠٤١»]، وقال تعالى:- ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾،(النور:-٣٢).

المفتاح السادس عشر:- شُكر الله تعالى:- ومن أسباب حصول الرزق وثباته ونمائه شكر الإله سبحانه، وشكره بطاعته، واستخدام نعمه فيما يُرضيه ،قال تعالى:- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾،(إبراهيم:-٧).

المفتاح السابع عشر:- الصدق في التجارة:- من أسباب البركة الصدق في التجارة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:- « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». [صحيح البخاري:- كتاب البيوع (٢٠٧٩، ٢٠٨٢، ٢١١٠، ٢١١٤)].

***- إضـــــــــــــــــــــــــــــاءات:-**

١- السبب والمسبب:- إنّ الرزق سبب والله هو وحده ربُّ الأسباب فلا نتعلق بالسبب وننسى المُسبب جلَّ وعلا، ولو أذن الله لعبدٍ برزق لن يستطيع أحد أن يمنعه ولو اجتمع أهل السماوات والأرض.

٢- لماذا الرزق:- إن الرزق يُجرىَ للعبد، ليستعين به على طاعة ربه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:- «إنما خلق الله الخلق ليعبدوه، وإنما خلق الزرق لهم، ليستعينوا به على عبادته».

٣- العطاء ليس دليل محبة، والحرمان ليس دليل غضب:- إن عطاء الله وإغداقه سبحانه في الرزق على العبد، لا يدل على محبة الله لهذا العبد ورضاه عنه قال تعالى:- ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾،(البقرة:-١٢٦)، فلو وُسِّعَ عليك في رزقك، وأصبحت تربح الألوف بدل المئات، والملايين بدل الألوف، فلا تظن بأن هذا بسبب محبة الله لك، فالله قد يُعطي الفجار أكثر من الأبرار، وقد يرزق الكافرين أضعاف أضعاف المسلمين.

٤- أربع في أربع:- قال أحد الصالحين:- أربعة تجلب الرزق قيام الليل وكثرة الاستغفار بالأسحار وتعاهد الصدقة والذكر أول النهار وآخره، وأربعة تمنع الرزق نوم الصبحة وقلة الصلاة والكسل والخيانة ".

٥- أنواع الرزق:- الرزق أوسع بكثير من أن يُقيّد بالمال، إن آتاك الله وجاهة، إن آتاك الله طلاقة، إن آتاك الله حكمة، إن آتاك الله مالاً، إن آتاك الله منصباً، إن آتاك الله علماً فانفق مما رزقك الله.

٦- الرزق نوعان:- ظاهر والأقوات والأطعمة وكل ما ينتفع به الجسم، البيت، السيارة، أما الرزق الباطن هو أن تعرف الله، هو أن تتصل به، هو أن تتقرب إليه، هو أن تُقبل عليه، هو أن يُلقي في قلبك نوراً، فمعرفة الله رزق، طاعته رزق، التوكل عليه رزق، الثقة به رزق، الإقبال عليه رزق.

٧- الرزق مكتوب فلا تقلق:- إنَّ الله قدّر المقادير وقسَّم الأرزاق وحدَّد الآجال قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وما من إنسان يُنفخ فيه الروح إلا ويُكتَب رزقه وأجله وشقي أو سعيد، فأطمأن ولا تقلق.

٨- الناس في كسب المال ثلاثة أنواع، رجلٌ شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين، ومن شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، ورجل شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين، وقليلُ تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي شكره، وقليل يكفيك خير من كثير يُطغيك.

٩- الرزق قسمان:- رزقٌ يطلبك ورزقٌ تطلبه، فأما الذي يطلبك فسوف يأتيك ولو على ضعفك. وأما الذي تطلبه فلن يأتيك إلا بسعيك وهو أيضاً من رزقك، فالأول فضل الله والثاني عدل الله.

*- وأيضاً من جوانب الاعتقاد في الرزق، أن تقسيم الأرزاق بين الناس، لا علاقة له، بالحسب ولا بالنسب، ولا بالعقل والذكاء، ولا بالوجاهة والمكانة ولا بالطاعة والعصيان، وإنما يوزع جلَّ جلاله رزقه على عباده، لحكمة هو يعلمها، فقد يعطي المجنون، ويحرم العاقل، وقد يعطي الوضيع، ويمنع الحسيب، فإذا أُعطيتَ يا عبد الله، فلا تظن بأن هذا الرزق قد سيق إليك لأنك من قبيلة كذا، أو لأنك تحمل الجنسية الفلانية، أو لأنك أذكى من غيرك، لا وإنما هذه أرزاق يقسمها مالك السماوات والأرض، لِحِكَمٍ هو يعلمها، ولا أدل على ضمان الرزق من الله تعالى، وتكفل الله عزَّ وجلَّ ما روي عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب وسارق اللجام، وهذه القصة كما يلي:-

*- وقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) بقرية أثناء سفره، فبحث عن مكان يربط فيه ناقته ولكنه لم يجد، فسأل رجل من القرية ليمسك ناقته إلى حين أن يصلي في المسجد ركعتين، فوافق الرجل فأعطاه رضي الله عنه وأرضاه اللجام ودخل المسجد، عندما انتهى من

الصلاة وهو خارج من المسجد أخرج درهمين من جيبه ليعطيها للرجل جزاءً لما فعله، ولكنه لم يجد الرجل ووجد الناقة ولكن لم يجد لجامها، فكيف يمسك الناقة بدون لجام؟؟ فذهب إلى السوق وفي أثناء تجواله وجد لجامه!! فسأل رضي الله عنه البائع:- من أين لك هذا اللجام؟؟

فقال البائع:- لقد ابتعته من رجل الساعة، (أي باعني هذا اللجام رجل للتوّ)، فسأله:- وبكم ابتعته؟ قال:- بدرهمين!! فقال رضي الله عنه:- سبحان الله!! أردت أن أعطيها له حلالاً، فأبى إلا أن يأخذها حراماً ويسأله الله عنها.

*- ومن قصص التوكل على الله عزَّ وجلَّ في الرزق:- كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعًا لم يطعم هو وعياله شيئًا، فقالت له امرأته:- لو خرجت وطلبت لنا شيئًا، فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق، فقال:- والله لأعملنَّ اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أتى أهله، فقالت له امرأته:- ماذا صنعت؟ فقال:- قد عملتَ مع أستاذي وقد وعدني أن يعطيني ثم غدا إلى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد، فقال:- والله لأعملنَّ اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله، فقالتَ له امرأته:- ماذا صنعت؟ قال:- إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجري فخاصمته امرأته وبرزت عليه، فلبث يتقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر، وصبيانه يتضاغون جوعًا، ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال وصرف عنه الرزق ولم يستأجره أحد، فقال:- والله لأعملنَّ مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى قال:- أين أمضي تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا، ثم تحمل على جهد منه فلما قرب من داره سمع ضحكًا وسرورًا وسمع رائحةَ قديدٍ ورائحةَ شواءٍ فَأُخِذَ على بصره وقال:- أنائم أنا أم يقظان؟ تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا

وأشمُّ رائحةَ قديدٍ ورائحةَ شواءٍ وأسمعُ ضحكًا وسرورًا، ودنا من الباب فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة وقد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت:- يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير ودراهم وكساء وودك ودقيق وقال:- إذا جاء فلان فأقرئوه السلام وقولوا له:- إن أستاذك يقول لك:- رأيت عملك فرضيته فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجرة.

- ومن أجمل قصص التوكل على الله تعالى في الرزق:- رُوي أنه كان لهارون الرشيد ولدٌ* قد بلغ من العُمر ست عشرة سنةً، وكان قد وافق الزهّاد والعبّاد، وكان يخرج إلى المقابر ويقول:- قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا، فما أراها مُنجيَتُكُم وقد صرتم إلى قبوركم، فيا ليت شِعري ما قلتم وما قيل لكم؟ ويبكي بكاءً شديداً، وكان رضي الله عنه يُنشد:-

تُروِّعني الجنائز كل يومٍ ويُحزِنُني بكاءُ النائحـــات

فلمّا كان في بعض الأيام مرّ على أبيه وحوله وزراؤه وكبار دولته وأهل مملكته، وعليه جبّة صوفٍ وعلى رأسه مئزر صوف، فقال بعضهم لبعض:- لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك، فلو عاتبه لعله يرجع عمّا هو عليه، قال فكلّمه في ذلك وقال:- يا بُنيّ لقد فضحتني بما أنت عليه، فنظر إليه ولم يُجبه، ثم نظر إلى طائر وهو على شُرافة من شراريف القصر، فقال:- أيها الطائر، بحقِّ الذي خلقك إلا جئت على يديَّ، فانقَضَّ على كفِّ الغلام، ثم قال له:- ارجِعْ إلى موضعك، فرجع إلى موضعه، فقال:- بحقِّ من خلقك إلا سقطت في كفِّ أمير المؤمنين، فما نزل، فقال له الغلام:- أنت الذي فضحتني بحبّك الدنيا وقد عزمتُ على مفارقتك، ففارقه ولم يتزوّد منه بشيء إلا مصحفٍ كريم وخاتمٍ، وانحدر إلى البصرة، وكان يعمل مع الفَعَلة في الطين، وكان لا يعمل إلا يوم السبت بدرهم ودانق (أي درهم وسدس درهم، أي بسبعة دوانق) يتقوت في كل يوم دانقاً، قال أبو عامر البصري:- وقد كان وقع في جداري حائطٌ فخرجت أطلب من يعمل

لي في الحائط، إذ رأيت غلاماً لم أرَ أحسن منه وجهاً وبين يديه زنبيل وهو يقرأ في مصحفٍ، فقلت له:- يا غلام أتعمل؟ فقال:- ولِمَ لا أعمل وللعمل خُلِقتُ؟ ولكن أخبرني في أيّ الأعمال تستعملني؟ فقلت:- في الطّين، فقال:- بدرهم ودانق وأصلي صلاتي، فقلتُ:- لك ذلك، ثم مضيت به إلى العمل وتركته يعمل، فلما كان المغرب جئته فوجدته قد عَمِلَ عَمَلَ عشرةِ رجالٍ، فوزنت له درهمين، فقال يا أبا عامر:- ما أصنع بهذا؟ وأبى أن يقبل، فوزنتُ له درهماً ودانقاً، فلما كان الغد خرجتُ إلى السوق في طلبه فلم أجِدهُ، فسألت عنه، فقيل لي:- إنه لا يعمل إلا يوم السبت ولا تراه إلا يوم السبت الثاني، فأخَّرْتُ العملَ إلى السبت الثاني، ثم أتيتُ السوق فإذا هو على تلك الحال، فسلّمتُ عليه ثم عرضتُ عليه العمل، فقال كمقالته الأولى، فمضيتُ به إلى العمل، فوقفتُ أنظرُ إليه من بعيد وهو لا يراني، فأخذ كفّاً من الطين وتركَهُ على الحائط وإذا الحجارة يتركّب بعضها على بعضٍ، فقلتُ:- هكذا أولياء الله تعالى مُعانون، فلمّا أراد أن ينصرف وزنت له أربعة دراهم، فأبى أن يقبل إلا درهماً ودانقاً، فوزنتُ له ذلك، فلمّا كان السبت الثالث جئت إلى السوق فلم أره، فسألت عنه، فقيل لي:- لهُ ثلاثةُ أيامٍ وَجِعٌ في خرابةٍ يُعالجُ سكراتِ الموتِ، فوهبتُ أُجرةً لمن يدلني عليه، ومشينا حتى وقفنا عليه في خراب بلا باب، وإذا هو مغشيٌّ عليه، فسلّمتُ عليه وإذا تحت رأسه نصف لَبِنةٍ وهو في حال الموت، فسلمت عليه ثانية فعرفني، فأخذتُ رأسه وجعلتها في حِجري، فمنعني من ذلك وأنشأ يقول:-

يا صاحبي لا تغترِرْ بتنعّمٍ فالعمر ينفذ والنعيم يـــزولُ

وإذا علمتَ بحالِ قومٍ مــرّةً فاعلم بأنّك عنهم مســـؤولُ

وإذا حملتَ إلى القبورِ جنازةٍ فاعلم بأنك بعدها محمـــولُ

ثم قال يا أبا عامر:- إذا فارقت روحي جسدي، فغسّلني وكفّني في جُبّتي هذه، فقلتُ يا حبيبي ولِمَ لا أُكفّنك في ثيابٍ جديدة؟ فقال لي:- الحيُّ أحوج إلى الجديد من الميّت، الثياب تبلى والعمل يبقى، وخُذ زِنبيلي ومِئزري فادفعهما للحفَّار، وخُذ هذا المُصحف والخاتم وامض بهما إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ولا تدفعهما إلا من يدك إلى يده وقُل له:- يا أمير المؤمنين معي وديعةٌ من غلامٍ غريب وهو يقول لك:- لا تموتَنَّ على غفلتِكَ هذه، أو قال على غرَّتِكَ هذه، ثم خرجت روحه رضي الله عنه، فعلمت أنه ولد الخليفة وعملت بجميع ما أوصاني به، وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد وقصدت قصر الخليفة هارون الرشيد، ووقفتُ على موضعٍ مُشْرف، فخرج موكبٌ عظيمٌ فيه تقدير ألف فارس، ثم تبعه عشرة مواكب في كل موكب ألف فارس، وخرج أمير المؤمنين في الموكب العاشر، فناديت:- بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا أمير المؤمنين إلا ما وقفت لي قليلاً، فلمّا رآني قلت:- يا أمير المؤمنين معي وديعةٌ من غلام غريب ثم دفعت إليه المصحف والخاتم وقلت له:- هذا ما أوصاني به، فنكّس رأسه واسبل دمعته وأوصى عليّ بعض الحُجَّاب وقال ليكن هذا عندك إلى أن أسألك عنه، فلمّا رجع هو وأصحابه أمر بالستور فرُفعت، ثم قال للحاجب هاتِ الرجل وإن كان يُجدّدُ عليَّ أحزاني، فقال لي الحاجب:- يا أبا عامر إن أمير المؤمنين محزون مهموم فإذا أردتَ أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمساً، فقلتُ:- نعم، ودخلتُ عليه فإذا مجلسه خالٍ، فلمّا رآني قال:- ادنُ منّي يا أبا عامر، فدنوت منه، فقال:- أتعرف ولدي؟ قلت:- نعم، قال في أيّ شيء كان يعمل؟ قلتُ في الطّين والحجارة، قال:- استعملتُهُ أنت؟ قلت:- نعم، قال:- استعملته وله اتّصالٌ برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت:- المعذرة لله تعالى ثم إليك يا أمير المؤمنين، فإني ما علمتُ مَنْ هو إلا عند وفاته، قال:- أنتَ غسَّلْتَهُ بيدك؟ قلت:- نعم، قال:- هاتِ يدك، فأخذها فوضعها على صدره، وهو يقول:- بأبي كيفَ كَفَّنْتَ العزيزَ الغريبَ؟ ثم أنشأ يقول:-

يا غريباً عليه قلبي يـــــذوب ولعيني عليه دمعٌ سكـــــــوبُ

يا بعيد المكانِ حُزني قريـــبُ كدَّرَ الموتُ كلَّ عيشٍ يطيـــبُ

كان بدراً على قضيبِ لُجيــنٍ فهوى البدرُ في الثرى والقضيـبُ

ثم تجهّز وخرج إلى البصرة وأنا معه حتى انتهى إلى القبر، فلمّا رآه غُشي عليه، فلمّا أفاق أنشد هذه الأبيات:-

يا غائباً لا يؤوب من سفـرهْ عاجَلَه موتُه على صِغَـــــــــرِهْ

يا قرّة العين كنتَ لي أُنســاً في طولِ ليلي نعم وفي قِصَـــرِهْ

شرِبتَ كأساً أبوكَ شارِبَهـــا لا بُدّ من شُربها على كِبَـــــــرِهْ

أشرَبُها والأنـــامُ كُلُهُـــــــمُ من كان من بَدوِهِ ومِن حضَـــرِهْ

فالحمدُ لله لا شريك لـــــــه قد كان هذا القضاءُ من قـــــدَرِهْ

قال أبو عامرٍ:- فلمّا كانت تلك الليلة، قضيتُ وِرْدي واضطجعت، وإذا بقبّة من نور عليه سحابٌ من نور، وإذا قد كُشف السحاب فإذا الغلام ينادي:- يا أبا عامر جزاك الله عنّي خيراً، فقلت:- يا ولدي إلى ماذا صِرت؟ قال:- إلى ربّ كريم راضٍ غير غضبان، أعطاني ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وآلى على نفسِهِ أن لا يخرجَ عبدٌ من الدنيا مثل خروجي إلا أكرمه مثل كرامتي، فاستيقظت فرحاً به وبما قاله لي، وبشّرني به رضي الله تعالى عنه، قلت:- وقد حكيتُ هذه الحكاية على غير هذه الصفة من طريقٍ آخر، قال الراوي:- سُئل هارون الرشيد عنه، فقال:- إنّهُ ولدٌ لي قبل أن أُبتلى بالخلافة، فنشأ نشئاً حسناً فتعلم القرآن

والعلم، فلمّا وُلّيت الخلافة تركني ولم يَنَل من دُنياي شيئاً، فدفعت إليه أمه هذا الخاتم وهو ياقوتٌ يساوي مالاً كثيراً، وقلتُ لها تدفعين هذا إليه؟ وكان بارًّا بأمه رحمة الله تعالى عليه، اللهم اجعلنا ممن يعتبرون، وارزقنا الزهد وأحسن لنا الختام، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

*- ولا تحتقـــــر مـــن خلـــق الله أحـــــــدًا:-

يقول الله تعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}،(الحجرات:-١١)، ونهى الله تعالى عباده المؤمنين عن السخرية بالآخرين مهما كانت صفاتهم وأوضاعهم، فلعلَّ مَن يُسخَرُ منهُ ويُنظَرُ إليه نظرة احتقار وازدراء واستخفاف؛ خيرٌ عند الله وأحبُّ إلى الله من الساخر الَّذي يعتقد الكمال، ويرمي أخاه بالنقص ويعيّره، وخصَّ الله – عزَّ وجلَّ – النساء بتكرار النهي عن السخرية، مع أنهنَّ يدخلن في النهي الأوَّل، نظراً لتفشّي هذه العادة السيئة بين النساء، إن السخرية لا تنبعث إلا من نفس ملوَّثة بجراثيم العُجْبِ والكبر، فهو يعمل على إيذاء من حوله بدافع الشعور بالفوقية المتغلغلة في أعماقه، لقد استهان إبليس بآدم وسخر منه قائلاً:- {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ}،(ص:-٧٦)، فباء بالخسارة والخذلان، قال ابن جرير:- "إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلُّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك"، وقال ابن كثير:- "ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أنه قال:- (الكِبْر بطر الحق وغَمْص الناس)، ويروى:- (وغمط الناس)، والمراد من ذلك:- احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له؛ ولهذا قال:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ}،(الحجرات:-١١)، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء، وقال عن قوم:- {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}،(المؤمنون:-١١٠)، "ويستفاد من هذا:- التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين والاحتقار لهم، والإزراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يغنى، وأن ذلك مبعد من الله - عزَّ وجلَّ "، وقال القرطبي:- "السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه، وقد تكون بالمحاكاة بالفعل والقول أو الإشارة أو الإيماء، أو الضحك على كلام المسخور منه، إذا تخبط فيه أو غلط أو على صنعته أو قبح صورته، وقال بعض العلماء:- هو ذكر الشخص بما يكره على وجه مضحك بحضرته، واختير أنه احتقاره قولاً أو فعلاً بحضرته على الوجه المذكور، وعليه ما قيل المعنى:- لا يحتقر بعض المؤمنين بعضاً، والآية على ما روي عن مقاتل نزلت في قوم من بني تميم سخروا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن نهيرة وسالم مولى أبي حذيفة - رضي الله تعالى عنهم -، ولا يضر فيه اشتمالها على نهي النساء عن السخرية كما لا يضر اشتمالها على نهي الرجال عنها فيما روي أن عائشة وحفصة رأتا أم سلمة ربطت حقويها بثوب أبيض وسدلت طرفه خلفها فقالت عائشة لحفصة تشير إلى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب فنزلت، وما روي عن عائشة أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة فنزلت، وقيل:- نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل كان يمشي بالمدينة فقال له قوم:- هذا ابن فرعون هذه الأمة فعزَّ ذلك عليه وشكاهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت، وقيل غير ذلك؛ وقوله - عز وجل-: {عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مّنْهُمْ}، تعليل للنهي أو لموجبه، أي عسى أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله تعالى من الساخرين، فرب أشعث أغبر ذي طمرين

لا يؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبره، وجوز أن يكون المعنى لا يحتقر بعض بعضاً عسى أن يصير المحتقر –اسم مفعول– عزيز أو يصير المحتقر ذليلاً فينتقم منه، فهو نظير قوله:–

لَا تُهِنِ الفقيـــرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يوماً والدهرُ قَـــدْ رَفَعَه

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن، مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تُمَسُّ، وهي من كرامة المجموع، ولمزُ أيِّ فردٍ هو لمزٌ لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة، والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب:– {يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا} وينهاهم أن يسخر قوم بقوم، أي رجال برجال، فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله، وفي التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية، التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد، وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف، والرجل السوي من الرجل المؤوف، وقد يسخر الذكي الماهر من الساذج الخام، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم، وذو العصبية من اليتيم، وقد تسخر الجميلة من القبيحة، والشابة من العجوز، والمعتدلة من المشوهة، والغنية من الفقيرة.. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!، والميزان عند الله التقوى، فقد روى الحاكم وأبو نُعيم في الحُلية عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال:– (رُبَّ أشعث أغبر ذي طِمرين – الثوب الخَلِق البالي– تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبرَّه)، وروى مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:– قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:– (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)، ويقَولَ الرَسُولُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:– (لَا تَحَاسَدُوا

وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)، إخوتي في الله وأحبتي في رسول الله ﷺ:- إن سخرية الإنسان من أخيه الإنسان مِعْوَلٌ فعَّال يسعى حثيثاً في تهديم العلاقات الإنسانية، وتمزيق الأُخوَّة الإيمانيَّة شرَّ مُمزَّق، حيث يستعلي المرء بماله، أو حسبه، أو جاهه مفاخرة ومباهاة وتحقيراً للآخرين، عليكم أن تعلموا أنه لا يوجد أحد منا خالٍ من العيوب لكننا علينا أن نطهر أنفسنا من تلك الصفات التي تجعلنا نستعلي على من أمامنا وننتقصهم، وإليك هذه النقاط:-

١- اعلموا أن الساخر المتعالي تستوجب له التوبة فقد قال تعالى عندما نهى في الآيات المؤمن أن يعاير أخاه:- {وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}،(الحجرات:-١١)، وفي قوله تعالى:- {أَنْفُسَكُمْ} بيان أن المسلمين كنفس واحدة فمتى عاب المسلم أخاه فكأنما عاب نفسه وختم الله تعالى الآية أنه من لم يتب عن الهمز واللمز والتنابذ فأولئك هم الظالمون، حيث أنهم قد ظلموا أنفسهم بتعريضهم للعذاب بسبب إقحامها في معصية الله وارتكاب ما حرم عليها، فإن اِتِّبَاعَ تلك السلوكيات مخالف للنهي الإلهي مما يعرضه لمعصية الله تعالى وسخطه.

٢- على الإنسان أن يعلم أن من أعرض عن الله وخالف أمره وشرعه سلط عليه من مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وشدتها جزاءً وفاقًا بما كسبت يداه فلا يظلم ربك أحدًا، فالله تعالى من تمام عدله لا يغير نعمة على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه لقوله تعالى:- {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}،(الروم:-٤١)، أي أن النقص

في الأموال والأنفس والزرع والثمرات بسبب المعاصي ابتلاء من الله واختبار ومجازاة على ما أحدث الناس من المنكرات لعلهم يتعظون.

٣- الله تعالى قال:- {لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ}،(الحجرات:-١١)، فالسخرية معناها أن تستهين وتحتقر الغير، وقد يحدث هذا عن طريق المحاكاة، يعني التقليد في الفعل أو القول أو بإشارة معينة أو بإيماءة أو بتلميح فيفهم من يرى هذا أن فلان يستهزأ بفلان.

٤- على الإنسان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يكره لأخيه ما يكره لنفسه والإنسان طالما لا يقبل بسخرية الآخرين فعليه ألا يسخر من الآخرين.

٥- المؤمن لابد أن يشغل نفسه بعيوب نفسه دون النظر والاهتمام بعيوب الآخرين لقوله صلى الله عليه وسلم:- "طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الآخرين".

٦- على الإنسان أن لا ينظر إلى غيره على أنه أقل منه لأن الله تعالى فضل بعض الناس على بعضهم وكرمهم على بعض بالتقوى التي في قلوبهم لقوله تعالى:- {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}،(الحجرات:-١٣)؛ بل الإنسان عليه أن ينظر لمن أمامه أنه أفضل وأحسن منه.

٧- على الإنسان المراقبة التامة للنفس ومحاسبتها فيجب أن يتقى كل واحد منا الله تعالى ويمسك لسانه فلا بد في التفكير في الكلام قبل التلفظ به فإن كان خيرا وإلا فليصمت.

٨- على الإنسان إن رأى أحدًا به عيب أو مرض أن يقول ذلك الدعاء الذي علمه لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال:- "من رأى مبتلىٍ فقال الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا لم يصبه ذلك البلاء" قال الترمذي:- حديث حسن.

٩- على الإنسان أن يشعر بصاحب المرض أو الابتلاء ويضع نفسه مكانه لأننا كلنا كمسلمين جزء واحد لا يتجزأ قال رسول الله:- "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

١٠- عندما يتنعم الإنسان بنعم الله عليه ألا ينسى شكره تعالى فسبحانه وعد الشاكرين بالمزيد حيث قال تعالى:- {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}،(إبراهيم:-٧)، فبذلك الشكر يحافظ على النعمة التي عنده من الزوال بل ويزيدها بزيادة الشكر لله سبحانه.

١١- معاهدة النفس بعدم السخرية والاستهزاء من الآخرين.

١٢- على المسلم أن يعلم أن الله تعالى قادر على أن يسلط عليه من يسخر ويستهزأ به.

١٣- أخيرًا ليس علينا إلا أن نتحلى بالتواضع الذي هو من صفة المؤمنين فقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للتواضع والأخلاق الكريمة ولكم في رسول الله أسوة حسنة.

*- فالتواضع دليل على طهارة النفس وسلامة القلب من أمراض التكبّر والخيلاء، ويمثل خلق التواضع ركناً مهماً في تكوين شخصية المسلم وسلوكه، لأنّ التواضع في جوهره دعوة عملية إلى المحبّة والمودّة والترابُط، ووسيلة لتحرير القلوب من أغلال الحسد والكراهية، التواضع صفة محمودة وسبيل لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، وقد جعل الله سبحانه وتعالى سنَّةً جاريةً في خلقه أن يرفع المتواضعين لجلاله، وأن يذل المتكبرين المتجبرين، قال رسول الله ﷺ:- "ما تَواضع أحد لله إلاّ رفعه"، أمّا الذي يسلك مسلك المتكبّرين، فقد باء بشؤم العاقبة، يقول الله عزَّ وجلَّ:- {فَبِئْسَ مَثْوَى المُتكبِّرِينَ}،(الزمر:-٧٢)، وفي بيان معنى التواضع، وأثره في خلق وسلوك المسلم، وكيف يمكن توظيف خلق التواضع لترويض النفس وعلاجها من داء الكبر، التواضع صفة من

صفات المؤمنين والمؤمنات، وقد حَثَّ رسول الله ﷺ على الالتزام بها، وحَضّ المؤمنين على الابتعاد عن التكبر، الذي ينتهي بصاحبه إلى الدَّرْك الأسفل من النار، لأنّ التواضع في غير مَذلّة ولا مَهانة خلق يليق بالعبد المسلم، أمّا الكبر فهو ليس له، ولا ينبغي لمثله لأنّ الكبر صفة من صفات الربوبية، ولا يليق بالعبد الفقير إلى مَولاه، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه أنّه قال:- قال رسول الله ﷺ:- "قال الله عزَّ وجلَّ:- الكبرياء ردائي، والعَظَمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار"، التواضع في اللغة هو التذلل، وتواضع الرجل إذا تذلّل، وقيل ذلَّ وتخاشع، وهو مأخوذ من تواضعت الأرض، أي انخفضت عمّا يليها، فالتواضع يدلُّ على خفض الشيء، أمّا التواضع عند علماء الأخلاق، فهو لين الجانب والبُعد عن الاغترار بالنفس، حيث قالوا إنّ التواضع هو اللين مع الخلق والخضوع للحق وخفض الجناح، ولم ترد كلمة التواضع بلفظها في القرآن الكريم، إنّما وردت كلمات تشير إليها وتدل عليها، قال الله تعالى في الآية ٦٣ من سورة الفرقان:- {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا}، قال القرطبي (هوناً) الهون مصدر الهين، وهو من السكينة والوقار، وفي التفسير يمشون على الأرض حُلماء متواضعين يمشون في اقتصاد، كما قال ابن كثير:- أي بسكينة ووقار من غير تجبُّر ولا استكبار، لقول الله تعالى في سورة الإسراء (الآية:- ٣٧):- {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا}، قال القرطبي:- هذا نَهيٌ عن الخيلاء وأمرٌ بالتواضع، والمرحُ شدة الفرح وقيل التكبر في المشي، وقيل تجاوز الإنسان قدره، وقال قتادة:- هو الخيلاء في المشي، وقيل:- هو البطر والأشر، فقوله تعالى:- (إنّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ) تعني لن تخرقها بكبرك ومشيك عليها، (وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً)، أي لن تساوي الجبال بطولك ولا تطاولك، كما قال ابن كثير:- يقول الله تعالى ناهياً عباده عن التجبّر والتبختُر في المشية:- (وَلا تمشِ في الأرض مرحاً)، اي متبختراً متمايلاً مشي الجبّارين، (وَلَن تبْلُغَ الجِبَال طُولاً)، أي بتمايلك وفخرك

وإعجابك بنفسك، بل قد يُجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح قول رسول الله ﷺ:- "بينما رجل يمشي في مَن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما، إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة"، وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنّه خرج على قومه في زينته وأنّ الله تعالى خسف به وبداره الأرض، تفسير القرآن، وقال تعالى في سورة لقمان (الآية:- ١٨):- {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}، وقال القرطبي:- الصعر:- الميل، أي لا تُمل خدك للناس كبراً عليهم وإعجاباً بنفسك واحتقاراً لهم، ولا تمش متبختراً متكبراً، الجامع لأحكام القرآن، كما قال ابن كثير:- لا تتكبّر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تفلت أعناقها من رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر، (وَلا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً)، أي متكبّراً جبّاراً عنيداً، لا تفعل ذلك يبغضك الله، ولهذا قال تعالى:- (إنّ الله لا يُحِبُّ كُلَّ مُختَالٍ فَخُورٍ)، أي مختال مُعجَب بنفسه فخور على غيره، تفسير القرآن العظيم، وصدق فضيلة شيخنا قدس الله تعالى سره إذ يقول في التواضع الإخبات:- { وضع نفسك تحت الأقدام، تحفك عناية القوم وترجع نقيًّا سالمًا من الآثام}، وفي حديث التَّجَلِّي على قلب شيخنا قدس الله تعالى سره يقول الحق تبارك وتعالى في التواضع:- {تواضع لمن تواضع لي والجأ إليَّ أنا الرافع فاطلبني تجدني}، ويقول عن التكبر:- {تكبر على من تكبر عاصيًا من خلقي والجأ إليَّ أنا الرافع فاطلبني تجدني}، وكيف بك يا أخي تحتقر أخاك وقد خلقك المولى جلَّتْ قدرته من نطفة مذرة، ونهايتك جيفة قذرة، وأنت الآن تحمل العذرة، كيف يا أخي تحتقر أخاك وقد خرجت من مجرى البول مرتين، كف بك يا أخي تحتقر أخاك وأصلك من طين وماء، فالأب آدم والأم حواء، ويقول سيد الأنبياء ﷺ:- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟

قَالُوا:- بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ:- أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا:- يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ:- أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا:- شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ:- ثُمَّ قَالَ:- أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا:- بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ:- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ، هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا:- بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:- لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ}، ولله در القائل:-

تواضع لرب العرش عَلَّكَ ترفع ما خاب عبد للمهيمن يخضـــــع

وداوِ بذكر الله قلبك لأنـــــه أشفى دواء للقلوب وأنفـــــــــع

ولا تغترر بالمكر منك وبالمنى فمن خادع المولى المهيمن يخدع

*- ومن قصص تواضع السلف الصالح:- حكي أن الإمام البخاري ذات يوم ركب سفينة في البحر وكان معه ألف دينار، وكان هذا مبلغ طائل حينها، فجاء إليه رجل من أصحاب السفينة وأظهر له الحب والمودة وأخذ يتقرب منه ويجالسه دائماً، وعندما وجد الإمام البخاري حبه وولاءه له مال إليه، حتي أنه أخبره ذات يوم عن الدنانير الموجودة لدية، وفي يوم قام هذا الرجل من نومه يبكي ويمزق ثيابه ويلطم وجهه، التفَّ حوله الناس يسألونه عن سبب فعله هذا، فقال لهم:- أنه كان لديه صره تحوي ألف دينار وقد ضاعت، فأخذ الناس يبحثون في السفينة بالكامل ويفتشون الجميع، فأخرج الإمام البخاري حينها صرته وألقاها في البحر خفية، وهكذا انتهى الناس من تفتيش السفينة بالكامل ولم يعثروا علي الدنانير، فرجعوا إلي الرجل يُوَبِّخُونَهَ بشدة لأنه كاذب، وبعدما انتهت الرحلة ونزل الناس من السفينة ذهب الرجل إلي الإمام البخاري وسأله:- ماذا فعلت بصرة الدنانير؟ فقال له:- ألقيتها في البحر، تعجب الرجل كثيراً من فعله وسأله:- كيف صبرت علي ضياع كل هذا المال منك؟ فقال له البخاري:- أنا أفنيت حياتي كلها أجمع أحاديث رسول الله صلي الله علية وسلم، وعرف العالم كله صدقي وثقتي، فلم يكن أبداً من الممكن أن

أعرض سمعتي إلي تهمة سرقة مهما كان الثمن مقابلها، وهل الدرة الثمينة التي حصلت عليها طوال حياتي (يقصد الثقة والعدالة) أضيعها مقابل عدة دنانير؟!.

*- ومن قصص التواضع أيضًا:- يحكي أنه في يوم من الأيام طلب خليفة المسلمين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، من أهل حمص أن يقوموا بكتابة أسماء الفقراء والمحتاجين ليقدم لهم نصيبهم من بيت مال المسلمين، وعندما وردت قائمة بأسماء الفقراء وجد سيدنا عمر اسم " سعيد بن عامر " والي حمص موجود في هذه القائمة بين أسماء الفقراء والمساكين والمحتاج، تعجب سيدنا عمر كثيراً من أن يكون والي حمص من فقرائها، فأرسل إلي أهل حمص يسألهم عن سبب فقره، فأخبروه:- أنه ينفق كل راتبه علي الفقراء والمساكين قائلاً:- " ماذا أفعل وقد أصبحت مسئولاً عنهم أمام الله عزَّ وجلَّ'' كما أخبروه أيضًا:- أن سعيد بن عامر لا يخرج إليهم إلا وقت الضحى، ولا يروه ليلاً أبداً، كما أنه يحتجب عنهم تماماً يوماً كل أسبوع، وعندما سأله سيدنا عمر بن الخطاب عن السبب وراء هذا، فأخبره سعيد بن عامر أنه لا يخرج إليهم إلا وقت الضحى، لأنه لا يخرج إلا بعد أن يفرغ من قضاء حاجة أهله حيث أنه ليس لديه خادم وزوجته مريضة، فهو يقوم بخدمة أهله، كما يحتجب عنهم ليلاً لأنه قد خصص وقت النهار لقضاء حوائج أهل حمص، وقد خصص الليل لعبادة الله عزَّ وجلَّ، وأما احتجابه عنهم لمدة يوم كامل كل أسبوع، لأنه في هذا اليوم يقوم بغسل ثوبة وينتظر حتي يجف، لأنه لا يملك ثوباً غيره .. فبكي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأرضاه، ولله در القائل:-

ليس التطاولُ رافعاً من جاهلٍ وكذا التواضعُ لا يَضُرُّ بعاقــلِ

لكنْ يزادُ إذا تواضعَ رفعـــةً ثم التطاولُ ما له من حاصـــلِ

ولله در القائل أيضًا:-

كم جاهلٍ متواضـــــــــعٍ ستـــــر التواضـــــعُ جَهْلَـــهُ

ومميزٍ في علمِـــــــــــه هـــدمَ التكبـــــــرُ فضلَـــــهُ

فدعِ التكبـرَ مـــــا حَـــيٍ يْتَ ولا تصـــاحـــبْ أهلَـــــهُ

فالكبـــرُ عيـــبٌ للفتـــى أبـــــداً يَقْبُـــــــــحُ فِعْلُـــــهُ

ولله در القائل أيضًا:-

دِنْ بالتواضُعِ والإخْباتِ محتسباً تفقْ علاءً على أهلِ السياداتِ

فالتربُ لما غدا للرجلِ متطئـــاً تمسحَ الناسُ منه في العبـاداتِ

ولله در القائل أيضًا:-

حقيقٌ بالتواضـــعِ مـن يَمـوتُ ويكفي المرءَ من دُنْياهُ قـــــوتُ

فيـا هذا سترحـلُ عـن قريـبٍ إلى قومٍ كلامُهمُ سكـــــــــوتُ

ورحم الله القائل:-

{ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك، فإن عليه ممرك}، ''أحب الخلق إلى الله المتواضعون''، {لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع}،''ندنو من العظمة بقدر ما ندنو من التواضع''، {كلما ارتفع الشريف تواضع، وكلما ارتفع الوضيع تكبر}،''التواضع الحقيقي هو أبو كل الفضائل''، {ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم يدك يطيعوك}، ''أشد العلماء تواضعًا أكثرهم علمًا، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً''.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

الخـــــــاتمـــــــــة

إن حياة الصالحين كلها عبرٌ وعظاتٌ، ودروسٌ وآياتٌ، ومواعظُ بيناتٌ، لذلك كانت رؤيتهم موعظة قبل روايتهم، فمن وعظك بغير حاله، كان كمن أعطاك من غير ماله، ومن ادعى غير حاله، كان كمن افتخر بغير ماله، لذلك قيل:- (عمل رجل في ألف رجل أنفع من كلام ألف رجل في رجل)، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)}،(الصف:-٢-٣)، فالصالحون يهتمون بالأعمال أكثر من الأقوال، لذلك قيل:- (إن رجلًا كان له أصحاب ثلاثة، أما الصاحب الأول فكان من أشد الناس حبًّا له، واقترانًا به، فكان لا يفارقه ليلًا ولا نهارًا، ولا حلًّا ولا ترحالًا، إن سار مشى إلى جانبه، وان قعد جلس بجواره، وان نام اضطجع إلى يمينه، وان قام نهض معه، فهو ملازم له ملازمة العين لأختها، ومرافق له مرافقة الظل لصاحبه، لا يسأم من صحبته، ولا يملُّ من حديثه، ولا يضجر من صحبته، ولا يقنط من محبته، فهما والله كرجل واحد، وصدق فضيلة شيخنا إذ يقول:-

فصاروا واحدًا وهم كثيـــــــر وفوق الخلق سر الله عالـــــــي

وأما الصاحب الثاني فهو صاحب عزيز وغالي، ولكنه يأتي في المرتبة الثانية بعد الصاحب الأول، إن غاب افتقده، وإن مرض عاده، وإن حزن واساه، وإن احتاج أعطاه، وإن عري كساه، وإن ابتعد عن طريق الخير أرشده وهداه، فمقامه في قلبه كبير وهو بالحب والله جدير، وأما الصاحب الثالث، فهو لا يحمل من الاسم إلا معناه، ليس له عند صاحبه قيمة ولا وزن، ولكنه

إن لقيه بدأه بالسلام، وأبدى له الحب والوئام، ولكنه في الحقيقة صاحب متروك، لا يأبه له ولا يكترث لحاله، ولكنه يحتفظ باسم الصاحب ليس إلا، وأراد الله ولا راد لمراده ولا معقب لحكمه، ولا مانع لقضائه، أن يقع هذا الرجل ذو الأصحاب الثلاثة في مشكلة كبيرة جدًّا وأن يقاد على أثرها لدار القضاء، وأمر القاضي بحبسه فورًا، ولكن الرجل اعترض على القاضي وأفصح عن مظلمته، وأوضح للقاضي أن كل ما نسب إليه ما هو إلا مجرد شكوى كيدية ولا صحة لها وأنه مظلوم بدخوله السجن دون بينة، أو أدلة قوية قاطعة تؤكد إدانته، فتعاطف القاضي معه وطلب منه أن يأتي بشخص واحد على الأقل يشهد ببراءته، وبياض صحيفته مما نسب إليه، فما كان منه إلا أن أرسل فورًا إلى أعز أصدقائه، وأغلى أحبائه، إلى صديق العمر، إلى من مثواه في القلب، إلى من لا يغيب عن الخاطر، ولا يبعد عن الناظر، إلى صاحبه الأول، وحبيب قلبه الغالي، قال:- أخبروا حبيبي بأن حبيبه قد دخل السجن ظلمًا وزورًا، وكذبًا وجورًا، ويطلب منكم أن تحضروا فورًا إلى دار القضاء لتشهدوا بين يدي القاضي ببراءة صاحبكم، وأن كل ما نسب إليه كان زورًا وافتراءً، وكذبًا واختلاقًا حتى يطلق سراح صاحبكم وحبيبكم، فما كان من هذا الصاحب إلا أن قال وهو متكئ على أريكته دون أن يستند وبكل برود واستهتار وبكل تهكم واستنكار:- إن كان القاضي يريد مني أن أشهد ببراءة صاحبي هذا فما على القاضي إلا أن يأتي إلى بيتي ليسمع مني الشهادة، فأنا لا أخرج من بيتي أبدًا لمثل هذه الأمور التافهة، فصاحبي بريء ومظلوم، ولكني لا أدلي بشهادتي إلا في بيتي، فأخبروا القاضي وصاحبي بذلك، فقالوا له:- والله إن هذا لا يجوز ولا يصح، فما على الشاهد إلا أن يأتي لدار القضاء، وأن يدلي بالشهادة أمام القاضي وأمام المتهمين، والله تبارك وتعالى يقول:- { وَلاَ تَكْتُمُواْ الشهادة وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُه}،(البقرة:-٢٨٣) فكيف بك تكتم الشهادة وهذا أعز أصحابكم، وأغلى أحبابكم، فقال لهم:- والله إن هذا هو كل ما عندي، فأخبرا صاحبي بذلك، فذهبوا إلى صاحبه وأخبروه

بقول حبيبه، ومهجة فؤاده، فقال:- والله بئس هذا الصاحب، والله لقد أمضيت عمري مغرورًا فيه أضحي من أجله بنفسي، وأفديه بمهجتي وروحي، وأوثره على نفسي وحاجتي بئس هذا الصاحب، بئس هذا الصاحب، لقد غرني بحلاوة كلامه، فما عرفت حقيقته إلا بعد فوات الأوان، وما فائدة الندم الآن، اذهبوا إلى صاحبي الثاني إلى الصاحب العزيز الغالي، فذهبوا إليه مسرعين، وأخبروه بوضع صاحبه، وما آل إليه حاله، وما انتهى إليه مآله، وأنه يطلب منه الشهادة لعلَّ اللهَ تعالى أن يمنَّ عليه بالفرج القريب، فقام معهم مسرعًا، وخرج من الباب مهرولًا، وتوجه إلى دار القضاء وما إن وصل إلى الباب حتى قال لهم:- إن كان القاضي يريد أن يسمع شهادتي ببراءة صاحبي فما عليه إلا أن ينزل إلى خارج المحكمة، وأن يقف أمامي على بابها حتى يسمع مني ما أقول، ويعي ما أشهد به، فقالوا له:- والله إن ذلك لا يصح ولا يجوز، فالعرف والقانون يوجبان على الشاهد أن يدخل دار القضاء وأن يدلي بشهادته أمام القاضي والمتهمين، وقد وصلت إلى دار القضاء، فادخل وأدلِ بشهادتك حتى يفكَّ أسرُ صاحبك وحبيبك، فقال لهم:- والله الذي لا اله إلا هو هذا هو مقامي وهذا هو مكاني، ولا أتقدم للأمام خطوة واحدة، وهذا هو كل ما عندي، فأخبروا صاحبي بذلك، فذهبوا مسرعين وأخبروا صاحبه بمقالة صاحبه فقال بئس الصاحب الثاني، بئس الصاحب الثاني، لقد ضيعت عمري مغرورًا فيهما يا حسرتي على ودي لهما، وحفاوتي بهما، وحرصي عليهما، اذهبوا إلى صاحبي الثالث، فذهبوا إليه مسرعين، وأخبروه بحال صاحبه وقصته، فقام مسرعًا وتوجه إلى دار القضاء مهرولًا، ووقف أمام القاضي، وأدلى بشهادته وببراءة صاحبه، وفي تفسير هذا المعنى يقول أهل العلم بالله رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين:- إن دار القضاء هي القبر، والقاضي هما الملكان، منكر ونكير، والصاحب الأول:- هو المال، والصاحب الثاني:- هم الأهل والأولاد، والصاحب الثالث:- هو العمل الصالح، فالمال {أعني الصاحب الأول} هو من أشد الأشياء حبًّا للقلوب،

وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول:- { وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}،(الفجر:-٢٠)، وقد قدمه الله تبارك وتعالى على الأهل والأود في مواضع عديدة من كتابه الحكيم فقال:- { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ}،(الكهف:-٤٦)، وقال في موضع آخر:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ }،(التغابن:-١٤)، وقال في موضع ثالث:- { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}،(التغابن:-١٥)، فالإنسان من أجل المال قد يترك الأهل والأولاد عدة سنوات طوال ليأتي لهم بالمال، حتى إن المال قد يعبد من دون الله عزَّ وجلَّ، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم:- (من أَجَلَّ غنيًا لأجل غناه ذهب ثلثا دينه)، ورحم الله القائل:-

رأيت الناس قد مالـــوا إلى من عنده مـــــال

ومن لا عنده مـــــال فعنه الناس قد مالــوا

رأيت الناس قد ذهبــوا إلى من عنده ذهــب

ومن لا عنده ذهـــب فعنه الناس قد ذهبـوا

رأيت الناس منفضـــة إلى من عنده فضـــة

ومن لا عنده فضـــة فعنه الناس منفضـــة

هذا هو المال وما أدراك ما المال، من أجل المال يقتل الرجل أخاه، ويجفو أباه، ويعق أمه، ويعصي ربه، إلا من رحم الله عزَّ وجلَّ، أما الصاحب الثاني:- وهم الأهل والأولاد، فالرجل منا يقطع الليل والنهار تفكيرًا في سعادتهم، وحرصًا على هناءتهم، بل قد يقدم البعض منا نفسه وقودًا لنار جهنم من أجل رضاهم، وطمعًا في غناهم، لذلك حذرنا المولى الكريم جلَّ في عليائه، وتعزز في كبريائه من متابعة هواهم، والحرص على رضاهم، فقال عزَّ وجلَّ:- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ}،(التغابن:-١٤)، ولا شك أن الأولاد زينة الحياة، ولكن الله تبارك وتعالى يقول:- { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧)}،(الأعلى:-١٦-١٧)، وقد تدخل محبة الأولاد القلب فتفسده، لأن القلب بيت الحق، ويقول الله تقدست صفاته وتعاظمت أسماؤه:- {ما وسعتني أرصي ولا سمائي ولكن وسعني قلب المؤمن}، فإياك ثم إياك من متابعة هوى الأولاد على الباطل، لأن حبيب قلوبنا صلى الله عليه وسلم يقول:- {لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به}، ويقول بعض الصالحين:- {واجعل هواك هواهم كيفما كانا، لم ينطو في هواهم غير من عانى}، وأما العمل الصالح، رزقنا الله وإياكم العمل الصالح، والشغل الرابح، فهذا والله غائب عن معظم الناس إلا من رحم ربي، فلقد غرتنا الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وبهجتها، والله تبارك وتعالى يقول:- { فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}،(لقمان:-٣٣)، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم:- {الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني}، لذلك فإن الإنسان إذا مات ودخل القبر فإن المال لا يتحرك من مكانه بل يبقى في محله يشهد على صاحبه، تبقى عماراته، تبقى سياراته، تبقى عقاراته، تبقى أملاكه كلها في أماكنها، فإذا ما قيل عمارة من هذه؟ قيل هي عمارة فلان رحمه الله تعالى، لقد كان من أهل الخير جزاه الله تعالى خير الجزاء على ما قدم، أو كان على العكس من ذلك لا قدر الله، إذن الصاحب الأول:- وهو المال لا يدخل القبر ولا يدافع عن صاحبه، ولا يتحرك من مكانه، وأما الصاحب الثاني:- وهم الأهل والأولاد فهم يذهبون مع الميت إلى قبره، ويودعونه وهم خارج القبر، ويشهدون له بما قدم وما علموه من حاله، ولكنهم لا يدخلون معه، أما الصاحب الثالث:- وهو العمل الصالح الذي غفلنا عنه جميعًا فو الله الذي لا اله إلا هو لا يدخل القبر معنا إلا هو، ولا يدافع عنا إلا هو، فَلِمَ هذه الجفوة بيننا وبينه، ونحن في أمس الحاجة إليه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ يقول:- {الناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا}، لذلك فإن الصالحين أصحاب حب ووئام لا أصحاب بغض وخصام، إنهم أصحاب صيام وقيام، لا أصحاب دعاوى وكلام، ولله در القائل:-

تعود من قيام الليـــل إن النوم خســـــــران

ولا تركن إلى ذنـــــب فعقبى الذنب خســران

وقم للواحد المعبـــــود فللقرآن خـــــــــلان

إذا ما جنهم ليـــــــل فهم في الليل رهبـــان

ينام الغافل الساهـــــي وما في القوم وسنـــان

ويلهو المعرض اللاهي وعند القوم أحـــــــزان

فما يلهيهم ربـــــــــع ولا أهل وإخـــــــــوان

فهم والله فتيـــــــــان إذا ما قيل فتيـــــــان

فالناس والله نيام والصالحون قيام، الناس هجوع وهم ركوع، الناس رقود وهم سجود، الناس مع الخلق وهم مع الحق، وشتان بين من كان أنسه بالمولى القريب، وخلوته مع الحبيب، من غير رقيب، وبين من كانت أوقاته تمر في غير طائل، وفرحه وسروره بغرور زائل، ومسامرته في لهو وباطل، ولله در القائل:-

لله قوم أخلصوا في حبـــــــــه فاختارهم ورضي بهم خدامـــا

قوم إذا جن الظلام عليهـــــــم أبصرت قومًا سجدًا وقيامـــــا

يتلذذون بذكره في ليلهـــــــــم ويكابدون بذي النهار صيامـــا

فسيغنمون عرائسا بعرائـــــــس ويبوؤون من الجنان خيامـــــا

وتقر أعينهم بما أخفي لهـــــم وسيسمعون من الجليل سلامـــا

وقيل أيضًا:-

لله قوم أخلصوا في حبـــــــه فكسا وجوههم الوسيمة نـــــورا

تركوا النعيم وطلقوا دنياهـــــم زهدًا فعوضهم بذاكا ســـــرورا

قاموا يناجون الحبيب بأدمـــــعٍ تجري فتحكي لؤلؤًا منثـــــورا

ستروا وجوههم بأستار الدجـــى ليلًا فأضحت في النهار بـــدورا

عملوا بما علموا وجـــادوا بالذي وجدوا فأصبح حظهم موفـــورا

وإذا بدا ليل سمعت أنينهـــــم وشهدت وجدًا منهم وزفيـــــــرا

تعبوا قليلًا في رضى محبوبهـــم فأراحهم يوم المعاد كثيـــــــرا

صبروا على بلواهم فجزاهـــــم يوم القيامة جنة وحريـــــــرا

يا أيها الصب الكئيب إلى متـــى تفني زمانك باطلًا وغـــــــروا

بادر فهذا يوم مـــــــولاك الذي من قامه لله نال أجـــــــورا

واضرع إلى مولاك فيه ونـــــاده يا واحدًا في ملكه وقديـــــــرا

إن لم أكن أهلًا لعفوك سيـــدي كن أنت أهلًا ساترًا وقديـــــرا

ما لي سواك وأنت غاية مقصدي ولئن رضيت فنعمةً وســـــــرورا

فالليل والله ربيع الصالحين، وأنس المحبين، وخلوة المتقين، مع الله رب العالمين، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وإذا سمعوا النداء:- هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ لبوا النداء مسرعين!! امتثالًا لأمر الله أحكم الحاكمين، ولله در القائل-

فقمت أفرش خدي في التـراب له ذلًّا وأسحب أجفاني على الأثر

أعفر خدي ذلًّا في التراب عسـى أن تقبلوني وترضوني عبيدكـم

أهل قيام الليل ساروا بقلوبهم إلى الله، حتى جلسوا على بساط أنسه في حضرة قدسه دون حاسد أو رقيب، وأما النائمون فقد فاتهم الخير الكثير، فاتهم ركب المحبين، حمد المدلجون غبَّ سراهم، وكفى من تأخر الإبطاء، ولله در القائل:-

حجبتُ عينيَّ عنْ رؤياكَ يا أملي فلوْ منَنْتَ على عينيَّ بالنظــرِ

حتى أقولَ لعيني عند رؤيتهـــا هذا جزاءٌ لطولِ الدمعِ والسهــرِ

الناس يوم القيامة على جمر الغضا، وعباد الرحمن على بساط الرضا، الناس في الكرب والشقاء، وعباد الرحمن في القرب واللقاء، الناس في الذل والهوان، والصالحون في ظل عرش الرحمن، الناس في خوف شديد، والصالحون في عيش رغيد، فجزاء السهر النظر، وجزاء الغنى نيل المنا، ولله در القائل:-

فكم ليلة قضيتها ساهـــــــرا لما تولى هجركم معرضـــــــــا

أطوف في ظلماتها مبصـــــرا وليس ضوء مثل ضوء الرضـــا

إذا رحل المحبون إلى حضرة حبيبهم، وخلوا بنور قلوبهم، تحسر المتخلفون، وندم النائمون، ولله در القائل:-

لقد ناب سمعي اليوم عن بصري وقنعت في الحب بعد العين بالأثر

بالله قل لي أحاديث الذين مضوا إن كنت مطلعًا منهم على خبـــر

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- {لا زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون}، لذلك يقول سيدنا عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام:- {لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فيفوتكم خير كثير}، فكثرة النوم نقصان في العمر، وخسران في الحشر، فالصالحون مع كثرة طاعاتهم واجتهادهم خائفون، وعلى باب الذل والانكسار والافتقار واقفون، وبين يدي مولاهم بأسرارهم عاكفون، يسألون مولاهم صرف العذاب، ويخشون إقامة العدل والتوبيخ والعتاب، ويخافون سطوة القهر وصولة العز والمنع والحجاب، والغافل مع كثرة تقصيره وإهماله، وسوء أفعاله وأعماله، قليل الفكرة في حاله ومآله، فهذا سيدنا حاتم الأصم رضي الله تعالى عنه وأرضاه أراد الذهاب للحج فقال له أولاده:- لمن تتركنا يا أبي ونحن لا مال لنا ولا قوت، فإن خرجت للحج جعنا من بعدك، فقالت لهم ابنته الصغيرة التقية النقية:- دعوا أبانا يخرج للحج فما علمته والله إلا أَكَّالًا لَا رَزَّاقًا، يأكل من رزق ربنا، دعوه يخرج وسلموا أمركم للذي لا يغفل ولا ينام، وخرج أبوهم للحج ومرت الأيام، ودارت دورتها، ونفد الطعام والشراب، وأخذ الإخوة يلومون أختهم ويوبخونها ويسمعونها قوارض الكلم، ويقولون لها:- أنت السبب في هذا كله، وهي تقول لهم:- اصبروا فإن فرج الله قريب، وهو على العباد رقيب وحسيب، ولما أكثروا اللوم عليها والتأنيب، أراد الله ولا راد لمراده، ولا معقب لحكمه، ولا مانع لقضائه أن يمر أمير القرية من الشارع الذي به بيت سيدنا حاتم الأصم، ولما وصل

الأمير إلى بيت حاتم، عطش عطشًا شديدًا، فطرق الباب وقال:- اسقونا ماءً يا أهل البيت:- فأسرعت الصغيرة وملأت الكوز ماءً وناولته للأمير، فلما شرب الماء ألقى الله عزَّ وجلَّ الحلاوة في طعم الماء، فسر الأمير كثيرًا وحمد الله عزَّ وجلَّ، ثم سأل بيت من هذا؟ فقيل له:- إنه بيت حاتم الأصم!! فأخرج الأمير ما في جيبه من نقود وذهب ووضعه في الكوز، ثم قال لحرسه وخدامه:- كل من أحبني فليصنع مثل ما صنعت وليوافقني فيما فعلت، فأسرع الجند وصنعوا مثل ما صنع، فامتلأ الكوز بالذهب والجواهر والنقود، وناولوه للصغيرة، فعادت بالكوز مسرعة باكية، فقال لها إخوتها والسرور يملأ قلوبهم، والفرحة مرتسمة على محياهم:- لِمَ هذا البكاء؟ وقد منَّ الله تبارك وتعالى علينا بهذا المال، فقالت لهم:- إن مخلوقًا نظر إلينا فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا؟ هذا والله هو الإيمان، وهذه والله هي مراقبة الملك الواحد الديان، وصدق فضيلة شيخنا إذ يقول:- {وراقبه في كل تدبير أراده لك}، فالله تعالى نسأل أن يرزقنا رضاه وألا يشغلنا بسواه حتى نلقاه، وأن يجعل جميع أعمالنا وحركاتنا وسكناتنا خالصة لوجه تعالى، وابتغاء مرضاته عزَّ وجلَّ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.